

ترجمة وتقديم

سناء صليحة

نصوص من المسرح النسائي

نصوص

من المسرح النسائي

ترجمة وتقديم

سناء صليحة

فهرس

صورة ماريّا

تأليف ليديا شيرمان هوداك

تصبحين على خير يا أمي

تأليف مارشا نورمان

أمي قالت لا

تأليف شارلوت كيتلي

الساحرات

تأليف كاريل تشرشل

فرجينيا

تأليف إدنا أوبراين

مقدمة

"نحن نصنع المسرح من حياتنـا.. مـن أحلامنا... من خيالنا.. نحن نصنع المسرح بأن نطلق هذه الأجزاء من نفوسـنا التـي حبسناها داخلنا طوال حياتنا..".

مسرحية لا غبار أن أكون امرأة

فرقة مسرح نيويورك النسوية

قد تكون هذه العبارة القصيرة هـي التخلـيص الحقيقـي لمسرح المرأة، أو ما يطلق عليه الدراما النسوية وقضـاياها وأهدافها، والأكثر من ذلك أنها دليـل البـراءة، والخريطـة لتحديد وتعديل المسار وإزالة الشوائب التي علقـت بأذهـان الكثيرين منا حول الدراسات النسوية عموما ومسرح المـرأة على وجه التحديد.. فنتيجة لسوء الفهم وعدم تكامل المعلومة، اكتسب مفهوم النسوية سمعة سيئة باعتباره وجها آخر مـن وجوه العولمة والغزو الثقافي يهدد المجتمع وكيـان الأسـرة وترابطها، ويحث المرأة على التخلي عن أدوارها ورسالتها.

ومن خلال النصوص المسرحية المترجمة التي يقدمها هذا

الكتاب، التي كتبت بأقلام النساء، يتضح أن المرأة قد وظفت خيالها وقلمها لاكتشاف أعماق نفسها واستعادة ذاتها، وصوت النساء المنسيات، وتقديم رؤية جديدة للعالم من خلال عـين المرأة، سواء من خلال التركيز على مظاهر الحياة اليوميـة للبشر العاديين خاصة النساء، أو من خلال تصوير الأبعـاد النفسية لشخصية المرأة وتطورها أو علاقتها بالمجتمع مـن حولها.. في هذا الإطار تصبح الـدراما النسـوية والرؤيـة النسوية عموما هي الرد الطبيعي والمنطقـي علـى مهمـة الوكالة التي ظل الرجل لقرون طويلة يقوم بها نيابـة عـن المرأة، متحدثًا عنها، معبرا عن مشاعرها وفقًـا لتصـوراته ومفاهيمه، متجاهلاً الاختلاف النفسي وطبيعة التجربة النسوية وحقيقة صمت النساء الظاهري، الصاخب.. الثائر في أعماق النفس..

ورغم أن مفهوم الدراما النسـوية لـم يكتسـب ذيوعـا ولا شهرة إلا خلال السـتينيات والسـبعينيات فـي القـرن العشرين ـ وتحديـدا فـي بريطانيـا والولايـات المتحـدة الأمريكية، كتعبير عن التمزق السياسي والفني حيث قـدمت ميجان تيري في نيويورك وكاريل تشرشل في لندن رؤيتـين

متميزتين للدراما النسائية ـ إلا أن جذور الـدراما النسـوية متأصلة في تاريخ المسرح. في هذا السياق لا يمكن تجاهـل مجموعة المسـرحيات التـي كتبتهـا الراهبـة هروسـفيتا Horosavita في القرن العاشـر، والتـي قـدمت صـورا لانتصار المرأة على الرجل ورؤيتها الساخرة لبعض أساليبه وأفكاره الساذجة بأسلوب متهكم بعيدا عن الوعظ أو مقولات رجال الدين.. كذلك يذكر التاريخ مسرحيات إلزا بـن فـي القرن السابع عشر ومسرحيات لكورا نوات في القرن التاسع عشر، اللتين عبرتا خلالها عن مشاعر الحيرة والارتباك في حياة المرأة، وناقشتا بعضا من الفرضيات التي تحكم مشاعر حياة النساء مثل أن النساء بلا حول ولا قوة.

وبدخول القرن العشرين، فرضت الحـرب والمتغيـرات السياسية والاقتصادية واقعا جديدا على المرأة عكسته الفنون المختلفة.. فلقد عايشت المـرأة فـي أوروبـا تمزقًـا بـين ما فرضته طبيعة الحرب العالمية الأولى عليها من ضرورة للخروج للعمل ـ لتشغل وظائف الرجال الغائبين على الجبهة ولتتحمل مسئولية الأسرة، الأمر الذي انعكس على شخصيتها وإدراكها لجوانب أخرى من الحياة لم تتعرف عليها من قبل،

ومنحها نوعا من الاستقلال الاقتصادي والتحرر والرغبة في تحقيق ذاتها الإنسانية - وبين قيم المجتمـع التـي لا تـدين المرأة التي تخرج للعمل وتصمها بالأنانية وإهمـال دورهـا الأساسي كربة أسرة وأم.. هذا التمزق الذي ظـل ومـا زال يؤرق المرأة حتى هذه اللحظة، فلم تنج منه سيدة في الشرق أو الغرب، وعبرت عنه الكاتبة المسرحية كاريـل تشرشـل عندما صرحت أنها كانت تشعر بالذنب لأنها استأجرت مربية لترعى أطفالها أم أن تكتب؟! وفي النهاية اختارت أن تتـولى رعاية أبنائها، على أن تتفرغ للكتابة فـي المسـاء بعـد أن يخلدوا إلى النوم.

في ظل هذا المناخ، عبرت الكاتبات عن هذه القضايا وفي عوامل التحول في نفس المرأة.. فظهرت مسرحيات تطالـب بحق المرأة في الانتخاب مثل مسرحية سـان جـون **هكـذا اكتسبنا حق التصويت**. وبحصول المرأة في إنجلتـرا علـى حق التصويت في عام ١٩١٨ وفي أمريكا عام ١٩١٩ أفـل نجم الدراما التي تطالب بحق الانتخاب.. كذلك فقد ظهـرت في عشرينيات القرن الماضي مسرحيات كشفت عـن عـالم المرأة، مثل مسرحية **الريش Plumes** لجورجيا دوجـلاس

جونسون التي عكست قيم المجتمع المزدوجـة، ومسـرحية **تفاهات Trifles** لسوزان جلاسبيل، والتي كشفت مساحة من العالم الداخلي للنساء.

ورغم أن المؤرخين يرون أن الدراما النسوية قد نـدرت ما بين عامي ١٩١٩ و ١٩٦٠، إلا أن بعض الكاتبات قدمن أعمالاً هامة لا يمكن تجاهلها في هذا السياق، مثل مسـرحية **مشاكل تأتي بها الرياح Troubles in the wind** (والتي أنتجت لأول مرة في عام ١٩٥٥) لأليس تشايلد رس Alice Child Ress وسجلت الكاتبة من خلالها احتجاج السود على الممارسات التي يواجهونها، ثم مسرحيات لورين هانسـبري Hansberry Loranie في نفس الفترة والتي رسمت مـن خلالها الشخصيات النسائية بخطوط حادة جريئة لتعبر عـن الظلم العنصري والهوة بين عالمي الرجل والمرأة الملـونين رغم أنهما يخضعان لنفس الظلم.. فمنذ المشـهد الأول فـي مسرحية "**زبيبة في الشمس**" يواجه المشاهد بإدانـة للمـرأة السوداء التي ساعدت على خلق الرجل الأسـود العـاجز... ولكن مع نمو الحدث يتكشف الظلم الواقع على روث بطلـة العمل نتيجة لأنانية الزوج وحبـه لذاتـه ليواجـه المشـاهد

بالعلاقة المعقدة بين التفرقة العنصرية والتفرقة الجنسية.

وفي بريطانيا وفي نفس الفترة تقريبا، ظهرت مجموعة من الكاتبات المسرحيات اللاتي تركن بصمة على مسرح المرأة، مثل جوان لتيلوود Joan Littlewood وشيلا ديلاني Shelagh Delaney وأن جيليكو Ann Jellico، ففي مسرحية جوان لتيلوود **أوه يا لها من حرب جميلة** (١٩٦٣) قدمت الكاتبة رؤية لعبثية وفظائع الحرب ومعاناة النساء، رغم نبرات الحماسة والمديح الزائف للحرب وأهميته لخلق رجال أفضل. وفي مسرحية شيلا ديلاني **طعم العسل** **The taste of Honey** تقدم الكاتبة الحياة اليومية لأناس عاديين من الطبقة العاملة، حيث يكون محور الصراع الضرورات اليومية، مثل الطعام والملابس والنوم.... إلخ، التي لا يلتفت إليها الكتاب باعتبارها أمورا تافهة وفي مسرحية **عندما يحب الأسد** **The lion in love** (١٩٦٠) لنفس الكاتبة والتي تدور في سوق، تقدم الكاتبة نسيج العلاقات بين الرجال والنساء والمرأة كطاقة للبناء والهدم من خلال مقاومة إخضاع الجنسين للأدوار النمطية أو للأكليشهات، كذلك استطاعت الكاتبة آن جيليكو في

مسرحياتها الثماني أن تحول الشعور بضعف المـرأة إلـى إدراك لقوتها، وأن تضع بعضا من سمات المسرح النسوي، من حيث تبني الشخصية النسـائية الأسـطورية والاحتفـال بالطقوس وتصويرها لعالم يسيطر عليه عنف الرجال، وإثارة بعض الموضوعات الخاصة بالمرأة واستفزاز وإثـارة قلـق المشاهد.

وعند الحديث عن الدراما في أوائل الستينيات، لا يمكـن إغفال اسم دوريس ليسينج Doris Lessing ولا مسرحيتها **اللعب مع النمر Play with tiger** (١٩٦٢)، التي تجسدت فيها كل خصائص المسرح النسوي التي عكسـتها الأعمـال التي سبق أن أشرنا إليها من حيث ظهور رؤية نسوية للعالم أو اسم ميجان تيري Megan Terry في أمريكا التي وظفت الكوميديا والغناء لمواجهة المشاكل الاجتماعية وقضايا المرأة بطريقة جذابة وقريبة للمشاهد..

وهكذا، وبظهور عشرات من الكاتبات وذيوع شـهرتهن، مثل ميجان تيري وكارل تشرشل وسوزان جـريفين وإيـف ماريام، تحدى المسرح النسوي الأفكار المسبقة، ولم يعد من الممكن تجاهل الدراما النسائية أو الاستهانة بها في النصـف

الثاني من القرن العشرين. فعلى مـدى السـنوات الماضـية اتضحت سماتها المحددة من حيث تحـدي منطـق تسلسـل الأحداث، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية والنفسية، والتأريخ لاستكشاف المناطق المجهولة، والعناية الفائقة باللغة والتحكم فيها، والاحتفال بالطقوس والأسطورة، والعمل مـن خـلال مفهوم الورشة أو العمل الجماعي، وطرح التجارب الحياتيـة البسيطة بمنظور أعمق وأوسع، والارتجال والتغييـر حتـى يصل النص لصورته الأخيرة (كما سيتضـح مـن خـلال شهادات الكاتبات التي سترد فـي تقـديم مسـرحيات هـذا الكتاب)، ومحاولة استعادة أصوات النساء، وإعادة صـياغة التاريخ من خلال التركيز على مظاهر الحياة اليومية البسيطة في حيز ضيق محدود، ومناقشة العلاقات الإنسانية بعيدا عن الصور النمطية وبعيدا عن فكرة الهجوم على الرجل أوإدانته كما يظن، وكما سنرى في هذا الكتاب فـي مسـرحية **أمـي قالت لا** لشارلوت كينلي ومسرحية **تصبحين على خير يا أمي** لمارشا نورمان، فالرجل بصورة أو بأخرى هو الآخر ضحية لمنظومة القهر التي تلف الجنسين.

والكتاب يضم خمس مسرحيات مع تقديم لكـل مسـرحية

ولكاتبتها، والمسرحيات طبقًا لترتيب ترجمتها الزمنـي هـي **فرجينيا** لإدنا أوبرين، **السـاحرات أو القـط تـوم** لكاريـل تشرشل، **أمي قالت لا** لشارلوت كيتلي، **تصبحين على خيـر يا أمي** لمارشا نورمان، وأخيرا **صورة ماريا** لليديا شيرمان.

والمسرحيات المختارة لهذا الكتاب مسرحيات متميـزة مـن حيث القضايا التي تثيرها أو الأبعاد التي تكشفها أو التكنيـك المسرحي المستخدم. ففي **مسرحيتي أمي قالت لا، وتصبحين على خير يا أمي** تتناول كل من شارلوت كيتلـي ومارشـا نورمان العلاقة بين الأم والابنة من منظور غير تقليدي، عبر الحوارات التي تكشف جزءا عن طبيعة عالم المرأة المنزلي، فتنزعان قناع السلام والرضا الزائف عـن وجـه بطـلات المسرحيتين، وتعريان تمزقهن ما بين حلم مجهـض وواقـع ثقيل الوطأة على النفس، والتردد ما بين حلم الخـروج مـن الجدران المغلقة لعالم أرحب وما بين الخوف من مواجهة هذا العالم الغريب والإحباطات الناجمة عن محاولة كسر الأطـر التقليدية المأمونة. وإذا كانت مسرحية **تصبحين علـى خيـر يا أمي** تدور في حيز لا يتجاوز المطبخ وغرفـة المعيشـة خلال ساعة ونصف تتبادل فيها جيسي والأم حوارا طـويلاً

تتكشف فيه أعماق نفس كل منهمـا، فـإن **مسـرحية أمـي قالت لا**، تلعب بمفهوم الزمن فتقفز باللحظة للوراء أو للأمام، وتتداخل الشخصيات الأساسـية فـي العمـل مـع مشـاهد الصغيرات وألعاب الصغار التي تبدو كحلم أو نبوءة؛ لتقـدم الكاتبة شارلوت كيتلي تكنيكًا مسرحيا متطورا مبهرا. وفـي مسرحية **فرجينيا** تتداعى اللحظات الشعورية في نفس البطلة لتقدم صورة للحياة الوجدانية بعيدا عن الزمن الواقعي. أمـا مسرحية **القط توم** والتي اخترت لها اسم **السـاحرات** فهـي تستدعي من بين صفحات التاريخ حوادث حرق مـن كـان يطلق عليهم ساحرات. ومن هذه الوقـائع التاريخيـة تنسـج كاريل تشرشل رؤيتها لواقع المرأة المطحونة أو المختلفة عن النمط السائد وكيف يحاربها المجتمع رافضا لاختلافها..

أما الكاتبة الكرواتية ليديا شيرمان فتقدم في مسرحيتها صورة ماريا صورة لانتهاك إنسانية المرأة خلال الحروب، وتغوص في أعماق الضحية المغتصبة لتعكس ـ وربما لأول مرة ـ معانـاة المرأة التي انتُهك جسدها وضاعت كرامتها. وتمزقها مـا بـين إحساسها بالجنين الذي تحمله كوصمة عار وبـين مشـاعر الأم الفطرية وإحساسها بطفلها حتى قبل أن تراه.

الجدير بالذكر أن ترتيب المسرحيات في هذا الكتاب قد تم طبقًا لجدول زمني تنازلي، حيث يبدأ الكتاب بأحدث مسرحية مترجمة ظهرت في عام ٢٠٠١ وينتهي بأول ترجمة تصديت لها في عام ١٩٨٢.

إن مجموعة المسرحيات التي يضمها هذا الكتاب، والتـي حققت نجاحا عند اللبس وسوء الفهم فيمـا يتعلـق بمفهـوم الدراما النسوية، ولكنها أيضا تغزو مناطق غريبـة ونرسـم خطوطها لتعكس الجانب المسكوت عنه في الحيـاة والقـوة الروحية للمرأة وأحلامها وإحباطاتها بعيـدا عـن الأنمـاط والأدوار المحددة التي تبتلع صرخاتها.. فكانـت المسـرحية وكانت الكاتبة، وأخيرا الترجمة.. مجرد محاولة لكسر حجز الصمت والخرس الصاخب...

سناء صليحة

١٠/ ٦/ ٢٠٠١

صورة ماريّا

(مونودراما عن فظائع الصرب ضد النساء).

تأليف

ليديا شيرمان هوداك

مقدمة المترجمة

عقب كل حرب تصدر عشرات الكتب التي تتناول أسباب الحرب ونتائجها وأسماء المعارك وأحيانًا الشـهداء وبعـض قصص البطولة. لكن أيا منها لا يتوقف كثيرا أمـام معانـاة المرأة في الحرب، اللهم إلا من حيث صورتها كـأم ثكلـى، أو أرملة شهيد، أو كأداة فعالة في الجبهة الداخلية حيث ترعى الأطفال وتقوم ببعض أدوار الرجال الغائبين على الجبهة.

هكذا ظل الحال لقرون طويلة، وما يزال مستمرا بصورة أو بأخرى.. فالتقارير وعمليات التغطية الإعلامية قد تشـير عرضا للمجاعات والتشرد أو الفرار بالأطفـال مـن جهـة لأخرى هربا من عمليات الإبادة الجماعيـة، ولكنهـا غالبـا ما تغض الطرف عن العنف الجسدي الـذي تتمثـل أقسـى درجاته وأبشعها في عمليات الاغتصاب، التي غالبا ما يشار إليها على عجل إذا اضطر الكاتب أو المراقب لذكرها مـن قبيل الدعاية أو تحطيم الروح المعنوية لجهة معادية..

والمؤكد إن الاغتصاب جريمة بشعة ترفضـها الأديـان ويدينها الضمير الجمعي سواء في السلم أو الحرب. ومع ذلك

فقد ظلت عمليات أسر واغتصاب النسـاء أثنـاء الحـروب مستمرة وكأنها أمر معترف به من قبل القيادات العسكرية بل والسياسية، بينما تجاهله المؤرخون وعلماء الاجتماع ووسائل الإعلام حتى الربع الأخير من القـرن العشـرين. بـل إن الموضوع عندما طرح في التسعينيات في إطار محاكمـات جرائم الحرب الدولية، ذُكر على استحياء في إطار الحـديث عن الجرائم التي ارتكبت وتعتبر انتهاكًا لحقوق المدنيين.

في هذا الإطار وبهذا التبسيط المخل يـتم تجاهـل عـدة حقائق..

فالاغتصاب ليس عاطفة أو شهوة أخطأت الطريق.. إنـه في حقيقة الأمر أول وأخطر السلوكيات العدوانية التي تنتزع إنسانية المرأة وتنتهك حقها في تقرير مصـيرها وتحولهـا لمجرد أداة لا قيمة لها، اللهم إلا إشباع شهوة الزهو والقـوة والانتصار المزعوم وامتهان كرامة شعب أو فئة أو عشيرة.

ورغم أن التوقف أمام عمليات الاغتصاب الجماعي لم يتم إلا مؤخرا (وتحديدا في تسعينيات القـرن العشـرين) أثنـاء المحاكمات الدولية لجرائم الحرب التي ارتكبت في يوغسلافيا ومن خلال تقارير مراقبي الأمم المتحـدة للأوضـاع فـي

رواندا، إلا أن الأوضاع التي سلطت عليها الأضواء مؤخرا إنما تعكس في حقيقتها ما عانته النساء عبر العصور وجـاء عرضا في الأوراق القديمة ـ مثل الإلياذة ـ عنـدما كـان مصير المرأة في أي حـرب خاسـرة: الأسـر والعبوديـة أو الاغتصاب، حيث كانت المرأة تعتبر مجرد غنيمة حرب. وترى الباحثة سوزان براون ميللر في دراسة عن اغتصـاب المرأة أن انتهاك جسد المرأة كان دائما دليل نصـر لرجـل وهزيمة لآخر، فكان الدفاع عن المـرأة باعتبارهـا مجـرد ممتلكات دليلاً على النجاح الذكوري، بينما يندرج اغتصـاب المرأة تحت بند امتهان رجولة الذكور.

الغريب أن هذا المفهوم البشع لإثبات القوة والنصـر لـم يتغير كثيرا مع تدرج الإنسان في مراحل الرقي الحضـاري والتقدم التكنولوجي. فقد شهد القرن العشـرون العديـد مـن الجرائم التي انتهكت فيها حرمة جسد المـرأة سـواء أثنـاء الحرب العالمية الأولى أو الثانيـة (حيـث قـدرت حـالات الاغتصاب الجماعي في برلين في الحرب العالميـة الثانيـة بمائة ألف حالة، وفي مدينة نانكنج في الصين عندما دخلهـا الجيش الياباني بـ ٢٠ ألف حالة، بالإضافة إلى أسر أكثـر

من ٢٠ ألف امرأة وطفلة في سن الثانية عشرة تم حجـزهن في معسكرات للترفيه عن الجنود فـي منطقـة الباسـفيك) أو أثناء الصراع العربي الصهيوني في مدن وقرى فلسطين، أو في رواندا أو يوغسلافيا مؤخرا.

ففي إطار الحرب اليوغسلافية فـي التسـعينيات تحـول الاغتصاب إلى سياسة عسكرية. فالتقارير التي جاءت علـى لسان مراقبي الأمم المتحدة حول انتهاكات حقوق الإنسـان، ووقائع جلسات المحكمة الدولية لجرائم الحرب في عـام ٩٣ وما تلاها، تؤكد أن تلك الحرب كانت حربـا علـى أجسـاد النساء.

فمن بين الحقـائق التـي تكشـفت، أن معظـم حـالات الاغتصاب حدثت في خريف ١٩٩١ ونهاية عـام ٩٣، وإن تركزت في الفترة ما بين أبريل ونـوفمبر ٩٢. ورغـم أن حـالات الاغتصـاب شـملت المسـلمات والكرواتيـات والصربيات، إلا أن معظم الحالات كانـت ضـحاياها مـن مسلمات البوسنة وهرزوجوفينا، وقد ارتكبها العامة والجنـود ورجال الشرطة الصربيون.

ورغم أنه لا توجد إحصائية دقيقة تحـدد عـدد حـالات

الاغتصاب التي وقعت أثناء تلـك الفتـرة، إلا أن الاتحـاد الأوروبي رصد مائتي ألف حالة، بينما قدرت وزارة الداخلية البوسنية العدد بخمسين ألف حالة تقريبا.

وقد رصدت التقارير كيفية وقوع حـالات الاغتصـاب، وحددتها في: عمليات الهجوم على المنـازل قبـل انـدلاع الحرب لترويع الأقليات العرقية وإجبارها على الفرار، وأثناء غزو القرى، وأثناء احتجاز وأسر النسـاء، وأثنـاء الفـرار والإقامة في معسكرات اللاجئين، وأخيرا أثناء احتجاز النساء في معسكرات القوى المعادية لإجبارهن على الترفيـه عـن الجنود ثم قتلهن. وقد ورد في أحد التقارير أنه قد تم احتجاز عدد من السيدات في أحد المعسكرات لمدة ستة أشهر، وكان يتم اغتصابهن كل ١٥ يوما عند عودة الجنود من المعركة!!

وبعيدا عن الأرقام والإحصائيات، وبالنظر لكل حالة مـن حالات النساء المغتصبات، يمكن الاقتـراب أكثـر وإدراك ما عانته المرأة على المستوى الجسدي والنفسي فـي تلـك الحرب الملعونة، والتي يمكن القياس عليها في أكثر من حالة سابقة.. فلقد كان الاغتصاب يتم دائما بصورة جماعية وعلى مرأى من أفراد أسر الضحايا اللاتي تراوحت أعمارهن بين

٧ و ٦٥ عاما، مع التركيز على العذارى فيما بين ١٣ و ٣٥ سنة. وكانت الضحايا يتعرضن لتعذيب وحشي، وكثيرا ما تم قطع أثدائهن، أو بقر بطونهن، أو تقديمهن على صورة نساء صربيات تم اغتصابهن من قبل الكروات أو المسلمين..

الأكثر من ذلك، أنه في كثير من الحالات كانت الضحية تتعرف على مرتكبي الجريمة، الذين كانوا جيرانًا أو زملاء أو معارف عاشوا في نفس المنطقة قبل اندلاع الحرب. وكثيرا ما كانت الضحية تجبر على الاحتفاظ بالجنين رغم معاناتها ورفضها النفسي له. وتشير الكاتبة كاثرينا مولير في دراستها التي ظهرت تحت عنوان **المرأة والحرب والاغتصاب** إلى أن الهدف من عمليات الاغتصاب أثناء الحرب هو إلحاق الإهانة بالجبهة المعادية، وإرهاب المدنيين وإجبارهم على الفرار، وإنجاب جيل ثان من الأطفال المخاطين كسياسة للتطهير العرقي.

يحدث هذا ويتناسى إنسان العالم المتحضر حجم الجريمة التي يرتكبها في حق المرأة لمجرد تحقيق انتصار سياسي أو ذكوري رخيص.. وبعيدا عما يؤكده العاملون في مجال الصحة أو ما تنص عليه المعاهدات الدولية واتفاقيات حقوق

الإنسان وإدانة التعذيب الجسدي، لم يتوقف إلا البعض ليرقب مليا الحالة العاطفية والنفسية للضحية، ومن هؤلاء كاتبة هذا العمل، ليديا شيرمان هوداك.

لم يعن الضمير الذكوري في إطـار مشـاغله بالقضـايا السياسية والمعارك الحربية بالتوقف أمام وضع الضحية التي تتحرك في إطار ثقافي يدينها رغم كـل شـيء، ويرفضـها ويدفعها للتخلص من حياتها أحيانًا رفضـا لحيـاة المهانـة، أو يضطرها للحياة منبوذة وحيدة في أحسن الظروف..

لم يتوقف ليبحر في أعماق نفس ضـحية تحمـل طفـلاً ترفضه لأنه دليل حي على لحظة امتهان إنسانيتها وتحطـيم الحلم.. لم يحاول أن يتعرف على إحساس امرأة تشعر بدبيب حياة جديدة في جسد بلا روح.. علـى المـرارة والصـراع ما بين إحساس الأم الفطري بجنينها.. طفلها.. وإحساسها به كوصمة!!!

وإذا كان الباحث نيك جوردون قد طرح منذ سنوات فكرة محاولة حل مشاكل العالم السياسية العسكرية وفهم أبعادهـا والتنبؤ بآثارها من خلال الأدب، وبدأ بالفعل في إعادة قراءة وتحليل بعض أعمال شكسبير وجورج أورويل وتولسـتوي

من هذا المنظور، فإن الكاتبة الكرواتية ليديا هـوداك سـواء عن علم أو غير علم برأي جوردون، قـد اسـتطاعت فـي مسرحيتها **صورة ماريا** أن تنقل بصورة حية موجعة ما لـم تستطع أن تعبر عنه مئات التقارير والأخبار المؤلمـة التـي رصدت الحرب في يوغسلافيا، وأن ترسم بريشـة المـرأة صورة حقيقة لأعماق نفس ضحايا جريمة الاغتصاب ومآسي أطفال الضحايا.

فمع كل خط أو بقعة لونية تضعها ماريا علـى لوحتهـا يتكشف جزء من الماضي، جزء مـن طبيعـة الشخصـيات المؤثرة التي لا تظهر على خشبة المسرح، وإن كنا نتعـرف عليها الواحدة تلو الأخرى من خلال كلمات البطلة المتناثرة، وقفزاتها بالزمن في ترتيب غير متتابع، لتعيد للذاكرة فكـرة أن زمن المرأة زمن دائري لا يسير في خط مستقيم.. ومـع كل بقعة لون تكتشف ماريا جزءا من نفسها، ومن علاقتهـا بابنتها الصغيرة، التي يتجسد وجودها المادي الوحيـد فـي كلمات ماريا وذكرياتها، ولوحة تذوب خطوطهـا وألوانهـا لتمتزج مع خط الأفق.

تتكشف عذابات ماريا الصاخبة وهروبها مـن مواجهـة

حقيقة مأساة ابنتها لتوشيا، التي ظلت صامتة حتى النهاية ولم تنطق بكلمة إلا عندما أشارت بكلمات مبهمة عـن طفلتهـا الصغيرة الوحيدة العارية في عالم قتل حلمها وامتهن جسدها.

إن مونودراما **صورة ماريا** لا تجسد فقط موهبة الكاتبـة الدرامية وقدرتها على خلق حياة كاملـة حافلـة بالمشـاعر المضطربة المتناقضة والشخصيات المـؤثرة علـى خشـبة مسرح شبه خالية وعلى لسان شخصية واحدة، ولكنها أيضـا صرخة احتجاج عالية مدوية تطرح أكثر من تسـاؤل حـول قضايا تمس جوهر الإنسان وتضع المرأة وقضية الاغتصاب ومصير أبناء ضحايا هذه الجريمة البشعة في بؤرة الإدراك.. ومن يدري فقد يأتي اليوم الذي يستعيد فيه صناع الحـروب جزءا من إنسانيتهم فلا تصبح أشلاء أرواح النساء وجثـثهن هالات لانتصاراتهم المزعومة..

سناء صليحة

١٠/ ٤/ ٢٠٠١

المؤلفة في سطور

ولدت الكرواتية ليديا شيرمان هوداك في مقاطعة سريجم (Srijem) وانتقلت ما بين مناطق سـالومينا وفيربـك فـي يوغسلافيا. درست الاقتصاد وحصلت على درجتها الجامعية من جامعة أوسجيك (Osijek) وعملت في مجال الكومبيوتر والتدريس.

كتبت العديد من المسرحيات والسيناريوهات وروايتين..

قائمة أعمال الكاتبة:

سيناريوهات:

- **أنا (طائر أعلى الشجرة).**
- **مستر هيرمان يقرأ شبيجل.**
- **الثعبان يلتف على العنق** (١، ٢).

المسرحيات:

- **أنا (طائر أعلى الشجرة).**
- **صورة ماريا** (ترجمت للألمانية وعرضت في مسرح أوسيجيك في ١٩٩٩؛ كما قُدمت في إعـداد باللغـة

الفارسية في طهران عام ٢٠٠١).

- **لا بد أن أسرع** (كوميديا، عرضـت فـي مسـرح بلجوفار في مارس ١٩٩٩).

الروايات:

- **الثعبان يلتف حول العنق** (زغرب ١٩٩٩).
- **الثعبان يلتف حول العنق** (الجزء الثاني ـ زغـرب ٢٠٠٠).

تعيش الكاتبة في أوسيجيك، وتعمل بالترجمة مـن وإلـى اللغة السربوكرواتية واللغة الألمانية.

الشخصية

ماريا: في حوالي الخمسين من عمرها.. وجهها شـاحب معذب وعيناها حزينتان.. شعرها ثقيل، تربطه علـى شـكل ذيل حصان منخفض يغطي عنقها، ترتدي رداء رخيصا من أردية المرضى في المستشفيات يماثل معطفًا منزليا، وتنتعل خفا باليا. لا ترتدي ماريا أسفل المعطـف سـوى ملابسـها الداخلية.

الزمن: ظهيرة أحد أيام مايو عام ١٩٩٢.

المنظر: حجرة بسيطة في مستشفى يغمرها ضوء نهـار لا يشي بأية بهجة. غطاء الفراش مشعث ومـزاح للـوراء. توجد جيب "تنورة" ثقيلة قديمة وبلوزة بسيطة وبلوفر علـى الفراش. بجوار الفراش حذاء رياضي. فـي ركـن الغرفـة صنبور ومرآة وصندوق قمامة.. توجد نافـذة مفتوحـة وإن توارت خلف الستائر التي تحركها نسمات شهر مايو. علـى الكومودينو المجاور للفراش الكتاب المقدس. بـالقرب مـن النافذة لوحة لم تكتمل تستند إلى حامل الرسم، تصور سلويت لفتاة ترتدي ثوبا صيفيا يداعبه النسيم.. ألوان اللوحـة أشـبه

بالباستيل الفاتح، حتى أن الألوان والخطوط تذوب وتمتـزج مع ألوان النهر والسماء والأفق في خلفية اللوحـة، ليصـبح شعر الفتاة هو البقعة الوحيدة الداكنة في اللوحة. وجه الفتـاة لا يظهر واضحا وإن كان يعكس شحوبا ودرجـات اللـون الرمادي.

المشهد الأول

تدخل ماريا الحجرة تسير ببطء في خطوات ثقيلة، تبـدو شاردة. تحمل في يدها وثيقة سبق أن كتبت بياناتهـا. تتجـه ببطء نحو الفراش وكأنها تسترق السمع لشيء ما، بينما يتردد صوت له رنين معدني أشبه بتسجيل.. نبرات الصوت رسمية وغير منتظمة..

عندما ترينها سيبهرك جمالها.. إنهـا صـغيرة للغايـة، شعرها أسود فاحم.. إنها صغيرة رائعة.. لا بد وأن تريها.. إنها تشبه ابنتك.. الحقيقة إنها تشبهك (**ماريا تبـدو متشـككة تجاه شيء ما**) في البداية فكرنا أنه سيكون من الأفضل لـو أنك أخذتها.. هذا لو أمكنك بالطبع، فأنت الآن من النـازحين (**صمت**) ولكن ليس لها غيرك، وإذا لم تأخذيها سيكون التبني الحل الوحيد.. لو أن والدها كان حيا، لكن زوج ابنتك مات، وأسرته كما سمعنا.. (**تجلس ماريا برفـق علـى الفـراش وتضع قصاصة الورق على حجرها وكأنها مغيبة.. تنصت**) قد يكون التبني أفضل حل للصغيرة.. كل ما عليك هـو أن توقعي على أوراق الموافقة على التبني.. إنك وليـة أمرهـا

الآن طبقًا للقانون، فليس لي أحد سواك (**صمت**).

(**صوت خشخشة الأوراق**).

في الحقيقة إنها لا تحمل اسما.. نـدعوها باسـم ابنتـك الراحلة.. حتى تتم إجراءات التبني.. إذا وافقت، فـإن كـل المطلوب منك مجرد التوقيع على الأوراق..

(**بدون وعي تنزلق الورقة من بين يدي ماريـا وتسـقط على الأرض. تنظر إليها ثم تنهض ببطء وتنحني لتلتقطها، ثم تتجه نحو الكومودينو، تسير نحو النافذة وهي غارقة في أفكارها**).

(**تتحدث ماريا في صوت رقيق**) كان يوما يشبه هذا اليوم بالضبط.. في مايو (**تتذكر**) لا.. بالقطع لم يكن مايو.. لا بـد وأنه كان في يونيو.. إنه يونيو الذي تزهر فيه أشجار التوت الأزرق في الجبال.. تلك الحبات الداكنـة الجميلـة، بينمـا الدانوب ينثال في هدوء ودفء تحت شمس الصيف (**تـزيح الستارة جانبا وتنظر عبر النافذة**) كان اليـوم أشـبه بـذلك الصيف البعيد الذي انتظرت فيه القطار مع أمي في محطـة القرية (**تتحدث في بطء مأخوذة بالـذكريات التـي تتـداعى إليها**) بجوار مبنى المحطة وقفت أشجار الكستناء العالية التي

طاولات تيجانها سقف المحطة.. في ضباب الصباح الباكر وقفت فتاة بجوار القضبان.. وقفت.. تنتظر (**تبتعد عن الستارة وتتجه صوب اللوحة**) كانت ترتدي ثوبا قديما بهتت ألوان وروده (**تتذكر**) كانت في السادسة أو السابعة عشرة.. لا أتذكر بالضبط.. وقفت تنتظر قطار الصباح في المحطة شبه الخالية.. وكنت أنا وأمي ننتظر.. لفنا الضباب وذابت الألوان الشاحبة وتداخلت.. ثوب الفتاة.. أشجار الكستناء.. الحشائش.. حقل زرع بعلاق الماشية في عام سابق.. وطريق بعيد تحفه الأشجار.. بجوارها، قبعت سلتان كبيرتان.. أزاحت عن إحداهما قطعة قماش حال لونها، والتقطت حفنة الكريز الأحمر الناضج، كان لونه أقرب للسواد.. كل ما حولها بدا ملفوفًا في الضباب بينما هي (**مأخوذة بذكرياتها**).. كانت لوحة كاملة بكل تلك الحبات الداكنة الأقرب للسواد التي حملتها في يدها في ضباب صباح مشمس.. فكرت أنني لا بد وأن أرسم ذات يوم ذلك الصيف السلوفاني وحبات الكريز الناضجة القانية مثل الدم.. لا بد وأن أرسم تلك الحشائش وقمم أشجار الصيف المحملة بالغبار! رائحة الصيف.

(**ماريا تبتسم ابتسامة باهتة.. مجرد أثر لورود مثل هذه الفكرة)** أرسم روائح!

(**تتجه صوب حامل الرسم وتلتقط الفرشاة وهـي شـبه مغيبة.. تتفحص الرسم بدقة ثم تضـرب بفرشـاتها عـدة لطشات).**

(المشهد يستمر أمام اللوحة.. صوتها معبر، هادئ).

الرسم، هو أفضل الحلول.. لتشـعري بالسـعادة، لأنـك تستطيعين أن تعبري عن نفسك في صورك (**تضـع بضـع لطشات أخرى)** هذا ما قالته طبيبتي النفسية. أنت محظوظـة لأنك غير مضطرة للبحث عن الكلمات.. أنت تتعرفين علـى نفسك في رسوماتك.. تجدين نفسك.. ارسمي الشـيء الـذي أردت أن ترسميه أكثر من أي شيء آخر.. ارسمي ما أردت أن ترسميه دائما.. إننا جميعا نحمل بـداخلنا صـورا مـن حياتنا.. كل ما عليك أن تستدعيها لتعبري عنها.. كل الأشياء تبدو أقل بشاعة عندما نواجهها، عندما نقف وجها لوجه أمام مشاعرنا وأفكارنا.

(**تخلط الألوان وتضرب لطشات هنـا وهنـاك)** طبيبتـي النفسية هي الأخرى نازحة (**ترسم بتركيـز يتزايـد، فتبـدو**

الكلمات وكأنها تخرج عرضا أثناء فترات التوقف) إنها مـن بارنابيا... عندها طفلان وزوجها متعطل.. تعاني من مشاكل سن اليأس والمشاكل المادية ومع ذلك ما تزال تضحك. تدخل وتجلس على الفراش وتضحك وتقول "أنا طبيبتـك النفسـية. اسمي كاسينا" تنظر إلى هذه اللوحـة وتقـول فـي هـدوء "لا داعي للمبالغات الدرامية، فالحياة فيها مـا يكفـي مـن الدراما.. إن الحياة نفسها، شكل من أشكال الشـجاعة التـي تحتاجها لنقاوم.. أنت لا تحتاجينني.. لست بحاجـة لطبيـب نفسي.. لقد تجاوزت الإهانة والألم ومـا زلـت علـى قيـد الحياة.. في أعماقك ما يكفي من القوة.. تحدثي مع نفسـك، مع رسمك" (**تخلط الألوان**) ثم تقف كلتانا أمام اللوحة (**تقلـد الوضع بصورة لا واعية**) ننظر إليها.. كلتانا تنظـر إليهـا وكلتانا لا ترى الصورة.. وكأنها تعرف شـيئًا مـا، لكنهـا هادئة، لا تقول شيئًا.. هادئة تماما، وكـأن الألـم مـألوف لكلتينا.. تقول "يجب أن نواجه الحقيقة الكامنة في أعماقنـا.. يجب أن نعبر عن الحقيقة.. الحقيقة العارية".. (**تضع ماريـا الفرشاة جانبا.. تقف بجوار النافذة وتنظر عبر الستارة)**...

(**صوتها يحمل إحساسا بالذكرى ونبرة الاعتـراف)** كانت

حديقة واسعة خضراء بجانب بيتي القديم الذي بناه جدي منذ زمن بعيد على الطريق، على شكل حرف اللام (L) وبـنفس الطراز السلوفاني التقليدي. كانت الحشائش والورود وشجيرة التوت الأرجواني الداكن بجوار شرفة المدخل الطويلة ويمتد ظلها إلى الفناء الخلفي (**تبتسم وترفع كتفيها قليلاً)** هكذا كان الطراز السلوفاني، وفي نهاية الحديقـة مسـاحة مزروعـة بالخضر، كان ماتو دائما يأتي عبر حديقة الخضر ويمر من بين شجيرات التوت الأرجواني التي تفصـل بـين حـدود أرضهم وأرضنا. كبرا سويا، ماتوا ولوتشيا. والآن وبعد أن انتهى كل شيء، أشعر أنهما كانا يحبان بعضـهما الـبعض دائما... كان كل منهما وببساطة ينتمي للآخر.. تماما مثـل نهر الدانوب والسماء، ولكن يبدو أنني لم ألحظ ذلك (**تشـعر بحرج. تواصل المونولوج بصعوبة)** حتى كان ذلك اليـوم. كنا في الشرفة وقد عاد ماتو من الجيش الشعبي اليوغسلافي عندما أينعت بشائر التوت الأرجواني.. جاء عبر الشجيرات، عبر الأشواك، وحديقة الخضر والفناء. سار بقدمين عاريتين مثل طفل صغير.. قال نهاركم سعيد.. ومثلما اعتـاد دائمـا جذب لوتشيا من شعرها. رفعت رأسها وصاحبت: "مـاتو"،

وفجأة احتضنته. يبدو أنهما أدركا في تلك اللحظة.. وفجـأة شعرت لوتشيا بالخجل.

قلت "سأحضر لكما ليمونادة يا أولاد" واتجهت للمطـبخ. أدرت ظهري للفناء وعصرت الليمون، كانا يقـولان شـيئًا واختلطت الأصوات بالضحكات، كانا سـعيدين كالأطفـال.. خجلين، لكنهما لم يعودا طفلين.. اضطربت (**تـتكلم برقـة**) طفلتي الصغيرة!. كانت طفلتي الصغيرة تقول أشياء هامـة وتنصت إليه.. لم أرد أن أختلس السمع ولو بالصدفة، فأدرت الراديو.. كانا يكرران الأخبار عن المذابح خـارج كنـين. (**يزداد توترها**) بعد توهج الحـرارة فـي الشـرفة شـعرت بالبرودة في البيت شبه المظلم (**تبذل جهدا لتهدأ**) بينما كنـت أقف في وسط المطبخ وفي يدي الدورق الذي تغطيه غباشـة باردة من قطرات الندى. كنت أعرف أنهما يقفان بالقرب من الشرفة.. عاريي القدمين، متقـاربين، مكتفيـين بنفسـيهما.. مضطربين.. صغيرين.. كان بإمكاني أن أغلق عينـي وأن أرى الصورة.. زهور الجرانيوم الحمـراء فـي أصصـها والورود بجوار الشرفة، شاحبة في وهج الشـمس.. وهمـا، كلاهما يكاد أن يكون طفلاً، كانا مثل يمـامتين رمـاديتين،

جزءا من الصورة.. فكرت أنني لا بد أن أرسمها (**ترتجف. تسير هنا وهناك.. تلتقط الفرشاة ثم تعيدها مـرة أخـرى.. تواصل القصة.. تصبح أكثر توترا**).

في تلك الأيام بدا الوقت قصيرا مشحونًا.. ذهبـا للجبـال وعبرا الدانوب لضفة النهر الأخرى الرملية، عادا منهكـين من الشمس، لونهما بني مثل التوت.. وبينما كنـت أنتظـر عودتهما خبزت الخبز مرة أخرى في الفرن الحجري. علـق ماتو أرجوحة على شجرة الخروب العتيقة.. وفي الماء كنـا نجلس سويا في الشرفة، نتطلع للنجـوم ونحـاول التعـرف عليها. أحيانًا كنت أشعر أن الزمن توقف. لكن ذلك لم يستمر طويلاً.. في إحدى الليالي دوت طلقات الرصـاص (**ماريـا ترتعد**).

(**تعود للنافذة متخذة نفس الوضع القـديم حيـث تعقـد ذراعيها على صدرها**) في اليوم التـالي توالـت الأحـداث بسرعة مذهلة (**ترتعد**) دخل الجـيش اليوغسـلافي القريـة. انسحب حوالي ١٥ أو أكثر من رجال الشرطة مع عـائلاتهم واحتموا بمبنى نقطة الشرطة. أطلقت الدبابات النيران علـى المبنى من مدى قصير، رغم وجود النساء والأطفـال مـع

رجال الشرطة.. اندلعت النيران في بعض المنازل.. كانـت الانفجارات تدوي في كل مكان.. طلقات البنادق.. الأوامـر الصارمة.. اللعنات (**ماريا تجد صعوبة في الاسـتمرار فـي المونولوج وتتزايد الصعوبة تدريجيا)** كانت لوتشيا في بيت ماتو.. في الغروب عادت للمنزل مهرولة عبر الحديقة. لـم أسمع نداءها لي حتى وصلت إلى الشرفة الخارجية. كانـت مخنوقة بالبكاء (**ماريا تنطق المونولوج بصـعوبة)** كانـت تهذي، بها خدوش وثوبها ملطخ بالدم. كانت الخدوش علـى ذراعيها وساقيها تنزف وبصورة مـا دار فـي رأسـي أن الأشواك وخزتها وأنه كان يجب علي أن أشـذب شـجيرات التوت الأرجواني في آخر الحديقة. حاولت أن أهدئها وفهمت أنها تتحدث عن ماتو وأن شيئًا مروعا قد حدث.. رفضت أن تنتظر.. رفضت أن تبقى وحيدة في المنزل.. كانت تبكي في هيستريا وهي تشد يدي لتجذبني.. وذهبنا عبر الفناء وحديقة الخضر والشجيرات، كانت تصلنا أصوات الطلقات وصـياح وغناء وحشي (**صمت يعكس إحساسا بالمرارة والألم)**.

وجدنا ماتوا في الفناء. كان مسجى علـى وجهـه علـى الحشـائش وقبضـته مطبقـة وبجانبـه كلبـه.. قتلوهمـا

بالرصاص.. خربوا المنزل وحملوا أباه وأمه بعيدا ورسموا على حائط منزل ماتو، بدمه حرف U (يو) دلالة على كلمة أوستاشي (Ustashi)[1]**(ماريا مزعزعة الـنفس.. تلـتقط الإنجيل وتقلب صفحاته بسرعة، حركتها متصـلبة.. تـتكلم ثانية وهي تنظر إلى الفـراغ)** الباقون منا، دفنوه مع حلـول المساء. سرا.. في تلك الأثناء كانت لوتشيا قد ذرفـت كـل دموعها وارتدت السواد. أخذوا الكثيـر مـن جيراننـا فـي الشارع.. وحتى القسيس.. كان عندي إنجيل **(تأخذ الإنجيـل من على الكومودينو وتفر صفحاته دون هدف)** قرأت منـه وإن لم أنطق الكلمات، أو لعلني لم أستطع أن أنطقها. نظرت إلى لوتشيا وهي تقف بجوار فتحة القبر شبه المسطحة. فجأة بدت صغيرة جدا، ضائعة وصامتة. كان الخوف يلفنا جميعا، ولكنها بدت وكأن شيئًا لم يعد يهمهما.. كانت صماء، عمياء ولم أدرك السبب **(ماريا تبكي في صمت. تضع الإنجيل جانبا وتمسح دموعها بذراعها.. تخفت الأضواء).**

---

[1] منظمة إرهابية يمينية من اليوغسلاف في المنفى تهدف للقضاء على الشيوعية في يوغوسلافيا.

(يسطع ضوء بارد بلا بريق. ماريا تقـف مـرة أخـرى بجوار النافذة. ذراعاها مضمومتان إلى صدرها. بصـعوبة تغير الموضوع).

تجلس طبيبتي النفسية على الفراش وتتحدث: "أخرجونـا من المحكمة كان ذلك في البدايات الأولى. وكنت قبل ذلـك بأيام في زغرب مع ابنـي.اعتقـد الأطبـاء أنـه مصـاب بالهيموفيليا، فهرعنا إلى زغرب لإجراء التحاليل. لـم تكـن هيموفيليا تقليدية، ولكنه يفتقد بعض العناصر في دمه. عـدنا للبلادة ثم توالت الأحداث بسرعة. لم نحمل معنـا أي شـيء، وبصعوبة شديدة أمكننا أن نأخذ معنا وثائقنا. كنت لسنوات قد جمعت بيانات عن مرضاي، كانت مصنفة ومنسوخة.. قاعدة بيانات حقيقية.. كنت أريد أن أضعها في كتاب.. شيء أشبه بالدليل للمحلل النفسي" (**تصمت**).

طبيبتي النفسية شعرها رمادي قصير أشبه بشعر الأولاد. عيناها سوداوان معبرتان ووجهها مستدير.. عندما تتحـدث تفتح كفيها الكبيرين.. وجودها يشعرني بـدفء، لا أدري إن كان السبب أنها أطول مني وأصلب بنية أم بسبب ابتسـامتها أو روحها. في أول يوم لم نتحدث أي منا كثيرا، فلـم أكـن

على استعداد لأن أقول شيئًا.. واحترمت هي صـمتي.. الآن أجدني أبتسم أحيانًا لمجرد أنها تبتسم وهي تتكلم (**تتذكر**) تبدو كما لو كانت تملأ الغرفة بالنور. تقول ببساطة "أنا لا أستطيع أن أمنحك سلام النفس، لا أحد يستطيع أن يعطي ذلـك لأي شخص.. ولكنك تحملينه بداخلك وعليك وحـدك أن تعثـري عليه يجب أن تستعيدي نفسك.. يجب أن ترسمي؟

(**ماريا تعود للوحة**).

عندما كنت في المدرسة الثانوية شاهدت فيلما عـن فـان جوخ (**صوتها يشي ببهجة**) غربان تحلق فوق حقول القمـح (**ترسم في هدوء وتسرد فـي لهجـة تقريريـة**) رسـمتها واستغرق ذلك ربيعا كاملاً وفصل الصيف بطوله.. بالألوان الزيتية، بدرجات ثقيلة كثيفة وطبقات من اللون (**ترفع كتفيها وترسم**) كانت أثقل مما يجب بالنسبة لهذا الجزء من العـالم (**ترفع كتفيها ثانية وتعاود الرسم**) اعتقدت أنها ملونة أكثـر من اللازم. ثم تأثرت به (**مونيه**).. بـ (**جراس**) ولكني لـم أفلح مرة أخرى.. أنهكتني الألوان الزيتية.. جربت الألـوان المائية، لكن لوحاتي كانت بلا روح.. كانـت بـلا معنـى.. خاوية. فكرت أن أكتفي برسم خلفية اللوحة.. نماذج (**تضحك**

بابتهاج) ثم دخلت لوتشيا المدرسة (**تضحك ثانيـة)** فرسـمنا سويا وكان ماتوا يأتي إلينا عبر حديقة الخضـر والفنـاء.. طوال الصيف (**تصمت متذكرة.. تتوقف عن الرسم.. تضـع الفرشاة جانبا.. تتردد)**..

(**تتجه ماريا للنافذة مرة أخرى وتزيح الستائر جانبـا.. تميل على حافة النافذة.. تبذل جهدا للعثور على الكلمـات.. تأتي الكلمات كنوع من الإدراك والاعتراف)**..

اعتدنا في كل عام أن نذهب لكنيسة أم المخلـص.. كنـا نذهب في الصباح الباكر على دراجاتنا عبر الطريق المترب في الجبال أو سيرا على الأقدام في الممر المجاور للحدود ـ لم نذهب قط (**في لهجة تأكيد)** بعربة أو أية وسيلة مواصلات عصرية.

كنا نسير سعداء ونحن نرتدي ملابـس الأعيـاد. كـانوا يسألون في كل عام نفس السؤال "هل ستذهبين أيضا لمعرض اليوم الواحد في عيد القديسة؟" نفس الكلمات في كل عـام.. نفس الطريق في كل عام، في اليوم المقدس لتجلي العـذراء. بعد الصلاة كنا نسير عبر شوارع القرية الضـيقة المغطـاة بطبقات من الرواسب الطينية (**تتذكر كل شيء بسعادة)** عادة

ما كان القرويون يعثرون أثناء حفرهم للآبـار علـى قطـع سيراميك وأقداح معدنية ومجوهرات يرجع تاريخهـا لـزمن بعيد. كان اسم أحد الشوارع الشارع الذهبي (**تتكلم في لهجة حالمة**) وراء الكنيسة حفر الدانوب مجـرى للنهـر وكـان الصيادون يربطون قواربهم إلـى جـذوع أشـجار الحـور الطويلة. مع اقتراب موسم الفيضان كان ماء نهـر الـدرافا يرتفع ليبدو وهو ينحدر إلى نهر الدانوب مثل السلم، حيـث يذوب ويتوارى ويفقد سعرته ولونه في مياه الدانوب (**تتحدث بلهجة من يدخل إلى لب القصة**) دائما كان يدعونا شخص ما للدخول، لنجلس في الفناء تحت أشجار الجوز ونشرب القهوة ونتناول شيئًا وكأننا حجاج حقيقيون.. كان كل شيء بصورة ما يتألق.. كان كل شيء يعكس الإحساس بالعيـد.. (**تجفـل فجأة.. تدير ظهرها للنافذة.. إنها الحقيقة المريرة**) عنـدما حل يوم عيد تجلي العذراء أثناء الحرب لـم نجـرؤ علـى الخروج من المنزل. فالأيام طويلة حاولنا ألا يكون وجودنـا محسوسا.. سمعنا أن كنيسة أم المخاص قد دمرت، وبالتـالي لم نذهب في ذلك اليوم لأي مكان (**تتكلم ببطء لتعكس مرارة الإدراك وصعوبة الاعتراف بشيء ما**) في ذلك الصباح، في

يوم عيد تجلي العذراء، تقيأت لوتشيا لأول مرة.. نظرت إلي بعينين ذليلتين ثم اغتسلت وخرجـت للفنـاء دون أن تقـول كلمة.. فيما بعد رأيتها تجلس على الأرجوحة، بعيدا.. كانت صغيرة.. وحيدة.. لم أجرؤ أن أقترب منها لأقتحم عزلتها.. وقفت هناك في الظل، ونظرت إليها وأنا أعرف أنـه لـيس هناك ما أستطيع أن أفعله.

(**تطفر الدموع من عيني ماريا لا إراديا.. تتمالك نفسها**).

(**تجلس على الفراش ويداها معقودتان في حجرهـا بـلا هدف حيث يتلامس الكفان متجهين لأعلى**)..

تحولنا لظلال.. ظلان يتجولان في المنـزل والشـرفة.. دخلنا المنزل مبكرا وأغلقنا الباب وجلسنا في الظلام، سمعنا الأصوات في الشارع.. ورغم شدة رعبي من الجنود، مـن الفقر، وحتى من بعض جيراني، لم تبد فكرة إنجاب لوتشـيا لطفل غريبة بالنسبة لي.. في البدايـة شـعرت بالمباغتـة، بالدهشة.. فقد بدت صغيرة، صغيرة جدا (**تبحث عن الكلمات المناسبة**) بل لم يخطر ذلك بفكري من قبل.. كـان هنـاك ماتو.. كنت أعرف أنهما مرتبطان ببعضهما، وإن لـم أكـن أعرف لأية درجة.. كانا سويا لأيام قليلة ولكن (**ترفع كتفيها**)

كل شيء كان مختصرا وانتهى بسرعة.. كـل شـيء فـي التوقيت الخطأ.. بصورة ما تصورت أنهـا (**تتوقـف عـن الحديث، تواجه أفكارها المؤلمة**) ولكن (**بلهجة إدانة مريرة لنفسها**) ظللت أتمسك بتلك الأيام القليلة مثل تعلـق الغريـق بقشة.

(**تدفن وجهها في كفيها وتخفض رأسها).**

(**تقف ماريا، تسير ببرود وشرود. ذراعاها معقودتان إلى صدرها، تتحدث في نبرة مكسورة ممرورة)**. عثرتْ علـي لوتشيا.. جاءت عبـر حديقـة الخضـر.. كانـت تتجـول ووجدتني.. تهاوت بجانبي مثل طفلة صغيرة وانثالت الدموع على وجهها. "ماما، ماما العزيزة.. هل وقعـت؟ لا تبكـي.. لا تبكي من فضلك يا ماما!" كانت تقول شـيئًا آخـر وهـي تحاول أن ترفعني عن الأرض.. كانت نحيفة للغاية ووجهها شاحب فيه غموض وملابسها السوداء تلفها.. كانـت تقـول شيئًا وهي تمسح وتصلح شعري (**ماريا تبدأ فـي الانهيـار الكامل)** وأنا؟! كنت غارقة في مهانتي.. دموع ومخاط وطين ودماء وانتهاك للإنسانية.

(**تنتزع دبوس شعرها، تُجري يديها في حركة محمومـة**

عبر خصلات شعرها.. تبكي.. تسير عبر الحجـرة. تسـتند بظهرها ورأسها على الحائط وتبكي).

أدركت ابنتي الصغيرة على الفـور أن أحـد الغوغـاء صادفني وأنه أذاني وأهانني ولطمني (**تنزلق بظهرها لأسفل الحائط وهي تبكي)** قالت ابنتي الصغيرة: "لقد جرحت نفسك يا ماما.. كانت وقعة موجعة، هذا كل ما في الأمر.." ولكنها عرفت، عرفت كل شيء.. عرفت ألمي وألمها.. (**مخنوقـة بالبكاء**) أنا الوحيدة التي لم تعرف.. كنت العمياء الوحيـدة.. فقدت الرؤية متعمدة (**تنهار) (تطفأ الأنوار).**

* * *

يستمر المشهد

(**ماريا تجلس القرفصاء مستندة إلى الحائط. تتوقف عن البكاء، تنهض ببطء وتمسح عينيها. تجمع شعرها للـوراء على عنقها وتهندم رداء المستشفى الذي ترتديـه.. تتجـه نحو الفراش. تفرد غطاء الفراش وهي شاردة وتنظر إلـى الملابس الملقاة على الفراش ثم تلقي بهـا علـى حافتـه وتجلس غارقة في التفكير.. إنها تتـذكر.. تتـذكر بهـدوء**

الحقـائق) أخذتني لوتشيا لفراشي. غسلت جسدي وألبسـتني ثيابا نظيفة. في البداية أصابتني الحمى، ثم بدأت الكوابيس.. أيد خشنة تشدني.. أنفاس كريهة تلفـح وجهـي.. شـخص ما يمزق ثوبي.. شخص يسخر مني.. آخر يبصق في وجهي ويقيد ذراعي لأسفل، يجذبني من شعري ويضـغط جسـدي على الطين، شخص يتكلف الابتسام يحملق في وجهي **(إدراك ورعب)** ثم يصبح وجهي وجـه لوتشـيا **(بـبطء ببـرودة متشنجة)** كنت أستطيع أن أرى بوضوح أيدي شريرة تعذبها، تشد شعرها.. كدت أسمع بكاءها، ولكني لم أستطع أن أقترب **(بنبرة إدانة وتأكيد)** لم أقترب. لم أواسها **(تبكـي. تتمالـك نفسها. تسـير)** عندما أفقت من أول كابوس، كان بـالحجرة شخص ما **(ترتجف. تنهمر دموعهـا علـى وجههـا دون توقف)** شخص ما يجلس القرفصـاء بجانـب الحـائط فـي الظلام.. ظل.. ثم وقفت لوتشيا وجاءت إلي تقول "لا تخافي يا أمي.. إنه أنا".. بكينا سويا في الفراش.. بكينا أنفسنا دون أن ننطق بكلمة.. دون مواساة.. قبل الفجر قلت لهـا "كنـت أتمنى لو أنك تزوجت ماتو ولو لأيام قليلة" ولم أكمل ما جال في نفسي "كان سيصبح للطفل اسم" **(تبكي)** كانـت لوتشـيا

تجلس على الفراش.. نحيفة للغاية، لها وجه طفلـة. تسـال ضوء الفجر عبر النافذة المغلقة ليضيء كتفيها. لـم أر فـي حياتي أبدا، أبدا مثل هذا الألم على أي وجه. بذلتْ مجهـودا كي تعثر على الكلمات وكأنها تصارعها.. تصارع الأسرار. لم تقل شيئًا عن الطفل الذي تحمله، لم تعلق على ما تمنيتـه، لم تتحدث عن جرحها. قالت ببساطة "ولكننا معـا.. ننتمـي لبعضنا البعض.. فيما عدا هذا لا شيء يهم" (**تتنهد ماريا في مرارة**) وفي اليوم التالي استيقظنا وحاولنا أن نواصل الحياة. (**تتجه ماريا نحو الستائر وكأنها تؤدي مهمة. تتمالك نفسها وتتذكر**).

قالت لوتشيا ونحن نصنع مربى الملح بدون السكر: "إننـا نعود للعصر الحجري". لا نتحدث إلا عن التفاهات.. نتجاهل الشتاء والفقر والطعام الذي يتناقص ويتناقص.. أخزن الذرة في الجرن.. تتدلى الكيزان من العوارض الخشبية.. نطهـو البطاطس والأعشاب لعشائنا.. لا نجسـر أن نقتـرب مـن تعريشة العنب.. لم نذق اللبن لأيام (**في لهجة تقريرة باردة**) كنا ننتظر، نأمل أن يحدث شيء ما، أن ينتهي هذا الكابوس. ذلك (**بتأكيد**) القائد، شخص ما (**ترفع كتفيهـا**) العـالم أو...

(**ترفع كتفيها مرة أخرى)** شخص ما سينفعل وسيفعل شيئًا.

عندما كانت تواتينا القوة كنا نستمع للراديو فـي الخفـاء. أملنا وأمل مقاطعة فاكوفر يتضاءل ويتضاءل.. أقاوم غيـر مصدقة.. هل يمكن أن يحدث؟! هل يمكن أن أحمل في سني هذه؟! أنا لا أجرؤ حتى على مجرد التفكير في ذلك.. أتعلـق بالأمل.. أن يحدث شيء ما.. أن أكون تجاوزت سن الحمل.. إن الطبيعة ستتكفل بالأمر بصورة أو بأخرى. (**تخرج عـن الموضوع.. ترفع كتفيها، تتحرك نحو حامل الرسم)** جـاءت طبيبتي النفسية وقالت ببساطة "عندي سرطان.. سرطان في الثدي.. في البداية سأستأصله ثم أخضع للعلاج الكيمـاوي.. قد أحتاج لعلاج بالهرومونات.. يقـول الطبيـب إن الأمـر سيستغرق عاما ولكني أقول له لا لن يحـدث.. لـيس لـدي الوقت.. لا أستطيع أن أترك أطفالي ومرضـاي كـل هـذه الفترة.. سأنتهي من ذلك كله في أسرع وقت؟ أنظـر إليهـا بدهشة.. من أين تستمد هذه المرأة شجاعتها؟

"أعتقد أنك ذهبت لطبيبك في الوقت المناسب.. لعلني لـم أحسن التعبير.. إنه وجهك.. إنه لا يعكـس لـون مـريض السرطان.. اللون الرمادي يتخلل بشرتهم، ولكـن وجنتيـك

ورديتان".. تقول كاسينا وهي مبتسمة "أكثر من اللازم" ثـم تواصل الحديث.. "والآن فإن هذا السـرطان هـو الدلالـة الوحيدة أن جسمي يرفض.. لقد شفيت من آلامي وهذا الورم لن يستطيع أن ينمو أكثر وأن يختزن الشر..." تقول طبيبتي النفسية: "الآن أستطيع أن أرفضه. إنه مجرد علامـة أننـي ذات مرة وفي وقت ما انهرت، استسلمت، فقـدت تـوازني وقوتي. إن نفسي كانت مجهدة..

في البداية مرض أبي، ثم هذه الحرب المرعبة والنفـي.. فجأة وبدون سابق إنذار أو استعداد، أصبحت وحيدة في بلـد غريب.. ظل زوجي في كرواتيا.. أحرقوا كتبي ومـذكراتي أيضا... ارتديت ملابس لا تخصني واستخدمت أغطية فراش آخرين يتحدثون لغة أجنبية.. لم يعد لي ما أمتلكـه.. حتـى الشمس والمطر أصبحا غريبين.. شعرت بأنه لا معنـى لأي شيء.. إنني أشعر بالخجل الآن عندما أتذكر السرعة التـي استسلمت بها".

كاسينا تجلس على فراشي (**فجأة تضع ماريـا الفرشـاة جانبا وتمسح يديها في ملابسها وتجلس على الفراش فـي مواجهة النافذة**) هنا.. هكذا (**توضح لنا كيف جلست كاسينا**)

أستطيع أن أرى وجنتيها، انعكاس الضـوء علـى شـعرها، الضوء عبر النافذة.. أنظر في خوف للـون الرمـادي فـي وجهها.. لا أريد أن أفقدها.. هذه المرأة تسـتطيع أن تـدرك الحقيقة، يجب ألا يحدث شيء لها الآن.. مجـرد أن تجلـس هناك وتتحدث.. لكل منا حدوده وأوجه قصوره.. الخوف من الألم.. من الأذى.. كل ما عليك هو أن تلجئي لقوة التحمل".. قاطعتها في وقاحة وهـي تـتكلم "هـذه القصـة تشـعرني بالغثيان".. خفت أن تقول "ما لا يقتلني يمنحني القوة" (**ماريا تحرر شعرها وتهزه وكأنها تشعر أنها مقيدة)** لا أترك لهـا الفرصة لتتكلم. أتحدث بسرعة عما عرفته منذ زمن طويل.. أتحدث مرتبكة.. التعاسة لـم تجعلنـي أقـوى.. أصـبحت ضائعة.. كنت أتوكأ على لوتشيا وما كان يجب أن أفعل ذلك، فقد كانت هي التي تحتاج لمن تتوكأ عليه.

"نعم" تقولها كاسينا بصدق، بأمانة ولكـن دون خشـونة.. غريبة، لكنها ما تزال صبورة معي.. لا تدينني، لا تنصحني، تقول فقط "لم تكوني مستعدة لتلقي الصدمات". ثم تقول وكأنها تذكرت للتو: "أنت ترسمين.. ترسمين منذ وقت طويل.. من المؤكد أن أول رسوماتك لم تكن جيدة. لا يمكن ولا الثانيـة

ولا الخامسة". أقول: "نعم".. تجيب "أعرف ولكنك بعد ذلك"..
تبتسم طبيبتي النفسية وتقول كما لو كانت تقول نكتة "اعتدت
إخفاقاتك الصغيرة.. تعلمت كيف تخسرين ومع ذلك ما زلت
ترسمين.. ببساطة وازنت بـين إخفاقاتـك.. وبـين الحـب
والجمال.. ألم يكن هذا ما قلته عن لوحاتك؟" (**تشعر ماريـا
بالوحي وترسم بسرعة ومهارة)**.

بعد فان جـوخ ومونيـه وبعـض العبـاقرة الآخـرين،
استسلمت.. هكذا (**ترسم. تتوقف)** بدا كل شيء دائما وكأنني
أتحدث بلسان شخص آخر.. كان الرسم بـداخلي إحساسـا..
جوا.. شيئًا أشبه بالنعمة طالما ظلت بداخلي ولكني لم أعرف
كيف أصوغها في شكل.. لم تكن شـيئًا حقيقيـا! (**تواصـل
الرسم)** فيما بعد، عندما التحقت لوتشيا بالمدرسـة الأوليـة،
كنت أنتظرها في ظهيرة أحد أيام الصيف في ميدان الباروك
القديم، بدا الميدان ناصعا تحت شمس يونيو وكـأن الهـواء
يرتجف، بينما عكست الحجارة دفئًا.. وبجانب الفسقية القديمة
المهجورة، التي تحول رخامها الوردي إلى اللون الرمـادي
وقفت شجرة.. جذعها رفيع ولها تاج أخضر مسـتدير (**فـي
لهجة تأكيد)** خضراء رغم الشمس (**ترسم بتوهج.. تتوقـف**

وتحملق في اللوحة) كان هذا موضوعا حقيقيا.. ما عدا ذلك (**ترسم تموجات سريعة بفرشاتها)** مجرد خلفية.. أداة.. مثل ذلك الكريز الداكن.. منذ زمن.. بعيد، أحمر قان مثل الـدم **(تبدأ في التصرف بصورة جادة.. تضـع الفرشـاة جانبـا وتمسح يدها، تفكر لبرهة.. تتخذ قرارا.. تتجه إلى المنضدة الجانبية للفراش تفتح الدرج. تبحث عن شيء تخرج أشياء لا قيمة لها إلا لمن لا يمتلك أي شيء.. بعـض الملابـس الداخلية تطويها وتضعها في كيس بلاستيك أخرجتـه مـن الدرج. وبينما تنحني على المنضدة الجانبية ترفـع رأسـها بين الحين والآخر كما يفعل طائر عند الشرب ثـم تواصـل عملها)**.

في الليل جاءوا إلينا (تظلم خشبة المسرح) اقتحموا الباب فجأة، وبسرعة اندفعوا للداخل (تترك الأشياء التـي كانـت تخرجها وتتحرك تاركة باب المنضـدة الجانبيـة ودرجهـا مفتوحين.. تتحرك ببطء في الظلام وقد عاودها إحساس قاتل بالخوف).

أخذونا إلى مخزن.. كان قذرا خاليا باردا.. جلست لوتشيا على الأرض الأسمنتية العارية وأسـندت رأسـها للحـائط

الرطب (**تهز رأسها**) لم تهتم.. في لحظة ما شـعرت أنهـا ستقول.. "من فضلك يا ماما لا تنظري إلي!" لكنها لـم تقـل شيئًا.. أشارت فقط للمكان المجاور لها وهي تربـت بكفهـا على الأرض الإسمنتية.. جلست بجوارهـا (**ماريـا تجلـس بجانب الحائط**).

عبر شق ضيق في الباب تسلل فجر يوم ربيعي (**شـعاع ضوء بارد متسلل يضيء ببطء وجه ماريا**) مـدت لوتشـيا يدها نحوي (**ماريا تمد يدها علـى الأرض**) "هـل تـذكرين يا ماما عندما ذهبنا إلى جزيرة مالجيت، عندما كنـا نجلـس على الرمال والشمس تنحدر نحو المغيب (**يرتفـع تـدريجيا صوت موج البحر ويصبح مسـموعا**) كنـا نجلـس حيـث يتلامس الماء مع الرمال، ورغم برودة المساء ظل الماء دافئًا رقيقًا. هل تذكرين يا ماما رائحة أشجار العنب والأولينـدر والروز ماري والصنوبر في الأمسيات؟" وبينما كانت تـتكلم (**يصبح الضوء أكثر توهجا ويتسع مثل شمس الصيف**) كنت أستطيع أن أرى الشمس بوضوح (**أصوات طـائر النـورس تتردد عن بعد وهسيس أمواج البحر**) منشفة لوتشـيا التـي حال لون مربعاتها وقبعتها الصغيرة المضحكة على الرمال،

وصورتها الرقيقة وهي طفلة تجمع الرمال المبللة لتغطي بها ساقيها وبطنها.. قالت: "هل تذكرين يا ماما؟".. كانت تـتكلم برقة وعذوبة.. تكلمت كثيرا وكأنهـا تعتـذر عـن شـهور الصمت.. رسمت كلماتها صورا وشعرت أنني قريبة منهـا لدرجة مزعجة.

(**تختفي الأصوات.. يصبح الضوء باردا).**

كنا عاجزتين، وحيدتين.. كانت تصل إلينا مـن الخـارج أصوات الخطوات.. قرقعة أحذية الجنـود علـى الأسـمنت وصليل أسلحتهم النارية والنكات البذيئة.. كنا ننتظر النهايـة ولم أستطع أن ألفها ببطانية أو أن أعطيها كسـرة خبـز... أمسكت يدي وقالت في صوت رقيق "هل تـذكرين السـاعة الشمسية وكلماتها يا ماما؟ فلتكوني مثـل دقاتهـا الشمسـية ولا تتذكري إلا الساعات البهيجة المشرقة..".

(**فجأة يسقط شعاع ضوء متسع متلألئ على وجه ماريـا في الحجرة المظلمة.. نبراتها تعكس البهجة والذكريات)** هذا ما فعلناه.. أنا وابنتي الصغيرة.. في ذلك الصباح القبيح الذي تصورنا أنه آخر صباح نراه، لم نتذكر إلا الساعات السعيدة

المشرقة.. تحدثنا عن أيامنا المشمسة، واختفى كل الشر.. كل المهانة، والألم والبرد والجوع.. وأصبحنا مرة أخـرى فـي ذلك الصباح الذي تصورنا أنه الأخير، وحدنا.. يلفنا إحساس بتوحد حميمي.. (**تهز رأسها.. الوضع الذي تتخـذه غيـر مريح**).

أنجبنا لوتشيا بعد أن تجاوزنا الثلاثـين.. كـان زواجـي الحديث يتهاوى بعد أن تلاشى الانبهار الأول وفقـد بريقـه. حاولنا أن نجد سببا ليستمر زواجنا. أردنا طفلاً، لكن ذلك لم يتحقق. عندما فقدنا كل أمل في إنجاب طفل. وقرر زوجـي أن يبدأ علاقة جديدة، جاءت لوتشيا.. كان وجوده بالنسبة لنا مجرد وجود مادي لا يعني أي شيء، فلـم يجمعنـا سـوى العنوان، حيث كان يعيش منعـزلاً فـي شـقة فـي الـدور الخامس.. فور مغادرتي للمستشفى ذهبت إلى منزل أبـي.. عدت إلى القرية والبيت الصغير، المبني على شكل حـرف اللام (L) بمدخله الأخضر المرصـوف وحديقـة الخضـر وخلايا النحل.. ذهبت هناك وبقيت، دهش الجميع، بما فـيهم أنا شخصيا، عندما قررت العودة لأعيش في القرية (**ذكريات سعيدة.. تبتسم**)..

ذات يوم هرعت إلى المنزل وقد تقطعت أنفاسي ووصلت قبل أن يبدأ انهمار المطر مباشرة. كان الجد، كالعـادة، مـع لوتشيا في الشرفة. كانت نائمة في مهـدها عنـدما قرقعـت السماء بالرعد.. أثارت الرياح الأتربة في الطـرق وحملـت معها البط والدجاج وأخذ جرس الكنيسة يردد رنينًا عشـوائيا محذرا، ثم انهمر المطر بغزارة.. لم يستمر طويلاً وسرعان ما تفرقت السحب في السماء. سال المـاء علـى الممـرات المرصوفة وخرج الأطفال والبط إلى الطريق مـرة أخـرى (**وجه ماريا يكتسب توردا وتوهجا**) ثم بدأت العصافير ترسل أصواتها عالية من فوق قمم الأشجار وكأنما تجمعـت فـي حديقتنا كل عصافير العالم.. نفشوا ريشهم ونفضوا عنه الماء وهم يزقزقون ويتشاجرون مع بعضـهم الـبعض. الجميـع يتكلمون في نفس الوقت.. استيقظت لوتشيا وضحكت.. قـال الجد "لا يوجد في الدنيا ما هو أفضل من أن يصـبح المـرء جدا، وأن يجلس في هذه الشرفة ليقص الحواديت".

(**صمت**).

(**يستمر المشهد.. مأخوذة بما تقوله**).

كان نهر الدانوب بجانبنا يحفر طريقًا في الطـين علـى الضفاف. كانت أشجار الصفصاف العتيقة على حافة المنتزه، في منتصف القرية، تتدلى أوراقها على الماء بينمـا تختفـي جذورها في الهواء والماء.

اعتدنا أن نسبح للجانب الآخر من النهر، وأن نجلس على الحواجز الرملية الطويلة البيضاء، وأن نمشـي فـي الميـاه الضحلة. كان الجد يجذب القارب نحو الضفة فـي الظـل، كانت لوتشيا تطارد الضفادع وتبني قلاعا من الرمال. وفـي المساء كنا نجلس في الشرفة نرطب جلودنـا مـن حـروق الشمس ونحن نشرب اللبن الرائب وننتظر لنـرى إذا كـان القمر قد لبس ثوبه.

(**تجلس ماريا في وضع مريح وتقلد حركات رجل عجوز. تحكي القصة**).

"ذات يوم، عندما كان القمر نحيفًا مثل طفـل مـريض، أشفقت عليه الجدة العجوز لأنه كان عاريا، فأخـذت مقاسـه وقصت له ثوبا.. وبينما كان القمر يسافر عبر السماء، أخذت الجدة تحيك الثوب. ولكن عندما حان الوقت ليرتـدي القمـر ثوبه كان قد أصبح أكبر مرتين وأصبح الثوب ضيقًا جـدا..

فكت الجدة الثوب وصنعت آخر أكبر. ولكن عندما سافر القمر عبر السماء وعاد ثانية كان قد أصبح أكبر.. كان كاملاً مستديرا مثل البطيخة.. ولما كان الثوب ضيقًا جدا على القمر، اضطر أن يبدأ رحلته مرة أخرى عاريا ووعد الجدة أن يعود لتأخذ مقاسه. ومر الوقت وعاد القمر الجديد ولكنه كان نحيلاً مثل طفل مريض و.. عاريا..".

(**تخفت الأضواء ولا يبقى إلا شعاع بارد**)

عندما سمعنا الخطوات والأصوات وجاءوا إلينا في ذلك المخزن القذر، احتضنتني لوتشيا (**ماريا تبكي**) احتضنتني مثل طفلة صغيرة، مثلما كانت تفعل في الماضي وكأن شيئًا لم يحدث، وكأنما لا يثقلنا طفل ولا مهانة ولا عقاب. احتضنت جسدها الصغير المعذب بين ذراعي وشعرت بدقات قلبها.. كانت مثل قلب العصفور الذي دخل عبر نافذتنا واشتبك في الستارة. كان صغيرا جدا وريشه الأسود ناعما كالحرير، وقلبه يرتجف في جسده الصغير من الخوف (**ماريا تنشج الآن**) والآن كانت لوتشيا طائري الصغير (**تنطق الكلمات دون وضوح**) الذي وقع وسجن، وكنت على استعداد لأن أدفع أي ثمن لأجعلها تطير بعيدا. لكنها تعلقت

بي كما كانت تفعل في الماضي وهي طفلة.. قالت: "لا تبكي يا ماما.. لكل شيء نهاية..".

(**يسطع فجأة ضوء الصباح القوي المبهر. ماريا تهـدئ نفسها تمسح دموعها. تقف وتسير في خطى متباطئة فـي الحجـرة)** لكنهم لم يقتلونا.. لوحوا بمسدسـاتهم.. دفعونـا.. ضربونا.. علمـت بعضـا مـن هـؤلاء الـذين يمسـكون الأسلحة ويرتدون الزي، عندما كانوا صغارا لا يسـتطيعون حتى ربط أربطة أحذيتهم. كنت أساعدهم ليعلقوا حقائبهم على ظهورهم وأقودهم إلى ردهة المدرسة والشـارع. لـم يكـن بعضهم قد بلغ تماما.. البعض لم ينظر لي.. قـالوا كلمـات خشنة، أمطروني بالإهانات وهـزءوا بـي.. سـخروا منـا وهددونا. كانت تسير معنا عجوز شبه عمياء. قـال القائـد المخمور "ستعبرون حقل ألغام لتصلوا لخطـوطكم، هـذا إذا حالفكم الحظ وإذا لم يقتلكم الأوستاشي..".

دفعونا أمامهم ونحن نتضور جوعا، متجمدين في أسمالنا، عبرنا القرية ومررنا عبر سهل سوكاك Sokac إلى الشارع الرئيسي في نهاية القرية.. قالوا أشـياء بشـعة وضـحكوا ساخرين منتصرين.. من وراء الستائر حملقت وجوه باردة..

كان الأفق قد بدأ يفقد لونه الرمادي. سارت لوتشيا ورأسـها مطأطأة وتبعتها المرأة العجوز وكنت أنـا فـي المـؤخرة.. مشينا. همس صوت للعجوز: سيروا بامتداد الحـدود عبـر الحقول. ثم قال في صوت أكثر خفوتًا: "لا توجد ألغام هناك". رفعت عينيها نصف الضريرتين ولكنها لم تقل شيئًا.

لساعات طويلة سرنا متعثرات عبر الحقول وأجران القمح والأراضي غير الممهدة صوب المدينة البعيدة. كانت رائحة الأرض جميلة تشي ببداية ربيع. وبينما نحن نسـير بـبطء شديد.. بضعف شديد.. تعثرنا في حشائش العام الماضي التي نمت بغزارة على الحدود. قالت المرأة العجوز بهدوء وهـي تتوقف لبرهة لتبدأ ثانية.. "لم أحصل على الأنسـولين منـذ عام.. منذ العام الماضي أعيش على الفتات.. أتناول حلقـات لحم الخنزير والخبز العفن وأشياء تعافها النفس. لقد عملـت في هذه القرية حتى وصلت لسن المعاش. كنت قابلة وتلقيت كل هذه العصابة على يدي، غسـلت أجسـادهن ودثـرتهم بلفافاتهم".. كانت تتحدث دون مرارة، بكلمات عادية، دونمـا تهديد، بدون لعنات.. حقائق مجردة ولا شيء آخر.. عنـدما ابتعدنا عن القرية أعطت لوتشـيا بعـض الجـوز.. كانـت

ما تزال تتحدث.. كانت تقول إن لوتشيا تحتاج إلى قوتهـا.. قالت شيئًا آخر لكني.. كنت قد فقدت قدرتي على الفهم.. كان وجه لوتشيا يحمل نفس تعبير الضياع عنـدما عـادت إلـي مهرولة.. يوم أن كان ماتو.. (**فجأة تقطع جملتها..**)..

(**تتقمص ماريا حالة التحليل الذاتي**) فجأة عادت لذاكرتي بعض الوجوه الغريبة المألوفة وكأنها أطلـت مـن منطقـة اللاوعي في نفسي.. طفت لذاكرتي فجأة. تسارعت الصـور وكأن الرياح أو لاعبا ماهرا قد قلب أوراق اللعـب وأخفـى وجوههم. كل الصور كانـت متشـابهة متماثلـة، مألوفـة وحاضرة ولكن يمكن الوصول إليها.. وجه لوتشيا الصـامت الحائر المعزول عن العالم وثوبها.. ضايقني ذلـك الثـوب وضايقني التعبير المرتسم على وجه لوتشيا ولكني لم أهتم أن أتفحص كل الصور ولا الثوب بالكامل.

(**ماريا تسير عبر الحجرة.. أعصابها مشدودة**).

مع الفجر أصبح الجو أكثر برودة.. ارتجفت مـن البلـل (**صوت خطوات بطيئة تخوض في الوحـل**) كانـت سـاقي مبتلتين... خيل إلي أنه الندى.. لم يعد جسدي المجهد قـادرا أن يطيعني أكثر من ذلك..

احتجت أعضائي الداخلية.. شعرت بسخونة فـي سـاقي تبعتها برودة ثم بلل لازج.. كنت أشعر بالنعاس، أم لعله كان الإنهاك؟ تأخرت وراءهم وتوقف لبرهـة (**صـوت الأقـدام يتوقف)** كنت أرى لوتشيا تمضي بعيدا بخطوات ثابتة بغثيان، في هذه المرة لم يكن من الجوع. أحسست كما لو كنت سأتقيأ شعرت بدوار. أحسست للحظة كما لو كنت لن أسـتطيع أن ألحق بهما فقدت كل قوتي. توقفت هناك في شـبه الظـلام ونظرت لأسفل.

كان الدم يتدفق بين ساقي.. إذن فقد شملني ا برحمتـه رغم كل شيء!!.. كنت أكبر من أن أحمل هذا الطفـل.. أن أنجب هذا المخلوق الذي يحمل وصمة الشـر.. لعلـه كـان الشعور بالراحة أو البرودة أو الضعف، لكن المحصلة أننـي انزلقت إلى الأرض وجلست على الطين البارد فـي الحقـل المحروث.

لا أدري إن كنت قد ناديت لوتشيا أم أنهـا عـادت مـن أجلي.. كل ما أذكره وجهها.. آخر شيء أتذكره مـن هـذه الحياة البشعة في نهاية تلك الرحلة البشعة، وجهها. رمـادي، ناحل.. وجه طفلة تتضور جوعا ونظرة كلاب معذب مقهور..

عادت إلي ومدت يديها.. وجهها الملهوف فـوق وجهـي.. شيء ما أعاد لذاكرتي ذلك اليوم، عندما وجدتها في الحديقة.. لاحظت الدم فأشرق وجهها للحظة وكأنها تلقـت الرسـالة، وسرعان ما لفتها سحابة حزن مرير مرة أخرى.. قالت برقة "هيا يا أمي".. مرة أخرى، (**ماريا تبكي**) وقالت شيئًا آخـر.. شيئًا ما لو..!

ولكنني لم أستطع أن أسمعها، أو لعلني لم أود أن أسـمع أو أن أفهم.. من المحتمل أنني لم أستطع.. ولكن وفي هـذه اللحظة تحديدا كان يجب أن أواجه الحقيقة.. أن أفهـم.. أن أدرك معنى تلك الصور (**ماريا في لحظـة انفجـار يـأس تضرب الحائط وإطار النافذة بقبضتي يديها المضـمومتين**) كان يجب أن أفهم.. كم كنت أنانية وعمياء، مثل رجل يغرق ويتعلق بقشة.. تعلقت بتلك الأيام القليلة التـي قضـتها مـع ماتو.. كان يجب أن أدرك أنها في تلك اللحظـة حسـدتني لتخلصي من الوصمة، لأنني تخلصت من حملـي.. ومـاذا عنها هي؟! (**ماريا تنهار.. تخنقها الدموع**).

(**تستعيد ماريا رباطة جأشها بصعوبة**)..

وقفت كاسينا بجوار الفراش وقالت "أصبح عندك حفيدة..

صغيرة.. وضعناها في الحضانة" أرادت أن تقـول المزيـد ولكني أشحت بوجهي.. كنت أدرك أنني في أعمـاق نفسـي لا أريد هذه الطفلة التي جاءت للدنيا في توقيت غير مناسب لمجرد الثأر والعقاب، لتكون إهانة ومهانة.. لـم أرغـب أن أسمع عنها أي شيء.. لم أستطع تخيلها نائمة عارية ووحيدة في حضانة مضاءة.. لم تكن ثمة رابطـة تجمعنـا (**تجلـس ماريا على الفراش، تميل للوراء وهـي تحتضـن سـاقيها المضمومتين الملاصقتين لصدرها).**

لا أدري كيف وصلنا للمستشفى فـي ذلـك الصـباح.. لا أعرف من أحضرنا هنا أو من جاء في إثرنا فـي ذلـك الحقل الموحل وعبر حقل الألغام ليدخل حياتنـا الجديـدة.. وجدتني ذات يوم أنام على فراش نظيف وأنابيـب متصـلة بذراعي، شخص ما كان يرعاني، يعطيني الدواء.. "لقد نجت بمعجزة، فقد نزفت دماء غزيرة وهي ليست شابة.. الغريـب أنها كانت حامل".. أصوات شخص ما يهمس، شخص يسير عبر الردهة، ضحكات، ظلال تتحرك في الحجرة وتجلـس بجوار فراشي..

لم يعد هناك ما يؤلمني بعد الآن، أنام هناك، نحيفة، هزيلة

في فراش دافئ.. أحيانًا أشعر أنني أطفـو، أرتفـع لألمـس السقف، بجانب جسدي الملقـى علـى الفـراش أشـخاص يتألمون.. أنظر إليهم من أعلى ولا أشعر بالألم.. من هنـاك كل شيء يبدو رقيقًا لطيفًا...

كانت كاسينا تأتي بانتظام لتراني.. فيما بعـد قلـت لهـا "أشكرك فقد كنت أول خط دفاع بيني وبين العالم". أجـابتني "شخص ما عليه أن يفعل ذلك..". أجابتني ببساطة، لم تـذكر لي قط ما سمعته فيما بعد عن بقائها أياما وليـالي بجـواري وبجوار لوتشيا بالتبادل.. عندما حملنا الحرس إلى هنا، كانت العجوز في غيبوبة وكنت فاقدة الوعي.. لم أعرف، إلا عندما انتهى كل شيء، أن لوتشيا لم تنطق بكلمة طـوال الوقـت. وضعت طفلتها في صمت وماتت في صمت.

(**تنهض ماريا من الفراش وتبدأ في حزم الأمتعة).**

قبل أن ترحل لتُجرى لها الجراحة، جاءت كاسينا وجلست على فراشي (**ماريا تجاس وتشير للمكان المجاور لها)** هنا، بجانبي.. "سأرحل في الغد، سأذهب إلـى زغـرب.. إلـى مستشفى الأورام" قالتها ببساطة، وكأنها تتحدث عن الخروج

للتمشية اليومية.. احتضنت يدي بين كفيها الكبيرتين وكأنهـا أرادت أن تمنعني من الحركة، وكأنها لـن تسـمح لـي أن أتكلم.. قالت في ثقة "سأعود سريعا.. بقدر ما أستطيع.. أنـا لا اعتزم أن أظل مريضة لفترة طويلة.. ليس عندي وقت... سترحلين قريبا ولا أعرف أين ستذهبين، وبالتالي لن أستطيع أن أعثر عليك، ولكني سأعود هناك.. بمجـرد أن أتحسـن سأعود لنفس المستشفى. إذا احتجـت لـي فـي أي وقـت فستجدينني هنا. إذا احتجت لي في أي وقت".

ترددت ثم قالت "لقد عملت كطبيبة نفسية ممارسـة منـذ سنوات، وخلال هذه الحرب تعاملت مع أناس عاشوا الجحيم نفسه". ترددت ثانية ثم وقفت واتجهت للنافذة.. قالت بنبـرة آسفة "يجب أن أخبرك بشيء وإن كنت لا أريد ذلـك.. لقـد ظلت ابنتك صامتة طول الوقت".. كانت تعرف أنها وضعت المولودة في صمت. "كانت صامتة وكأنهـا حرمـت نعمـة النطق.. حتى النهاية.. ولكنها في إحدى المرات قالت شـيئًا، وأعتقد أنه كان موجها لك.. عندما وضـعنا المولـودة فـي الحضانة ذهبت لأرى ابنتك في حجرتها. كانت تُجرى لهـا عملية نقل دم... كانت ضعيفة ومنهكة.. كنـا نعـرف أننـا

نفقدها.. تحدثت إليها كما نتحدث للأمهـات.. قلـت لهـا إن الصغيرة في الحضانة وإنها صغيرة الحجم ولكن كل شـيء على ما يرام.. لم أدر ماذا أقول لأنني كنت أعرف أنها تذوى وأنني إذا مددت لها يدي فلن تقبلها.. ببساطة، لقد استسلمت.. لم ترد أن تستمر.. ولأول مرة منذ أن بدأت هذا العمـل لـم أعثر على الكلمات المناسبة.. ظللت أكرر أن المولودة فـي الحضانة.. بصعوبة سمعت كلمات لوتشيا وهي تنطقها فـي صوت خافت: "وهذه الطفلة، صغيرة، عارية، وحيـدة مثـل قمر يسافر عبر السماء عاريا وحيدا..".

(ماريا تصمت وتتجه نحـو اللوحـة. تلـتقط فرشـاتها وتحملق في الألوان، تختار الأحمر، تخلـط الألـوان. فـي البداية تلطخ ذراعي وساقي الفتاة ببقع لون خفيفة رفيعـة تبدو مثل الخدوش.. وفجأة وكأنها لا تدرك ما تفعله تستخدم فرشاة أكبر لتلطخ الثوب ببقع دماء).

ارسمي.. هذا ما تقوله طبيبتي النفسية.. إننا نحمل بداخلنا صورنا وحقيقتنا.. كانت تعرف أنه ليس ماتو.. كانت تعرف كل شيء.. تماما مثلما كنت أعرف طول الوقـت أن ثـوب لوتشيا يلطخه الدم.. الدم.

(**تضع ماريا الفرشاة وتلاطخ كفها ببقع الطلاء ثم تضـع كفها على اللوحة وعلى جسدها وعلى معطفها**).

عندما عادت عبر الشجيرات وعندما تكلمت وجذبتني عبر الشرفة (**ماريا تسقط على ركبتيها وتحتضن اللوحة وتسـند وجهها إليها لتلاطخ الألوان التي لم تجف وجهها)** آه يا ابنتي الصغيرة، يا عصفورتي الصغيرة.. هل تظنين أنني أستطيع أن أضم طفلك هذا.. هذا المولود الغريب؟ هل أسـتطيع أن أحمل معي كل ألمك ومهانتك؟ أوه يا ابنتي، آه يا صغيرتي..

(**تترك اللوحة.. تنحني في تقوس على الأرض).**

آه يا أم المخلص آه (**بألم**) يا ابنتي، يا جرحـي المفتـوح (**تنحني وتبكي**).

(**في الخلفية صوت شخص يتحدث ولكن الكلمـات غيـر واضحة يعلو صوت غير مفهوم، له رنين معدني)**

(**تنصت ماريا لبرهة ثم تسير بحركة بطيئـة محسـوبة وتنتزع اللوحة من فوق الحامل وتطويها.. تقـف.. تبـدو**

مترددة.. تمسح دموعها بذراعيها فتلطخ وجهها بالألوان.. في حركات بطيئة متوالية تضع اللوحة على المنضدة الجانبية، تخلع المعطف وتضعه على اللوحة، تقف في ملابسها الداخلية. تأخذ منشفة وتزيل الألوان عن وجهها وعنقها ويديها. تحمل كل الأشياء وتضمها في صندوق القمامة).

(تتوقف بعض الوقت.. تسمع.. لا تفهم.. تشيح بيديها.. تثبت شعرها وتبدأ في ارتداء ملابسها قطعة قطعة.. تلتقط قطع الملابس التي يبدو بوضوح أنها ليست ملابسها الخاصة.. تنظر إلى البلوزة والتنورة وترتديهما وترتدي البلوفر).

(تضع بعض الأشياء في حقيبة بلاستيكية قديمة وترتب الفراش).

(**فجأة يمكن سماع الكلمات التي تتردد في الخلفية بوضوح)** سيدهشك جمالها.. إنها صغيرة جدا وشعرها أسود.. طفلة صغيرة رائعة.. يجب أن تريها.. إنها تشبه ابنتك.. في الحقيقة إنها تشبهك.. نعتقد أن أكثر الأمور

منطقية أن تأخذيها.. هذا بـالطبع إذا اسـتطعت باعتبـارك نازحة الآن..

(**ماريا تتوقف لبعض الوقت وتنصت وكأنها تسمع ذلـك لأول مرة**) ولكن ليس لها سواك، وإذا لم تأخـذيها سـيكون التبني الحل الوحيد (**يرتفع الصوت أكثر**) قد يكون التبني هو أفضل الحلول للصغيرة.. كل ما نريده هو موافقتك باعتبارك ولية أمرها بحكم القانون.. ليس لها سواك.. الحقيقـة أنهـا لا تحمل حتى اسما.. إننا ندعوها هنا باسم المرحومة ابنتك.. حتى يتم التبني.. إذا وافقت لن يكون عليـك إلا أن تـوقعي أوراق الموافقة..

(**ماريا تنصت في توتر وترقب، محاولة أن تتعرف علـى الصوت الذي يبدو كأنه نومها..**).

(**يقول الصوت في وضوح).**

الحقيقة أنها لا تحمل اسما (**يرتفع الصوت تدريجيا**) كـل ما عليك أن توقعي أوراق الموافقة (**في صمت، تلتقط ماريـا الوثيقة وتفردها بذراعها على المنضدة الجانبية.. تأخذ من الدرج قلما.. تقف وهي تفكر**) في الحقيقة ليس لهـا حتـى

اسم.. كل ما عليك أن توقعي بالموافقة على أوراق التبني..

(**الصوت أصبح مرتفعا بالفعل.. ماريا ترفع يديها وهـي تحمل في واحدة الوثيقة وفي الثانية القلم وتسد أذنيها).**

(يخفت الصوت تدريجيا.. ترفع ماريا يديها عن أذنيها.. تضع الورقة على المنضدة الجانبية وتفردها لتوقعها.. يتغير الضوء فجأة في الحجرة ويتردد صوت فتاة رقيق) "وهـذه الطفلة، صغيرة، عارية، وحيدة مثل قمر يسافر عبر السـماء عاريا".

(**ماريا تلتقط الوثيقة وفي حركة بطيئة منتظمة تقطعهـا لأجزاء صغيرة وتلقيها ومعها القلم على الملابس الملوثـة، ثم تحمل حقيبـة اللاجئـين البلاسـتيكية.. ترفـع رأسـها وتخرج..).**

النهاية

تصبحين

على خير يا أمي

تأليف مارشا نورمان

مقدمة المترجمة

ما بين غرفة المعيشة والمطبخ، وفـي مسـاحة زمنيـة لا تتعدى الساعة والنصف، وبينما تنشغل الأم والابنـة فـي المهام المنزلية الروتينية وتتبادلان حديثًا نسائيا عاديا من تلك الأحاديث التي تدور في أي منزل يضم مجموعة من النساء، ترسم مارشا نورمان عمرا كاملاً لشخصياتها.. فمن خـلال الديالوج المتنامي وحركة جيسي الدائمـة لترتيـب المنـزل وإعداد أدوات المانكير، تمتد الخطوط لتصـل بـين النقـاط المتناثرة لتتقاطع وتتكامل، لتضع خريطة واضـحة المعـالم لمناطق مجهولة أو غامضة في نفس جيسي وثيلما موضـحة أبعاد علاقتهما والمناطق المتفجـرة فيهـا، رغـم الهـدوء الظاهري الذي وشى به الديالوج الافتتاحي في المسرحية.

تختار مارشا نورمان من خلال تكنيك مسرحي بسيط بعيد كل البعد عن التعقيد أو الإبهار، أن تبحر في أعماق امرأتين لتتكشف أبعاد علاقة الأم والابنة بعيدا عن الصور النمطيـة المعتادة. فبدون تشنج أو انفعال، تعلن جيسي لوالـدتها أنهـا قررت أن تنتحر بمجرد أن تنتهي من مهامها المنزليـة فـي

ذلك المساء.. تتصور الأم في البدايـة أن الابنـة لا تعنـي ما تقول حقًا.. ولكن تدريجيا يتسـلل إلـى نفسـها الشـك وبصيص أمل أن تثنيها عن عزمها.. ومن خلال الـديالوج الممتد المتذبذب في درجاتـه الانفعاليـة تتضـح الصـورة تدريجيا، فالأم ليست تلك المرأة الهادئة المستمتعة بالأشـياء البسيطة في الحياة.. إن رقتها وسلاستها الظاهريـة تخفـي وراءها امرأة تعسة محبطة متسلطة تعكس القيم الاجتماعيـة الزائفة التي تحكم سيدات الطبقة البرجوازية، والتي تـدفعهن للكذب والمراوغة وإخفاء الحقائق ولو كان ذلك على حساب سعادتهن وسعادة من حولهن، لمجرد المحافظة على القشـرة الاجتماعية الزائفة. والابنة جيسي وبعد رحلة طويلـة مـن الإحباطات وعلاقات مبتورة بالأب والزوج والابن وإحساس مزمن بالعجز، تشعر أن القرار الوحيد الذي يمكن أن يعيـد لها إحساسها بحريتها وسيطرتها على مصيرها هو الانتحار.. إن المشاهد يعايش لحظة الذروة في البداية (قرار الانتحار)، وتدريجيا تتسال إليه الحقائق والصور في إطار حديث نسائي عادي بينما تنشغل الابنة في إعداد أدوات المـانكير أو تعـد الأم قدحا من الكاكاو، ليدرك مدى التعاسة التـي يمكـن أن

تخفيها جدران المنازل والوجوه الجامدة أو المرسوم عليهـا ابتسامات بلهاء ساذجة.. تبقى كلمة أخيرة، هي أن المسرحية لا يمكن اختزالها في محاولـة انتحـار لامـرأة يائسـة... **فتصبحين على خير يا أمي** تكشف وبأسلوب بسيط صـورة من عالم النساء الغامض، وتلك القرارات النسائية، التي وإن اختلفت أشكالها تتفق في نهاية واحدة تساوي الانتحار.. فلـم يختلف قرار ثيلما كثيرا عن قرار جيسي بالانتحار، عنـدما قررت الأولى أن تعيش حياة تعسة مع زوجها وأن تخفي عن الجميع حقيقة مرض زوجها وابنتهـا جيسـي.. القـراران متساويان.. كلاهما شكل من أشكال الموت.

ونص **تصبحين على خير يا أمي** هو النص الوحيد - في مجموعة النصوص التي قدمتها في هـذا الكتـاب - الـذي اخترت ترجمته للغة العامية لتكثيف إحساس القارئ بالحيـاة اليومية العادية ومهام النساء المنزلية، التي تختفـي وراءهـا مجموعة من المشاعر والإحباطات، والتـي قـد لا تختلـف باختلاف المكان.

سناء صليحة

تمهيد

عرضت مسرحية **تصبحين على خير يا أمي** لأول مـرة في مدينة (كيمبردج) بولاية (ماساتشوستس) حين قدمتها فرقة (أمريكان ريبرتوري ثيتر) في ديسـمبر عـام ١٩٨٢، ثـم عرضت على مسرح (جون جولدن) في (برودواي) في ٣١ مارس ١٩٨٣، واشترك في إنتاجها (دان بيـك) و (ونـدل تشيري) ومؤسسة (شوبرت) و (فردريك م. زوللـو). وقـد أخرج عرض برودواي (توم مور)، وصـممت ديكوراتـه وملابسه (هايدي لاندسمان)، وصمم إضـاءته (جـيمس ف. إنجلر)، وتولي (ستيفن بيكر) إدارة خشـبة المسـرح. وأدت الدورين حسب ترتيب الظهور (آن بيتونياك) في دور(ثلمـا كيتس) و (كاتي بيتس) في دور (جيسي كيتس). وقد فـازت المسرحية بجائزة (بوليتزر) الأمريكية للـدراما فـي نفـس العام - أي ١٩٨٣.

مقدمة المؤلفة

الزمن هو الوقت الحالي. تبدأ الأحداث حـوالي الثامنـة والربع مساء.. الساعات في المطبخ وعلى منضـدة غرفـة المعيشة يجب أن تتحرك أثنـاء العـرض علـى أن تكـون واضحة للمشاهد.. لا توجد استراحة..

تقع أحداث المسرحية في منزل جديد نسبيا بـالقرب مـن طريق ريفي. المنزل مكون من غرفة معيشة متصلة بمطبخ وبهو رئيسي يؤدي إلى غرف النوم. يتدلى من سقف البهـو حبل إذا جذبه أحد تدلى سلم يؤدي لغرفة الخزين العلويـة.. إحدى غرف النوم تطل مباشرة على البهو، ويلاحظ أن يكون مدخلها واضحا لكل مشاهد، بل يجب أن يكون هـو مركـز الرؤية في الديكور كله، مع ملاحظة أن الإضاءة قد تخفيـه أحيانًا أو قد تتركز عليه وتخفي كل ما عداه على المسرح في أحيان أخرى. إن مدخل غرفة النوم يمثـل نقطـة الخطـر والأمل.. إنه باب عادي يفتح على اللاشيء أو المطلـق. إن هذا الباب هو محور كل الحدث، لذا يجب أن يحظى تصميمه باهتمام خاص.

حجرة المعيشة تمتلئ بـالمجلات وكاتالوجـات أشـغال التريكو ومنافض السجائر وأطباق الحلوى.. توجد نماذج من أشغال الإبرة التي صنعتها الأم في كـل مكـان، بالإضـافة لوسائد وبطاطين ملونة وأبسطة وعـرائس.. كلهـا نمـاذج جميلة.. البيت يبعث في النفس إحساسا بالارتياح أكثر مـن الفوضى.. لكن هناك الكثير من الأشياء التي يجب أن تعـود لأماكنها.. إنه مكان شخصي يعبر عن حياة ساكنيه أكثر من كونه مكانًا جميلاً، ولا يجب أن يشي الديكور أو الإكسسوار بأي أحكام حول ذكاء أو ذوق جيسي أو ثلما. يجب أن يشير فقط على وجود أشخاص حقيقيين محددين يعيشون في جزء ما من الريف.. كذلك يلاحظ أن المبالغة في اصطناع اللهجة قد تضع حاجزا بين الجمهور وبين جيسي وثلما.

مارش نورمان

الشخصيات

جيسي كينس:

في أواخر الثلاثينيات أو أوائل الأربعينيـات، شـاحبة.. تعاني من اضطراب جسماني ما.. في العام الأخيـر فقـط، استعادت جيسي سيطرتها على عقلها وجسدها، والليلة قررت أن تحافظ على هذا.. ترتدي بنطلون وسويتر أسود بجيـوب كبيرة في أحدها نوتة. وقد تضع القلم الرصاص خلف أذنهـا أو تعلقه في أحد جيوب السويتر. كقاعدة، جيسي لا تفضل أن تتكلم، وقليل من الناس هم الذين استشـفوا حسـها الفكـاهي الغريب ووجدوا فيه متعة، في هذه الليلة تبدو هادئة مسالمة.. طاقتها موجهة لهدف محدد وتشعر بمـرور الـزمن لحظـة بلحظة.. الغريب أن جيسي لم تكن في حياتها قـادرة علـى التواصل أو تسلية الآخرين مثلما هي في هذه الأمسية. مـع ذلك يجب أن ندرك أنها لم تكن هكذا دائما.. بـين المـرأتين نوع من الألفة التي تولدت بفعل الحيـاة المشـتركة لفتـرة طويلة.. التواصل بينهما يتم من خـلال عبـارات مختزلـة والإحساس بالارتياح المتبادل للوجود المادي للأخـرى، وإن

كان من الطبيعي أن يفجر هذا الوجود المكثف الملموس نوعا من العدوانية..

ثلما كينس:

والدة جيسي. في أواخر الخمسينيات أو أوائل الستينيات من عمرها.. تدرك حقيقة عمرها، لذا فهي تأخذ الأمور ببساطة عندما تستطيع أو عندما يناسبها أن تترك للآخرين أمر مساعدتها.. لكنها تتحدث بسرعة وتستمتع بالكلام.. تؤمن بالأشياء كما تراها هي.. قوتها، عقلية أكثر منها جسمانية. وأخيرا فإنها ثرثارة وفضولية، وأحداث المسرحية تدور في منزلها.

تصبحين على خير يا أمي

تهمهم الأم ببعض النغمات القصيرة الغريبة بينما تحـاول الوصول لصناديق الحلوى والكعك في خزانة المطبخ.. إنهـا لا تستطيع رؤيتها ولكنها تتحسس طريقها إليها وهي متلهفـة للحصول على واحد منها، وبالتالي فهي تبذل جهدا حقيقيـا.. قد يكون ذلك هو أقصى نشاط حقيقـي تمارسـه الأم علـى الإطلاق. تعثر على صندوق من الحلوى المغطاة بجوز الهند والمحشـوة بـالمربى مـن النـوع الـذي يطلـق عليـه سنو بول (كور الثلج)، لكنها تلحظ أن إحدى القطع ناقصـة من العبوة. تنادي جيسي التي يبدو أنهـا فـي مكـان آخـر بالمنزل.

الأم: (**تفتح صندوق الحلوى**) جيسي.. ده آخر صندوق مـن كور الثلج يا حبيبتي.. اكتبيه في القائمة (اللستة).. ماشي؟ كمان الشيكولاتة خلصت.. وفين السودانية؟ أظن دوسون أكلها تاني.. الظاهر لازم أعلق مراية كبيرة علـى بـاب الثلاجة عشان يبعد عن أكلي مـش كـده؟ سـمعاني يـا حبيبتي؟ (**يبدو حوارها كما لو كانـت تحـدث نفسـها**)

باكرهها لما يقع جوز الهند.. (**تدخل جيسي قادمـة مـن حجرة نومها وهي تحمل رزمة من الصحف**).

جيسي: عندنا فوط قديمة؟

الأم: آه.. أخيرا جيتي!!

جيسي: (**تحمل منشفة كانت على رزمة الصحف**) فوط مش محتاجة لها تاني؟ (**تلتقط غلاف كعكة السنو بـول**) إيه أخبار فوطة السباحة اللي اديتهالنا لوريتا.. بشكير البلاج.. هو ده اسمها.. عايزاه؟ (**الأم تهـز رأسـها نفيا**).

الأم: كنت بتعملي إيه هناك؟

جيسي: وحتة كبيرة بلاستك زي مفرش مشمع أو أي شيء.. أكياس الزبالة تنفع لو فيه منها كفاية..

الأم: بطلي كركبة يا جيسي.. الساعة ثمانية..

جيسي: يمكن بطانية قديمة تنفع، أو الفوط اللي بنلاقيها فـي علب الصابون أحيانًا..

الأم: قلت بلاش كركبه.. شعرك اسود كفاية يا حبيبتي..

جيسي: (**تستمر في البحث في خزانة المطبخ، تعثـر علـى**

منشفتين أو ثلاثة تضـعها علـى رزمـة الجرائـد والمنشفة) مش عشان شعري يا ماما.. لـو لقيـت خداديات قديمة أو حشو كرسي سفنج مـن كراسـي البلكونة يبقى هايل.

الأم: متهيألي ما نسيتيش يعني إيه ليل.. والا نسيتي؟ **(تنظـر لأظافرها)** كلها مقصفة.. يعنـي.. اسـتنيت طـول الأسبوع يا جيسي.. دي ليلة السبت يا حبيبتي..

جيسي: عارفه.. حاطاها في الجدول..

الأم: **(تنقل لغرفة المعيشـة)** عـايزاني أغسـلهم دلـوقتي والا حاتخلصي كركبتك الأول؟! **(تنظر إلـى كـور الشيكولاته)** الشيكولاته خلصت.. قلت لك قبل كده؟!

جيسي: بكره حاتوصلك كمية جديدة.. طلبت لـك صـندوق كامل..

الأم: **(تتفحص دليل التليفزيـون)** صـندوق كامـل يكمكـم يا جيسي..

جيسي: ممكن تتحفظ في الفريزر لحد ما تحتاجيهـا.. فـين مسدس بابا؟

الأم: في الصندرة.

جيسي: فين في الصندرة؟ دورت وانت نايمة وما لقيتوش في أي مكان.

الأم: أظن في صندوق من صناديق جزمه..

جيسي: كلها مليانه جزم.. دورت فيها كلها.

الأم: يبقى ما دورتيش كويس.. هناك في الصندوق اللي فيه الجوز اللي لبسه وهو رايح المستشفى.. لما مات قالوا لي أخده. لكن أنا عمري ما حبيت الجوز ده..

جيسي: (**تخرج رصاصة من جيبها**) لقيت الرصاص. كان في علبة لبن قديمة.

الأم: (**بينما تتحرك جيسي نحو البهو**) دوسون أخذ بندقية الصيد. مش كده؟! إديني السبت ده يا حبيبتي.

جيسي: (**جيسي تحضر لها السلة**) دوسون عمل خير إنه ما خدش المسدس ده.

الأم: (**توقف جيسي مرة أخرى**) ونضارتي من فضلك يا جيسي (**جيسي تعود لتحضر لها النظارة**) قلت له ياخد البوت المطاط كمان لكن قال إنه لصيد السمك..

قلت له اصطاد سمك.. (**جيسـي تحضـر سـبراي تنظيف النظارات وتبدأ في تنظيف نظارة الأم**).

جيسي: هو بس كسلان يطلع فوق يا مامـا. وإلا يمكـن ده ذكاء منه. الأرضية دي مش ثابتة كويس..

الأم: (**تخرج قطعة تريكو**) مش الأرضية كلها يا حبيبتـي.. شوية ألواح.. قيسي لي ده.. محتاجه ست بوصات..

جيسي: (**وهي تقيس**) ممكن دوسون ياخد شوية من الهـدوم اللي متخزنة فوق.. لازم حد ياخـدهم.. مفـروض تطلبي جمعية جيش الخلاص ييجوا ياخدوهم قبل ما يوقعوا السقف على راسك.. ست بوصات يا ماما..

الأم: الصندرة أمان جدا! طالما ما بتطلعيهاش.

جيسي: (**تستدير لتذهب ثانية**) حاخد بالي وأنا طالعه.

الأم: عايزه المسدس في إيه يا جيسي؟

جيسي: (**بدون أن تستدير هذه المرة بينما هي تفرد السلام في البهو**) الحماية. (**تثبت السلم بينما الأم تتحدث**).

الأم: أنت بتبالغي في تصديق اللي بيتقـال فـي التليفزيـون يا جيسي.. أنا عمري ما شفت مجرم في حيـاتي..

وبعدين إحنا بعيد قوي.. صعب إن حد ييجي لحد هنا عشان يسرق شوية الكراكيب اللي حيلتنا.. أنا عمري ما شفت مجرم..

جيسي: (**تصعد أول درجة في السلم**) إلا ريكي..

الأم: ريكي مضطرب.. دي مش جريمة..

جيسـي: اغسلي إيديكي.. حارجع لك حالاً.. نشفيها كـويس على ما آجي والا مش حاتنفع.. اتفقنا؟

الأم: مش دوسون قال لك ما تطلعيش السلم ده؟

جيسي: (**وهي تستمر في الصعود**) آه..

الأم: أنا مش عجباني فكرة المسدس يا جيسي..

جيسي: (**تصيح وهي داخل الصـندرة**) أي صندوق جـزم؟! فاكراه؟

الأم: الاسود.

جيسي: الصندوق لونه أسود؟!

الأم: الجزمة كان لونها أسود..

جيسي: لون الجزمة مش حايساعدني يا ماما..

الأم: مين قال إني بحاول أساعدك يـا سـكرتي (**لا إجابـة**)

ما عندناش حاجة تغري بالسرقة.. أنا شخصيا مـش عايزه الحاجات اللي عندنا يا جيسي.

جيسي: ولا أنا.. اغسلي إيدكي (**تقف الأم وتتجه لتقف أسفل السلم**).

الأم: انزلي من عندك قبل ما تجيلك النوبة. مش حاقدر أطلع وانزلك زي ما انتي عارفة.

جيسي: عارفه.

الأم: حانديها لهم لما ييجوا.. إيه رأيك.. أي حاجة عايزينهـا الحرامية ياخدوها..

جيسي: فكرة كويسة يا ماما..

الأم: ريكي حيعدي المرحلـة دي وحـا يبقـى ولـد رائـع يا جيسي.. لكن باقول لك إيه يا جيسي، مـش لازم ريكي يعرف إن عندنا مسدس في البيت.

جيسي: أهه.. لقيته..

الأم: اللي بيحصل لريكي مجرد شيء عابر.. يمكن يكـون ملموم على الناس بطالين.. كل اللي محتاجه شـوية وقت يا حبيبتي وحايرجع المدرسة أو يلاقي شغل..

في يوم حايتصل بيكي ويقـول آسـف علـى كـل المتاعب اللي سببتها لك، وحا يعزمك على العشا في مكان شيك..

جيسي: (**تهبط السلم**) ما تقلقيش.. ده مش له.. ده عشـاني أنا...

الأم: ما اظنش أنك حاتضربي ابنك بالرصاص يا جيسـي.. أنا عارفه يمكن الفكرة خطرت لك.. كلنـا بنحسـس أحيانًا إننا عاوين نضرب حد معين بالرصاص.. لكن ما بنعملش كده.. أعتقد مش محتاجين له.

جيسي: (**مقاطعة**) إيديكي مش مغسـولة.. عـايزه مـانيكير والا لأ..

الأم: أيوه عايزه.. لكن..

جيسي: (**تتجه نحو المقعد**) يبقى اغسلي إيديكي وما تكلمنيش عن ريكي تاني.. الخاتمين اللي أخدهم كـانوا آخـر حاجة لها قيمة باملكهـا ودلـوقتي.. اتـدور علـى الجيران.. يا ريت ينحبس فترة.. أنا بنفسـي كنـت حاسلمه للبوليس لو كنت اعرف مكانه...

الأم: أكيد ما تقصديش اللي بتقوليه..

جيسي: لا.. قاصدة كل كلمة.. اغسلي إيـديكي.. دي آخـر مرة حاقول لك (**جيسي تجلس وتبدأ فـي تنظيـف المسدس، تدفع الأسطوانة للخارج لتتأكد أن خزانة المسدس خاوية، ثم تضع قليلاً من الزيت على قطعة قماش صغيرة وتدفعها لداخل الخزانة بمـا يشـبه قطعة سواك عثرت عليها في الصندوق. تتجـه الأم للمطبخ وتغسل يديها كما أمرتها جيسـي وتحـاول التظاهر بعدم الاهتمام بالمسدس**).

الأم: كان مفروض اطلب منك تنزلي قسط اللـبن.. أجـنس باعت بتاعها في سوق الروبابيكيا بـ ٤٠ دولار.

جيسي: حاطلع واجيبه حالاً.. فيه كمـان عربيـة صـغيرة بعجل.. ده فيه حتى قربه لخض اللبن حاجبيهـا لـو كنت عايزاها..

الأم: (**تتجه نحو جيسي وتبادرها بالحديث**) بتعملي إيه؟

جيسي: الخزنة لازم تتنضف يا ماما.. فيها بقايـا البـارود القديم والتراب.

الأم: ليه.

جيسي:قلت لك.

الأم:(تمد يدها لتأخذ بالمسدس) أنا قلت لك ما فيش مجرمين هنا.

جيسي:(تتشبث بالمسدس بسرعة) وانا قلت لك (تحـاول أن تبدو هادئة). المسدس عشاني أنا.

الأم: طيب تقدري تاخديه لو عايزاه.. علـى أي حـال لمـا أموت حاتخدي كل حاجة.

جيسي: حاقتل نفسي يا ماما.

الأم:(تتجه للأريكة) حكاية مسلية جدا.

جيسي: حاعملها..

الأم: (**بسرعة وبضيق**) مش حاتعمليها!! ما تقـوليش كـده يا جيسي.

جيسي: وحاتعرفي إزاي لو ما قلتش.. عايزاهـا مفاجـأة؟! وانت مسترخية على الكنبة أو وانت بتنظفي أسنانك فجأة تسمعي دوشة في الصالة.

الأم: تقتلي نفسك؟

جيسي: حاضرب نفسي بالرصاص خلال ساعتين.

الأم: أظن جه ميعاد دواكي.

جيسي: أخذته بالفعل..

الأم: أمال إيه حكايتك؟!

جيسي: ولا حاجة.. أنا كويسة.. في أحسن حال..

الأم: في أحسن حال وناوية تقتلي نفسك!

جيسي: في الحقيقة استنيت لحد ما شعرت بالتحسن.

الأم: جيسي.. بلاش هزار.. أنا عجزت على النكت دي..

جيسي: مش نكتة يا ماما (**الأم تراقبها في صمت للحظة**).

الأم: إنت عارفة إن المسدس ده خسران.. كسره قبل ما يموت على طول.. في يوم وقعه في الطين.

جيسي: شكله في حاله جيدة (**جيسي تحرك الخزانة وتشد الزناد. المسدس خال من الرصاص وكل ما نسمعه تكة ولكن من المؤكد أنه سيعمل. كذلك فمن الواضح أن جيسي تعرف ما تفعله بالمسدس. الأم لا تستطيع أن تتكلم**) على أي حال عندي مسدس سيسل جاهز لو ده ما اشتغلش.. لكن أفضل استعمل مسدس بابا..

الأم: الرصاصات دي عمرها ١٥ سنة على الأقل..

جيسي: (**تخرج صندوقًا آخر**) لكن دول من الأسبوع اللي

فات بس..

الأم: جبتيهم منين؟

جيسي: من محل دوسون قال لي عليه.

الأم: دوسون؟

جيسي: قلت له أني قلقانه من الحرامية وقـال إنهـا فكـرة كويسة وقال لي على النوع اللي أسأل عليه.

الأم: لو كانت عنده أدنى فكرة...

جيسي: اعتبر الموضوع نوع من المجاملة.. افتكر أني بدأت اهتم بالأشياء وفضل يشرح لـي كـل شـيء عـن الرصاص وقال إننا لازم نتكلم كده أكثر..

الأم: وأنا كنت فين لما ده حصل؟

جيسي: بتتكلمي في التليفون مع أجنس عن قسط اللبن علـى ما أظن.. على أي حال سـألت دوسـون إذا كـانوا حايبعتوا لي طلقات رصاص لو طلبتها، فقـال إنـه اتصل بيهم عشاني لإنه عارف إنهم حايبعتوهـا لـو قال لهم.. وكان عنده حق.. وأهم..

الأم: إزاي يعمل كده؟

جيسي: بيحاول يساعد..

الأم: وأنا قلت لك على مكان المسدس..

جيسي: (**تبتسم مستمتعة بالنكتة**) شايفة... كل واحد بيعمل اللي في وسعه..

الأم: قلتي لي إنه للحماية!!

جيسي: وهو عشان كده.. على أي حال أنا لسه حاعمل مانيكير لضوافرك.. تحبي تجربي لون التوت الصيني الجديد؟

الأم: طيب أنا حاتصل بدوسون حالاً وحاتشوف حايقول إيه على الكلام الفارغ ده.

جيسي: دوسون ما بقالوش علاقة بالموضوع.

الأم: ده أخوكي..

جيسي: بس..

الأم: (**تقف وتتجه نحو التليفون**) دوسون حيوضع حد لكل ده.. أيوه.. حاياخد المسدس..

جيسي: لو طلبتيه حاضطر أعملها قبل ما يوصل. بمجرد ما تحطي السماعة هاقفل على نفسي بابا الحمام.

الأم: مش حاتعملي كده.. ده جنون يا جيسي..

جيسي: دوسون حاييجي هنا في الوقـت المناسـب عشـان يساعدك في التنظيف.. ياللـه اتصلي بيه وبعـدين بالبوليس وبعده الحانوتي. واتصلي بلوريتا وشـوفي إن كانت حاتوضب لك ضوافرك **(الأم تتجه للتليفون وتبدأ في إدارة القرص لكن جيسي تسـرع خلفهـا وتأخذ السماعة من يدها وتضعها مكانها.. جيسـي تتكلم بحزم وهدوء)** قلت لأ.. ده موضوع شخصي.. دوسون مش مدعو..

الأم: أنا بس..

جيسي: مش عايزة أي شخص تاني.. أنـت وأنـا بـس.. لو دوسون جه حاحس إني غبية لأني ما عملتهـاش من عشر سنين.

الأم: الأحسن نطلب الدكتور أو عربية الإسعاف.. السـواق بيعجبك أنا عارفه.. اسمه إيه؟ تيمي.. أجيب لك حد تتكلمي معاه..

جيسي: **(تعود لمقعدها)** خلصت الكلام.. متتعبنيش يا ماما.. كفاية.

الأم: حانقعد نتكلم زي كل ليلة وبعدها تقتلي نفسك؟ (**جيسي لا تجيب**) مش حتعرفي تصوبي صح (**مـرة ثانيـة لا تعليق**) حتعيشي زي الجثة.. يعجبك ده؟ حتطيري ودنك بالطلقة.. ده اللي انتي عاوزاه؟ إنتي عارفه إن الدكتور حذرك من الانفعال.. حاتمسـكي المسـدس وبعدين تجيلك النوبة.. مش حاتقدري تموتي نفسك.

جيسي: أعتقد أني أقدر اموت نفسي يا ماما.

الأم: مش حاتقتلي نفسك يا جيسي.. دانتي حتى مش زعلانة أو متضايقة (**جيسي تبتسـم أو تضـحك بهـدوء.. تحاول الأم أن تأخذ مدخلاً آخر**) مفيش حد بيمـوت نفسه في الدنيا يا جيسي.. لأ يا حبيبتي.. ده شـيء ميعقلوش حد... إلا بقى إذا كنت متخلفـة عقليـا أو مجنونة.. وأنت يا حبيبتي طبيعيـة زي أي حـد.. طبيعية خالص.. معظم الوقت.. وكلنا بنخـاف مـن الموت..

جيسي: إلا أنا يا ماما.. وعلى أي حال أنا باشعر إني بردانه طول الوقت..

الأم: مش ممكن اللي بتقوليه ده

جيسي: الموت هو بـالظبط اللـي أنـا عـايزاه.. الظـلام والهدوء..

الأم: عندك الجنينة اللي ورا البيت يا جيسي.. ضلمة ومليانه هدوء. غمضي عينيكي واحشـي ودانـك قطـن.. ونامي.. أوضتك هادية.. حاقفل التليفزيـون طـول الليل..

جيسي: هدوء كامل لدرجة إني مـا حسـش بيـه.. هـدوء ما حدش يقدر يوصل لي فيه..

الأم: انت ما تعرفيش إيه هو الموت.. يمكن ما يكونش هادي على الإطلاق.. افرضي كان زي المنبه.. لا تقدري تصحي ولا تقدري توقفيه أبدا..

جيسي: الموت هو كل شخص وكل شـيء عرفتـه.. كلـه راح... الموت هدوء قاتل..

الأم: لكن خطيئة.. حتروحي النار..

جيسي: ها ها ها

الأم: أيوه..

جيسي: تعرفي اتهيألي إن المسيح نفسه انتحر..

الأم: حتدخلي النار يا جيسي على كلامك ده.

جيسي: (**في دهشة حقيقة**) ياه.. مكنتش مدركة إن ده رأيي في المسيح.

الأم: جيسي (**جيسي لا تجيب.. تعيـد المسـدس المحشـو بالطلقات إلى صندوقه ثم تتجه للمطـبخ، لكـن الأم تخشى أن تذهب لغرفة النوم الأم مضـطربة**) مـش حاتقدري تستخدمي فوطي.. دي فوطي من زمان.. وهي عجباني..

جيسي: سألتك إذا كنت عايزة بشكير البلاج وانت قلتي لأ..

الأم: وما تقدريش تستخدمي مسدس أبوكي.. هو كمان ملكي دلوقتي.. ولا تقدري تعملي ده في بيتي..

جيسي: أوه.. بطلي بقى..

الأم: لأ.. مش ممكن تعمليها.. مش حاسمح لك.. البيـت ده باسمي.

جيسـي: لازم ادخل أوضة نومي وأقفل الباب ورايا عشـان ما يقبضوش عليكي بتهمة قتلي.. غالبا هايفحصـوا إيديكي عشان يعرفوا إن كان فيها آثار بارود.. لكن الأمور حاتعدي..

الأم: مش في بيتي!!

جيسي: لو كنت أعرف أنك حاتتصرفي كده ما كنتش قلـت لك..

الأم: وكان مفروض اتصرف إزاي؟ أقول لك ياللـه.. على بركة ا .. مفيش مانع يا سـكرتي.. الأمـر سـيان يا حياتي.. يمكن أنا كمان أجربه.. إيه اللي أخرك ده كله؟!

جيسي: مفيش معنى لخناقتك معايـا علـى الموضـوع ده.. الموضوع منتهي.. عايزة قهوة؟

الأم: عيد ميلادك قرب يا جيسـي.. مـش عـايزة تعرفـي جهزنالك إيه؟

جيسي: إنت جبيت لي علبة بودرة ولوريتا اشترت لي روب منزلي، أغلب الظن لونه روز، ودوسون جاب لـي شبشب جديد.. صغير جدا لكن مناسب للروب.. هو حايقول كده (**الأم لا تستطيع أن تتكلم**) صح؟ (**مـن الواضح أن جيسي على حق**) حارجع خلال دقيقـة (**جيسي تأخذ صندوق المسـدس وتضـعه أعلـى مجموعة مناشف وأكياس قمامة، وتحملها لغرفـة**

نومها.. الأم وحدها للحظة.. تتجه نحـو التليفـون وترفع السماعة. تنظر صوب حجرة النوم. تبدأ في طلب نمرة ثم تضع السماعة مكانهـا عنـد دخـول جيسي للحجرة. جيسي تتعجب في صمت. لقد عاشا سويا طويلاً ولا يوجد سـبب لأن تسـأل الواحـدة الأخرى عما تنوي أن تفعله).

الأم: بدأت اطلب النمرة لكن ما كملتش.. ما طلبتوش..

جيسي: برافو.. شكرا.

الأم: (**تبدأ من مدخل جديد**) ليه كده يا جيسي؟

جيسي: كده؟! (**جيسي تبدأ الآن مهمتها التالية في الجـدول وهي إعادة ملء برطمانات الحلوى وإفراغ صندوق الشيكولاته من الأوراق الخالية.. إلخ.. عـادة مـا تختطف الأم قطعا من الحلوى وجيسي تقوم بهذا.. لكنها لا تفعل ذلك الليلة رغم أن جيسـي تعـرض عليها).**

الأم: أنا عملت إيه؟

جيسي: ولا حاجة.. عايزة قطعة كراملة؟

الأم: (**متجاهلة الحلوى**) إنت زعلانة مني؟

جيسي: على الإطلاق.. أنا قلقانة عليكي، لكن حاعمل كـل اللي أقدر عليه قبل ما أرحل.. مش حانكون عاطلين الليلة.. أنا عملت قائمة بكل الأشياء.

الأم: أشياء إيه؟

جيسي: إزاي الغسالة تشتغل.. حاجات من النوع ده..

الأم: هو أنت كبرتي وأنت لابسه هدوم وسخه؟!

جيسي: لأ.

الأم: أنا عارفة إزاي تشـتغل الغسـالة.. تحطـي الهـدوم والصابون وبعدين تدوريها وتستني..

جيسي: وفيه حاجة كمان.. مش بس تستني..

الأم: أيا ما كان اللي حاتعمليـه فانـت أساسـا بتنتظـري.. الانتظار هو أسوأ جزء.. الانتظار هو الشيء اللـي بتدفعي لحد تاني عشان يعمله لو كان عنـدك اللـي تدفعيه..

جيسي: (**تومئ برأسها**) أوكيه.. وفين بنشيل الصابون؟

الأم: أقدر ألاقيه..

جيسي: شفتي؟!

الأم: إذا كان الغسيل بيزعجك ممكن نجيب لوريتا تعمله.

جيسي: يا سلام.. ده فعلاً يستحق إن الواحد يستنى عشـان يشوفه...

الأم: عمرها ما حترضى.. مش كده؟

جيسي: طبعا لأ.

الأم: هي حكاياتها إيه؟

جيسي: فاكره نفسها أحسن مننا.. لكن ده مش حقيقي..

الأم: يمكن لو ما كانتش بتلبس اللـون الأصـفر ده طـول الوقت..

جيسي: نمرة ورشة تصليح الغسالة على كارت متثبت علـى جنب الغسالة.

الأم: ممكن لوريتا ما تجيش هنا خالص.. لما دوسون ييجي، يسيبها في البيت.. ولا حتى مـا نشـوفش دوسـون خالص إذا كان بيضايقك.. هو بيضايقك؟!

جيسي: طبعا بيضايقني.. اتأكدي من تنظيف المجفف في كل مرة تستخدميه.. لكن ما تحطيش فيه اسبدرين البيت

علشان ما يدوبش نعله..

الأم: إيه اللي عمله دوسون وضايقك؟

جيسي: ولا حاجة.. بيدلعني ويقولي يا جس وكأنه يعرفني حقيقي. ودايما يسألني أنا باعمل إيه طول اليوم.. أنا كمان بسأل نفسي لكن في النهاية اليوم ده بتاعي أنا ومن حقي أنا أسأل مش هو..

الأم: العيلة مجرد صدفة يا جيسي.. ده مش شيء شخصي موجه لك يا حبيبتي.. هم مش بيقصدوا يضايقوك.. هم حتى مقصدوش أنهم يكونوا عيلتك.. لكن هم كده..

جيسي: بيعرفوا أكثر من اللازم..

الأم: عن إيه؟

جيسي: بيعرفوا أشياء عنك، وعرفوها قبل ما تتاح لك الفرصة عشان تقولي إذا كنت عايزاهم يعرفوها والا لأ.. كانوا هناك لما حصلت وهي ما تخصهمش.. تخصك أنت.. لكن أهو عرفوها وخلاص.. زي بالضبط لما السوتيان بتاعي اللي طلبته بالبريد اتسلم على عنوانهم..

الأم: بالصدفة.

جيسي: ولو.. فتحوه.. شافوا براعم الورد الصـغيرة اللـي مشغولة عليه (**تقدم لها قطعة حلوى أخرى**) تمصي نعناع؟

الأم: (**تهز رأسها نفيا**) إيه اللي يعرفوه عنك؟ حـاقول لهـم ما يتكلموش عنه تاني.. كـلام بخصـوص ريكـي والا سيسل؟ النوبات اللي بتجيلك؟ إن شعرك بيقـع وإنك بتشربي قهوة كتير وتحبسي نفسك في البيـت على طول والا إيه؟

جيسي: كل ما في الموضوع إني مـش باحـب كلامهـم.. الحساب المفتوح عند البقال باسم دوسون.. قوليله لما تتصلي بيه تطلبي طلبات.. نمرة تليفونه وسط نمـر كتيرة على ضهر دفتر التليفونات..

الأم: كويس أدينا بنتقدم.. ما حدش منهم حايخطي برجله في البيت مرة تانيه..

جيسي: مش همه يا ماما.. أنا مش حاقتل نفسي عشان أهرب منهم.

الأم: على أي حال أنت بتسيبي الأوضه لما بييجوا..

جيسي: باقعد أد ما قدر.. مع ذلك انتي اللي بييجوا عشـان يشوفوها..

الأم: عشان باقعد معاهم لما بييجوا.

جيسي: مش همه..

الأم: أمال إيه؟! أمال إيه؟!

جيسي: (**تفحص القائمة في نوتتها**) البقالة مش حاتيجي يوم السبت بعد كده.. لو احتاجتي طلب يوصلك في نفس اليوم لازم تتصلي قبـل السـاعة عشـرة، ومـش حايوصلوا بضاعة بأقل من ١٥ دولار.. اللي باعمله إني باطلب اللي نحتاجه وأقول لهم يضـيفوا عليـه سجاير لحد المبلغ ما يوصل لـ ١٥ دولار.

الأم: ريكي السبب؟ عايزه توصلي له؟!

جيسي: لو تصورت إنه بإمكاني كنت استنيت..

الأم: عشان تحسسيه بالذنب.. إنه أذاكي.. هـو ده السـبب، مش كده؟!

جيسي: هو أذاني.. أنا أذيته.. خالصين..

الأم: عارفة إنك بده بتقولي له إنك موافقـة علـى القتـل..

عايزاه يقتل بعد كده؟ آه مش غلط.. ما هـي مامـا عملت كده..

جيسي: دي مسألة وقت يا ماما.. لما تيجي المكالمة، خلـي دوسون يتولى أمرها..

الأم: حبيبتي.. مين قال لك إن كل المكالمات اللي من طرفه حاتكون دايما عن مشاكل جديدة بيتعرض لها.. يمكن تيجي واحدة تقول لك إنه لقى شغل.. إنه حـايتجوز والا حايدخل الجيش.. مش ده يبقى خبر جميل؟!

جيسـي: لو اتصلتي بمحل الحلويات قبل ما تطلـب البقالـة وطلبتي اللي انت عايزاه وبلغتي البقالة إن سـوزي اللي في محل الحلويات حاتجيب لهم الحلويات اللـي انت عايزاها، حاتوصلك الحاجات كلها مرة واحدة.. لكن لازم تكلمي سوزي نفسها.. هي مش حـاتخليهم يحطوا الحلويات تحت البقالة زي ما حصـل قبـل كده.. فاكرة؟!

الأم: عارفة.. يمكن ريكي بيجي.. طيب ولو جه يزورنا؟

جيسي: مش ريكي السبب يا ماما..

الأم: أو افرضي حد تاني اتصل يا جيسي؟

جيسي: مش في ليلة السبت يا ماما.

الأم: فيه إيه أمال؟ أنت عيانة؟ لو كانت لثتك ملتهبـة تـاني ممكن نروح لدكتور الأسنان الصبح..

جيسي: لأ.. تقدري تطلبي أدويتك والا عايزة دوسون يقـوم بده؟ أنا حاسيب له ورقة.. ممكن أضيف لها ده لـو عزتي..

الأم: عينيكي شكلها مش طبيعي.. حسيت بده إمبارح..

جيسي: كانت مجرد حساسية من الزرع.. أنا مش مريضة..

الأم: الصرع مرض يا جيسي.

جيسي: مش حايقتلني (**صـمت**) لـو كـان.. مـا كنـتش اضطريت..

الأم: أنت مش مضطرة..

جيسي: لا.. مـش مضـطرة.. وده اللـي عـاجبني فـي الموضوع..

الأم: مش حاسمح لك.

جيسي: مش بإيدك..

الأم: جيسي..

جيسي: عايزة أعلق يافطة على رقبتي زي اللي كـان بابـا بيحطها على الشـونة (مخـزن الغـلال).. "ذهـب للصيد"..

الأم: مش عاجبك الحال هنا؟!

جيسي: (**تبتسم**) بالظبط.

الأم: قصدت هنا، في بيتي.

جيسي: عارفه.

الأم: ما كانش لازم ترجعي تعيشي معايا.. لو احتفظت ببيتك الصغير أو لقيتي مكان تاني لما سابك سيسل كنـت على الأقل كونتي شوية أصحاب.. كان بقى لك حياة تعيشيها.. كان بقى عندك أشيائك الخاصـة واديتـي ريكي مكان عشان ييجي يشوفك.. ما كانش لازم أبدا تيجي هنا..

جيسي: ممكن..

الأم: لكن أنا ما جبرتكيش.. حصل؟!

جيسي: لو هي غلطة تبقى غلطتنـا إحنـا الاثنـين.. إنـت أويتيني، وأنا مقدرة ده..

الأم: ما كانش فيه فايدة لقعادك وحدك وقتها.. لكـن أقـدر اتصور أد إيه يمكن كنت عايزة المكان بتاعك.. كان ممكن تكوني قريبه أو بعيده زي ما انت عاوزه.. أي ست ناضجة.

جيسي: ماما.. كل ما في الموضوع إني مش مبسوطة، وما عنديش أسباب تخليني أظن إن الأمور حـاتتغير إلا للأسوأ.. أنا تعبانة مجروحة.. حزينة.. حاسة انـي مستهلكة..

الأم: تعبانة من إيه؟!

جيسي: كله..

الأم: يعني إيه؟!

جيسي: ما عنديش تعبير أحسن من كده..

الأم: ماشي لكن لازم تلاقي تعبير أفضل وأوضح، لإني مش حاسيبك في حالك لحد مـا تعملـي ده.. إيـه هـي الحاجات التانية؟ مجروحة؟ (**قبل أن تستطيع جيسي الإجابة**) انت رتبتي ده كله عشان تقوليهـولي مـش كده؟! كتبتيه؟ من إمتى بتفكري فيه؟

جيسي: من وقت للتاني.. عشر سنين.. طول الوقت.. مـن

الكريسماس اللي فات..

الأم: إيه اللي حصل في الكريسماس اللي فات؟

جيسي: ولا حاجة..

الأم: أمال ليه من الكريسماس؟

جيسي: كده.. روحي وصلت لمنـاخيري.. (**صـمت**) (**الأم تعرف جيدا ما تقصـده جيسـي.. مـرت بـنفس الأحاسيس هي الأخـرى. جيسـي تحمـل أكيـاس الحلوى**) شايفة الحاجات فين؟ الشـيكولاته قـدام.. النعناع والكرميله في الكيس ده.. عبوات البنبـوني والطوفي الجديدة ورا هناك.

الأم: ارجعي تاني للموضوع.. إيه اللي جرحك؟

جيسي: (**الأم تعرف جيدا**) ماما.

الأم: طيب.. حزينة من إيه؟! مفيش حاجة محزنـة حقيقـي حصلت دلوقتي.. لو الموضوع كان بعد طلاقـك أو أي حاجة تانية كان يبقى مفهوم..

جيسي: (**تنظر لجدولها في النوتة ثم تفتح درجا**) ودلوقتي.. الدرج ده فيه كل حاجة مالهاش مكان مناسب غيـر

هنا.. توصيلات سلك.. بطاريات للراديو.. ولاعات إضافية.. ورق صـنفرة.. ورق لـزق.. صـمغ.. مسامير.. حاجات من النوع ده... مصيدة الفيـران تحت الحوض، لكن اطلبي دوسون لو لقيتـي فـار وخليه يركبها.

الأم: حزينة من إيه؟

جيسي: من الدنيا..

الأم: مش كفاية.. من إيه تحديدا؟!

جيسي: أووه.. كل شيء.. بداية منك ومنـي إلـى الصـين الشيوعية..

الأم: متهيألي نقدر نخرج الصين من الموضوع.

جيسي: (**تعود إلى حجرة المعيشة**) فيه لُمـض زيـادة فـي الصندوق في دولاب الصالة وعندنا عبـوتين مـن الفيوزات في صندوق الفيوزات.. الشمع والكبريـت فوق دولاب المكنسة.. لكن لو انقطع النور ما عليكي إلا إنك تطلبي دوسون وتقعدي مكانـك.. لكـن مـا تفتحيش باب التلاجة.. الحاجات حاتحتفظ ببرودتهـا طالما الباب فضل مقفول.

الأم: سألتك سؤال..

جيسي: أنا باقرا الجرايد.. الحال مش عـاجبني، وعمومـا الأحوال بره مش أحسن من هنا.

الأم: لو الجرايد السبب نقدر بالتأكيد نحل المشكلة..

جيسي: التليفزيون فيه أكتر..

الأم: (**تركل التليفزيون بقدمها**) يبقى أرميه..

جيسي: مش حاتعملي كده..

الأم: حاتشوفي..

جيسي: حاتعملي إيه طول اليوم؟

الأم: (**باستسلام**) حاغني. (**جيسي تضحك**) أيـوه.. عـايزة تشوفي حاغني للصبح عشان تعيشي.. جيسي... من فضلك.

جيسي: لأ. (**ثم بلهجة ودودة**) مع ذلك هي فكـرة لطيفـة.. حاتغني إيه؟!

الأم: (**لا تعرف بماذا تجيب**) إحنـا عايشـين كـويس هنـا يا جيسي.

جيسي: (**تعود للمطبخ**) اتصلت الصبح وألغيت كل الجرايـد

ما عدا يوم الحد عشان الفـوازير والألغـاز اللـي بتحليها.. حايوصلاك عدد الحد...

الأم: تعالي نشتري كلب تاني يا جيسي.. انت كنت بتحبـي الكلب الكبير.. كنت بتحبيه مش كده..

جيسي: (**تغسل يديها**) آه كنت باحب الكلب الكبير..

الأم: أنا مغفلة.. ده الكلب اللي دهسه اللوري..

جيسي: ده يثبت إن هو اللي مغفل مش انتي..

الأم: أنا اللي جبته..

جيسي: مفيش مشكلة.. الفوط والسفنج تحت الحوض.

الأم: نقدر نجيب كلب جديد ونخليه في البيت.. الكلاب مـش غاليه!!

جيسي: (**تخرج الآن برطمانات كبسولات كبيرة من خزانـة المطبخ**) لأ..

الأم: حاجة تهتمي بيها..

جيسي: انتي كنتي عندي يا ماما.. (**تبدأ في ملء البرطمانات بالكبسولات في عصبية**).

الأم: انت بتعملي كتير عشاني... أقدر أقعد طول اليوم أمـلا

برطمانات الحبوب يا جيسي واغير ورق الأرفـف وامسح الأرض.. أقدر لما أنوي.. اتفرجي عليـا.. أنت مش مضطرة تعملي أي حاجة تاني في البيت ده مش عايزه.. مش مضطرة تراعيني يا جيسي..

جيسي: عارفه.. أنت كنت سايبه لي ده عشان ألاقي حاجـة تشغلني.. مش كده؟!

الأم: (**تدرك خطأ ما قالته**) أنا مش حاعملها كويس زيـك.. كل اللي قصدته ده لو كانت بتتعبك أو بتحسسك إنك مستنزفة..

جيسي: ماما عارفة لما تركبي أتوبيس.. الحر وحفر الطريق والزحمة.. كلهـا بتخليكـي عـايزة تنزلـي مـن الأتوبيس.. الشيء الوحيد اللي بيمنعـك مـن ده إن المكان اللي انت عايزه توصلي له علـى بعـد ٥٠ مبنى.. لكن أنا أقدر انزل دلوقتي لو عايزة، لأني لو فضلت راكبه ٥٠ سنة كمان وبعدين نزلت حـاكون في نفس المكان. محاك سر.. وقت ما احـب أقـدر أنزل.. لما ما قدرش أتحمل الكتر تبقى دي محطتي.. وأنا أخدت كفايتي.

الأم: مقهورة على نفسك؟!

جيسي: سلاكة الحوض تحته هي كمان..

الأم: ما استمتعتيش بحياتك.. مين كان وعدك بكده؟! تفتكري أنا استمتعت بيها؟!

جيسي: أعتقد إنك سعيدة.. عندك الحاجـات اللـي بتحبـي تعمليها..

الأم: زي إيه؟!

جيسي: زي الكروشيه.

الأم: حاعلمك كروشيه..

جيسي: ما اقدرش أعمل حاجة من الحاجـات الجميلـة دي يا ماما..

الأم: جيسي.. الوقت اللاطيف مش حييجي يـدور عليكـي.. تقدري تحلي ألغاز أو تهتمي بالجنينـة أو تتفرجـي على المحلات.. ياللـه نطلب تاكسي ونروح محـل كبير.

جيسي: أنا لسه جايبه لك مشتروات تكفيكي أسبوعين.. مش حاتحتاجي ورق تواليت لحد عيد الشكر.

الأم: (**تقاطعها**) انت بتتصرفي زي عيلـة سـخيفة متدلعـة يا جيسي.. انت مجنونه.. كل الناس بتحسسك بالمال وما عندكيش حاجة تعمليها ومش بتحبينـي ومـش بتحبي تخرجي ومش بتحبي قعدة البيت وعمرك مـا بتتكلمي في التليفون ومش بتتفرجي على التليفزيـون والنتيجة إنك تعيسة.. غلطتك يا حبيبة قلبي..

جيسي: وجه الوقت إني ألاقي لها حل..

الأم: مش تقتلي نفسك.. تعملي حاجة زي.. تشتري أطبـاق جديدة مثلاً.. إيه رأيك!! أنا عاجبـاني الفكـرة.. أو يمكن الدكتور يسمح لك دلـوقتي تعملـي رخصـة سواقه.. أنا عارفة نعمل إيه دلوقتي حـالا.. تعـالي نغير ترتيب العفش..

جيسي: حاعمله.. لو كنت عايزه.. أنا دايما كنت بافكر لو أن التليفزيون في مكان تـاني مـش حـاتنعكس عليـه الإضاءة طول النهار حاعملك أي حاجة أنتِ عايزاها قبل ما امشي..

الأم: (**مفزوعة من الكلمات**) تقدري تشتغلي..

جيسي: اشتغلت مندوبة مبيعات بالتليفون لكن مـا كسـبتش

حتى اللي يغطي فاتورة التليفون، وحاولت أشتغل في محل الهدايا في المستشفى لكن قالوا لي أني ضايقت الزباين بسبب الطريقة اللي بابتسم بيها..

الأم: تقدري تشتغلي في الحسابات.. أنـت مسـكتي دفـاتر بابا...

جيسي: اللي مفيش حد راجعها أبدا...

الأم: لما مات راجعوها..

جيسي: آه.. وبعدين سحبوها مني..

الأم: عشان وجودهم هناك ضروري للشغل يا جيسي.

جيسي: (**تحمل زجاجات الكبسولات بعيدا**) أنـت عارفـة.. ما قدرتش أشتغل.. ما قدرتش أعمـل أي حاجـة.. ما اختلطتش بناس كتير إلا لما رحت المستشـفى.. ممكن تجيلي النوبة في أي لحظة.. حايعملوا إيه في الشغل؟. نوع الشغل الوحيد المتاح حايخليني أسوأ.

الأم: جيسي!!

جيسي: هي دي الحقيقة!!

الأم: اللي انتي فاكره إنها الحقيقة.

جيسي: (**تدهش لوضوح الفكرة**) صحيح.. اللي بفكر فيه هو الحقيقة..

الأم: (**في هستيريا**) لكن أنا ما قدرش اعمل حاجة في ده..

جيسي:(**بهدوء**) لا.. ما تقدريش (**تبدو الأم كما لو كانت في إغفاءة وإن لم تكن جسدية.. إنها عاطفية**) ولا أنـا أقدر أعمل حاجة في حياتي عشان أغيرها أو أغيـر إحساسي بيها.. أحسنها.. أخليها تتحرك.. لكن أقـدر أوقفها.. أنهيها.. أقفلها زي الراديو لما ما يكونش فيه حاجة عايزه أسمعها.. حياتي هي الشيء الوحيد اللي باملكه واللي حاقدر أقـول حايحصـل فيـه إيـه.. حاتنتهي.. حانهيها.. يبقى الأحسن نستمتع بالوقـت اللي باقي منها...

الأم: نستمتع!!

جيسي: ما هو مش حانفضل نتناقر طول الليل... أقصد إني أقدر أسألك عن حاجات كنت دايما عـايزه أعرفهـا وأنت ممكن تعملي لي كاكاو سخن زي زمان..

الأم: (**في يأس**) ده محتاج كاكاو يا جيسي..

جيسي: (**تخرج كاكاو من الخزينة**) اشتريت كاكاو يا ماما..

نفسي في فطيرة تفاح وأوضب لك ضوافرك..

الأم: ما أكلتيش ولا لقمة في العشا..

ديسي: ده يمنع إني آكل فطيرة تفاح؟

الأم: طبعا لأ.. أقصد (**وهي تبتسم**) طبعا ممكن تأكلي فطيرة تفاح..

جيسي: أنا برضه قلت كده..

الأم: فطيرة التفاح اللي باعملها مفيش زيها في الدنيا..

جيسي: عارفة..

الأم: أو كانت... وما تلاقيش دلوقتي في أي حتة كاكاو زي بتاعي..

جيسي: بتاخد وقت.. أنا عارفه.. بس..

الأم: السر كله في الملح..

جيسي: وتعب وغلبه..

الأم: (**تتراجع للوراء نحو الموقد**) لا تعب ولا حاجه.. تعب إيه؟.. تحطيها في الطبق وتقلبي.. كويس.. وبعـدين كراملة التفاح.. وآدي الكاكاو (**جيسي تسـير نحـو المنضدة لتأخذ سجائرها بينما تبحث الأم عن إنـاء**

مناسب.. تتبادلان ابتسامات قصيرة وقد تحاول الأم أن تساك حنجرتها.. هدنة قصير وإن كانت مشوبة بتوتر.. جيسي التي لم تتوقف عـن الحركـة منـذ البداية يبدو أنها هجعت وقـررت أن تجلـس.. الأم تبدأ في البحث عن إناء لعمل الكاكاو وأثنـاء ذلـك تخرج كل الأواني من الدولاب.. يبدو وكأنها تتعمـد عمل فوضى كي تضطر جيسـي لإعـادة الأوانـي لمكانها.. الأم تشتري الوقت أو تحاول ذلك لتسـلي جيسي).

جيسي: كلمتي أجنس النهارة؟

الأم: بتكلمني الأسبوع ده من تليفون عمومي، مش عارفه ليه مع إن عندها تليفون في بيتها..

جيسي: (**ضاحكة**) إزيها؟!

الأم: كالمعتاد.. مجنونة..

جيسي: هي مجنونة والا بس عبيطة؟

الأم: لا حقيقي مجنونة.. غالبا استعملت التليفـون العمـومي عشان عندها حريقة صغيرة تانية في بيتها..

جيسي: يا ماما!!

الأم: بجد!! ما في بيت أجنس فلتشر سـكنته إلا وحرقتـه، ٨ حرايق والتاسعة متوقعة دلوقتي في أي وقت..

جيسي: (**ضاحكة**) لأ!!

الأم: (**مستمتعة بالفعل الآن**) مش حاستغرب أبدا..

جيسي: (**ضاحكة**) ليه ما قلتليش قبـل كـده؟! طيـب ليـه ما دخلوهاش مستشفى!!

الأم: عشان مفيش حد أُصيب أبدا.. متهيألي أجنس بتصـحي الكل يتفرجوا أول ما تولع الحريقة..

جيسي: أظن منتهى المراعاة للآخرين..

الأم: مرة رصت كراسي الجنينة وقدمت لهم ليموناده.

جيسي: (**تهز رأسها**) حقيقي.. ليموناده؟!

الأم: البيوت اللي سكنوها زي ما أنت عارفه.. كانـت آيلـة للسـقوط... طيـب تسـتنى ليـه؟! ده تفسـيري للموضوع.. أجنس تحب تحس بالإنجاز..

جيسي: (**تفكر في الأمر للحظة**) يا بختها.

الأم: (**تعثر على الإناء الذي تريده**) بتسألي ليه عن أجـنس؟

فنجان والا اتنين؟!

جيسي: واحدة.. صاحبتك.. بلاش كريمة..

الأم: (**تضع اللبن.. الخ**) لازم تاخـدي كريمـة زي زمـان يا جيسي.. ملعقتين والا تلاتة.. تلاتة أحسن..

جيسي: يبقى تلاتة.. بيتها كلـه اتحـرق؟ حتـى هـدومها ومخداتها وكل حاجة؟ مش قادرة أصـدق الحكايـة دي..

الأم: ده لما كانت صغيرة يا جيسي.. مش دلوقتي.. ده كـان زمان. بس برضه لسه عندها شعره.. أنا متأكده..

جيسي: ما يتهيأليش تحرق بيتها دلـوقتي.. تـروح فـين؟ حتجيب منين "باستر" يبني لهـا واحـد جديـد.. ده مات.. إزاي تقدر تحرقه؟!

الأم: مع ذلك حاتكون حاجة مثيرة لو عملتها.. مـا حـدش يعرف..

جيسي: أنت عارفه يا ماما أنها مش حاتعمل كده..

الأم: (**مضطرة للاعتراف ولكن بتردد**) متهيألي لأ.

جيسي: إيه كمان؟ طيب إيه حكاية الصفافير الكتيـرة اللـي

معلقاها حوالين رقبتها؟

الأم: أنت ما تعرفيش إن بيتها مليان طيور؟!

جيسي: ما كنتش أعرف إن عندها بيت مليان طيور!

الأم: آه.. بتقول أنهم بيطيروا وراها لحد البيت.. بـس أنـا عارفه أنها لسه بتدفع ثمن آخر بغبغـان اشـترته.. بتقول الواحد لازم يملا حياته.. الحقيقة هي بتقـول تعليقات غريبة كتير. (**جيسي تضحك.. الأم تواصـل الحديث، مقتنعة أنها وصلت لنقطة هامـة لصـرف تفكير جيسي عما تنتوي**) وإلا كميات البامية اللـي بتاكلها.. ما هو مش معقول الواحد ياكل بامية مرتين في اليوم ويتصور أن الموضـوع يعـدي بالسـاهل (**ضحكة خبيثة مكتومة**) حاتتجنن..

جيسي: صحيح بتاكل بامية مرتين في اليوم؟ بتجيبها منـين في الشتا؟!

الأم: آه.. يعني بتاكلها كتير.. يمكن مش مرتين في اليـوم.. لكن..

جيسي: أكتر من العادي.

الأم: (**يخالجها شعور بالضيق**) أنا ما عرفش العادي ده يطلع أد إيه؟!!

جيسي: أنت حقيقي تعرفي أجنس بتاكل أد إيه بامية؟

الأم: لأ..

جيسي: عندها كام طائر..

الأم: اتنين..

جيسي: طيب إيه فايدة الصفافير دي كلها؟

الأم: دول مش صفافير حقيقية.. مجرد أشكال بلاستيك فـي عقد كسبته وهي بتلعب البنجو.. أنا اخترعت الحكاية عشان أضحكك ولو مرة يـا جيسـي.. مـش لازم الحاجات تكون حقيقية عشان نـتكلم عنهـا.. انـت عارفه..

جيسي: طيب ليه ما تزوركيش هنا؟ (**الأم تهدأ فجأة.. لكـن الكاكاو واللبن في الإنـاء الآن ولا بـد أن تشـعل الموقد وأن تبدأ في تقليب الخليط**).

الأم: ا .. أيوه كده.. فكرة الكاكاو كانـت رائعـة.. كـان مفروض نشرب الكاكاو أكتر.. الكاكاو هايل..

جيسي: لكن أنت مش بتحبي اللبن..

الأم: (**تبدأ محاولة أخرى ولكـن ليسـت بدرجـة حمـاس السابقة**) باكرهه.. اللبن بيلـزق فـي الـزور زي البامية.. فيه حاجة بتقرفني..

جيسي: مش بتزورك بسببي أنا مش كده؟!

الأم: لا يا جيسي..

جيسي: أيوه يا ماما..

الأم: أوكيه.. أيوه.. بس هي مجنونة بجد.. خُلل..

جيسي: إيه اللي حصل بالضبط.. أنا قلت حاجـة؟ عملـت حاجة؟! والا هي شافتني لما جت لي النوبة وخايفـة تيجي هنا إن تجيلي النوبة تاني.. والا إيه بالضبط؟!!

الأم: متهيألي..

جيسي: متهيألك إيه؟ قالت لك إيه؟ أكيد هي قالت لك سبب..

الأم: إيديكي باردة..

جيسي: وإيه يعني؟!

الأم: زي الجثة.. بتقول إنها هي شخصيا حـاتموت قريـب وبالتالي جثة واحدة كفاية..

جيسي: ده جنان..

الأم: هي أجنس كده.. "جيسي بتسلم على الموت وأنا مش عايزه أغامر واتعدي منها يا ثلما.. أنا مش جاية هنا تاني.. تفهمي، ما تفهميش مش جايه.. حاقف عند الباب الخارجي ومش حاخطي خطوة تانية".

جيسي: (**تضحك في ارتياح**) افتكرتها مش بتحبني.. خايفة مني! معقول! خايفة مني!!

الأم: أقدر أخليها تيجي يا جيسي.. ممكن أكلمها تيجي حالاً هنا، وممكن تجيب الطيور وتزورنا، ما كنتش أعرف أنها تهمك.. حاقول لها ولازم تيجي، وحاتيجي.. هي مدينة لي..

جيسي: لا.. مفيش لزوم.. أنا بس كنت بسأل.. لما كنت في المستشفى كانت بتيجي هنا؟!

الأم: مطبخها زي الجحر.. لما بتيجي هنا بتحس (**بصوت أقل ارتفاعا وحماس**).. طبعا كلنا بنحب نغير مناظر.. مش كده؟!

جيسي: (**تلعب على نفس الوتر**) طبعا.. خصوصا إن مفيش هنا طيور..

الأم: أنا باكره الطيور دي.. بتقول إني مش بافهمهم.. إيـه اللي يتفهم في الطيور؟!!

جيسي: ليه مثلاً أجنس بتحبهم؟ ليه قاعدين معاها رغم إنهـم ممكن يطيروا بعيد مع الطيور التانيـة؟ بيحتـاجوا ميه أد إيه؟ معنى غناهم؟ إزاي بيطيروا.. رأيهم في أجنس؟ هي إيه..

جيسي: قصدك ما تخيلتيش.. ما كانش مفروض تكدبي عليه بخصوص أجنس..

الأم: أنا ما كدبتش.. انتي عمرك ما سألتي..

جيسي: كدبتي في حكاية حرايق البيوت وعدد الطيور اللـي عندها وحكاية كميات البامية اللي بتاكلهـا وأسـباب انقطاعها عن زيارتك هنا.. لو فضلت أجرجرك في الكلام عشان أعرف الحقيقة حانقعد طول الليل..

الأم: مفيش مشكلة.. أنا مش نعسانة خالص..

جيسي: ماما..

الأم: طيب.. اسألي عن كل اللي أنت عايزاه.. آهه **(صـمت يشوبه قلق. الكاكاو معـد الآن والأم تصـبه فـي القدحين.. جيسي تتأهب)**.

جيسي: (**بينما تأخذ الأم أول شفطة من الكاكاو**) حبيتي بابا.

الأم: لا..

جيسي: (**سعيدة أن الأم بدأت تفهم قواعد اللعبة أفضل**) أنـا برضه قلت كده.. صحيح كان عمرك ١٥ سنة لمـا اتجوزك؟

الأم: قصدك قصة جوازنا زي ما كان بيحكيه؟ إنـي كنـت قاعدة بالعب في الطين وجه هو جرنـي للمطـبخ و "من يوميها ما خَرجتِش منه"؟!

جيسي: أيوه..

الأم: لا.. كانت كدبة كبيرة.. كل اللي كان بيقوله.. كان فاكر إن الحكاية أظرف بالطريقة اللي بيحكيها.. يا ساتر! أعوذ با من طعم اللبن..

جيسي: الكاكاو بيغطي على طعمه شوية..

الأم: (**سعيدة أنهما اتفقتا على هذا الأقل**) مش كفاية برضه.. مش كده؟! لسه تقدري تحسي بطعمه.. مش كده؟!

جيسي: فعلاً.. مقرف.. افتكرت إن ذاكرتي أنا اللي سـيئة.. بس مش هي.. ده اللبن..

الأم: يا خسارة الشيكولاته.. بلاش تكمليه..

جيسي: (**تضع القدح**) مع ذلك متشكرة..

الأم: كان لازم أعرف إني مش مفـروض أعملـه.. كنـت عارفه إنه مش حايعجبك.. عمره ما كان بيعجبك..

جيسي: عمرك ما حبتيه؟! والا هو عمل حاجة وبطلتي تحبيه والا إيه؟!

الأم: كنت صعبانة عليه.. كان عايز سـت ريفيـة عاديـة واتجوزني لأني كده، وبعدها فضل شايل مني طول عمري لأني كده.. كإن كان مفروض أتغير وأفاجئه بين يوم وليلة إني بقيت حاجة تانية.. مرة كان واقف في مدخل البيت وقلت له يلبس قميص.. دخل ولبسه، ولما خرج قال بهدوء، وهو بيقصد كل كلمة.. عندك حق يا ثلما، لو ربنا كان عايز الناس تمشي عريانـة كان خلقهم عريانين.

جيسي: (**تشعر بجرح الأم**) ما كانش يقصد حاجة يا ماما..

الأم: عمره ما قال كلمة من غير ما يقصدها يـا جيسـي.. يوميها ما قالش ولا كلمة بقية اليوم يا جيسي.. يعني لما قالها كان يقصد حاجة.. لكن عمري ما قـدرت

أخمن هي إيه.. كان قصده إيه؟!

جيسي: مش عارفه.. أنا كنـت باحبـه أكتـر منـك لكـن ما اعرفوش أحسن منك..

الأم: ازاي كنت أقدر أحبه يا جيسي.. ما كانش عندي حاجة هو عايزها.. (**جيسي لا تجيب**) مع ذلك هو خد حقه. حبك له عوضه عني.. كـان يسـاوي حبنـا احنـا الاتنين.. كنتي ماشية وراه زي ضله.. جيسي.. كل اللي الراجل ده كان بيعمله إنه يزرع ويقعد.. ويفكر في حد يبيع له المزرعة..

جيسـي: أو يعمل لي عرايس على شكل شبان من عصـيان تنظيف البايب ويبتسم وكـإن العـرايس حـاتتحرك وترقص وإني حتبسط أوي من ده كله.. أو يقعد مع بقره عيانه طول الليل ويسيب لي سلسلة من الأفيال اللي عملها من العصـيان ألاقيهـا علـى سـريري الصبح..

الأم: أو يقعد وخلاص..

جيسي: كنت باحبه وهو قاعد.. ضخم وعجوز وشاحب على كرسيه.. وهادي..

الأم: طيور أجنس بتكلمها أكثر مانتم الاتنين كنتم بتكلموني.. كإنه كان معلق يافطة "خرج للصيد" حوالين رقبتـه وهو قاعد في كرسيه... كان بيتهيألي إنه بيبحلق في الميه وهو قاعد.. وكأنه بيراقب تغير الجو.. لدرجة إني اتصورت إني شايفة القارب اللي هو فيه بعنيه.. لكن انتي كنتـي عارفـه كـان بيفكـر فـي إيـه وحاتقوليلي..

جيسي: ما عرفش يا ماما!! متهيألي في حياته.. في محصول القمح.. في البوت.. فينا إحنا.. حاجـات.. حاجـات كتير من النوع ده.. انتي عارفه..

الأم: لأ مش عارفه يا جيسـي.. كنـتم دايمـا بتتكلمـوا.. تتسامروا كل ليلة بعد العشا.. كنتم بتتوشوشوا علـى إيه؟!

جيسي: ما كناش بنتوشوش.. انتي بس كنتي بتبقي بعيد.. في الناحية التانية من الأوضة.

الأم: كنتم بتتكلموا في إيه؟!

جيسي: كنا بنتكلم، ليه الشربات السودة أدفى من الزرقـة.. دي حاجة تستاهل تتقال يا ماما؟ كنتي بتغيري عشان

كنت بافضل أتكلم معاه عن مسـاعدتك فـي غسـل الأطباق..

الأمل: كنت غيرانة عشان بتفضلي الكلام معاه عن أي شيء تاني (**جيسي تمد يدها لساعة صغيرة على المنضدة وتملأ الزنبرك**) لو كنت أنا اللي مت مش هـوه مـا كانش أخدك تعيشي معاه زي مانا عملت.

جيسي: ما كنتش حاتوقع منه ده.

الأم: كنتي حاتعملي إيه؟!

جيسي: آجي زيارة..

الأم: آه.. فهمت.. مات وسابك مربوطة معايـا.. وده اللـي مجننك.

جيسي: (**تنهض عن المائـدة**) الموضـوع انتهـى.. هـو ما كانش يقصد وأنا ما كنتش مضطرة آجي هنـا.. إحنا ناقشنا الموضوع ده قبل كده..

الأم: يمكن تكوني فاكرة إني لو كنت حبيته أكتـر أو حتـى حبيته من أصله كان فضل عايش..

جيسي: عمري ما فكرت في كده..

الأم: انتي كمـان كنتـي صـعبانة عليـه.. يـا جيسـي.. ما تضحكيش على نفسك.. كان بيقولك دايمـا إنـك قزمة.. وغلبانة.. كان بيقولها من يوم ما اتولـدتي، وإن مفيش فايدة فيكي.

جيسي: (**تحضر السكرية وتعيد ملأها من إناء السكر**) أنـا عارفه إنه كان بيحبني..

الأم: وإيه يعني؟ ده ما غيرش أي حاجة..

جيسي: مش مهم... واحشني..

الأم: عمره ما خرج يصطاد بجد.. عارفه.. عمره.. صندوق الصيد كان مليان تبغ عشان يمضغه.. كل اللي كـان بيعمله إنه يخرج بالعربية للبحيـرة ويقعـد فيهـا.. دوسون قالي لي. واللي قال له "بيني" اللي في الدكان اللي بيبيع طُعم السمك.. الكل كان بيتريـق عليـه.. ولما كان يرجع من الصيد كان كل اللي معـاه مـن حصيلة الرحلة عرايس من عصيان تنضيف البايب.. عيلة كاملة.. فراخ.. خنازير وكلاب أعـرج.. كـان شيء غريب.. يخوف.. وكنت أقرف لمـا أشـوفها وأحس إني حتقيأ.. وخبيت عصيان تنضيف البايـب

كذا مرة لكن كان دايما عنده احتياطي مخبيـه فـي حته..

جيسي: تصورت أن أحوالك حاتتحسن بعد موته.. حاتهتمي بالأشياء.. حاتتنفسي.. تتغيري بصورة أو بأخرى..

الأم: أتغير لإيه؟ أبقى ملكة؟ مديرة حسابات في محل جـزم؟ طيب ليه؟ لأنه عاوز كده؟ لأنك عاوزه كده؟ (**جيسي تهز رأسها**) أنا ما كنتش هنا لمتعتـه ولا أنـا هنـا دلوقتي لتسليتك يا جيسي.. أنا صحيح معرفش أنـا هنا ليه.. لكن مش بافكر في ده.. (**تدرك مرمى هذا الحوار**) لكن أراهن إنك ما كنتيش حاتنتحري لو كان لسه عايش.. تخميني صح مش كده؟! شيء جميـل خالص..

جيسي: (**تملأ إناء العسل الآن**) مش حقيقي..

الأم: صحيح؟! ولما ده مش حقيقي كنت بتسألي عليه ليه؟ ليه كنت عايزه تعرفي إن كنت حبيته والا لأ..

جيسي: لأن عمري ما تصورت أنك حبتيه.. ده كل ما فـي الموضوع..

الأم: كويس. وطلعتي صح.. مبسوطة؟

جيسي: (**تنظف إناء العسل بعناية**) مبسوطة إن تخميني كان في محله..

الأم: ما كانش مهم إني أحبه.. ما كانش مهم ليه أو له.. مش معنى ده اننا ما قدرناش نعيش سوا.. الموضوع مـا كانش مهم.. ما تكلمناش عنه.. (**تزيح كـل أوانـي الطهو من على رف دولاب المطبخ وتسقطها علـى الأرض**) طلعي كل الحاجات دي بره باب البيت..

جيسي: ليه؟

الأم: سيبي لي الحلة دي بـس (**تفـتح درج أدوات المائـدة الفضية بعنف**) هاتي سكينة واحدة وشـوكة واحـدة وملعقة كبير وفتاحة وحطيهم في مكان واضح أقـدر أوصله (**تبدأ في إلقـاء الشـوك والسـكاكين مـن الدرج**).

جيسي: ما تعمليش كده!! أنا لسه موضبة الدرج ده..

الأم: (**ترمي الدرج في الحوض**) وارمي بره كـل الأطبـاق والفناجين.. حاستعمل حاجات ورق.. لوريتا تقـدر تاخد اللي عاوزاه ودوسون يبيع الباقي.

جيسي: (**بهدوء**) بتعملي إيه؟

الأم: أنا مش حاطبخ.. عمري ما حبيت الطبـيخ علـى أي حال.. باحب الحلويات.. ملفوفة في غطيان بلاسـتك أو في أكياس، والتونة.. أنا بحب التونـة.. حاكـل تونة.. وألف شكر..

جيسي: (**تخرج إناء من الحوض**) طيب لو حبيتـي تعملـي فطيرة تفاح.. ما تقدريش تعملي فطيرة تفـاح فـي الحلة الصغيرة دي.. ولو نسيتي الجزر على النـار واتحرقت الحلة دي يبقى الحال إزاي؟

الأم: أنا مش بحب الجزر.

جيسي: طيب لو كانت الفراولة حلـوة السـنة دي وحبيتـي تجمعيها مع أجنس..

الأم: حاقول لها تجيب معاها حلة.. أنت قلـت حـاتعملي أي حاجة أطلبها.. أنا مش عايزة كومة حال تملأ دولابي وما قدرش أوصل لها.. ارميها بره.. كلها.

جيسي: (**تجمع الأواني**) حارجعهم كلهـم مكـانهم.. مـش حاطلعهم بره.. لو احتاجتي لهم حـاتلاقيهم هنـا.. توطي وتجيبيهم زي ما جبتي واحدة للكاكـاو.. وإذا حد تاني جه هنا يطبخ، يلاقي حاجة يطـبخ فيهـا..

الموضوع منتهي..

الأم: مين اللي حاييجي يطبخ هنا؟

جيسي: أجنس..

الأم: في حللي؟! مش ممكن.

جيسي: إيه يمنع إن أنتم الاتنين تعيشوا هنا سوا.. حـايكون أرخص لكم وحاتلاقي حد تكلميه.. ولـو طيورهـا ضايقتك تنتهزي فرصة أن أجنس تروح مرة تعمـل شعرها، وتخديهم تسربيهم!!!

الأم: (**بينما جيسي تنظم أدوات المائدة الفضية**) عشان كـده فالقة دماغي بالكلام عن أجنس.. فاكره إن ضميرك حايستريح لم تجيبي لي بيبي سيتر [أو جليسة أطفال] جديدة؟ جميل جدا.. بس أنا مش عايزه أعـيش مـع أجنس.. أنا يا دوبك باقـدر أتكلـم معاهـا.. أهـي موجودة وخلاص.. ونفتكر سوا أيام زمان.. ده كـل الموضوع.. لكن أنا مش حاخلي أجنس تهوب ناحية البيت ده.. ما تفتكريش انك تقدري تسـلتي إيـديكي مني بالسهولة دي يا بنوته..

جيسي: طيب.. خلاص.. دي كانت مجرد فكره..

الأم: أنا ما حبش أفكر في حاجة.. باحـب الأمـور تاخـد مسارها..

جيسي: (**تغلق درج الفضيات**) عايزه أعرف بابا قال لك إيه ليلة ما مات.. خرجتي وانت بتغلـي وقلتيلـي أروح استنى الموت معاه لو عاوزه.. أما انتي فحتروحـي تتفرجي على المسلسل.. قال لك إيه؟!

الأم: ما كانش عنده حاجة يقولها لي يا جيسي، عشان كـده مشيت. ما قلش حاجة خـالص.. كانـت فرصـته الأخيرة إنه ما يكلمنيش وما ضيعهاش..

جيسي: (**بعد لحظة**) أنا حزينة إنك ما حبيتيهوش.. قصـدي حزينة عشانك.. اتهيألي إنه كان راجل طيب..

الأم: عايزة فطيرة التفاح دلوقتي..

جيسي: أول ما اخلص اللي في إيدي يا ماما..

الأم: ومش حتعجبك الفطيرة كمـان.. تمـام زي الكاكـاو.. عمرك ما حبيتي الأكل.. مش كده؟! كنتـي عايشـه على إيه طول السنين دي.. معجون الأسنان!!

جيسي: (**تبدأ في تنظيف الفريجيدير**) إنتي عارفه إن بتـاع اللبن بييجي يوم الأربع ويوم السبت وبسيب ورقـة

الطلبات الجديدة في صندوق البيض.. وأول الشـهر تدي الحساب لدوسون يدفعه مرة واحدة..

الأم: لسه بيعملوا شربات البرتقال؟

جيسي: مش شربات.. مجرد عصير..

الأم: حاطلبه. تصورت إنهم بطلوا يعملوه.. أتـاريكي أنـت اللي بطلتي تطلبيه..

جيسي: لازم تشربي لبن..

الأم: خلاص.. مش حادوقه بعد كده.. الكاكاو السخن ده كان النهاية.. حسم الموضوع.. والحمد .

جيسي: (**تخرج صندوق القمامة من أسفل الحوض**) على أي حال أنا قلت لهم يوصلوا لك لتر كل أسبوع غصـب عنك.. قلت لهم انك حتضطري تشربيه لما تخلصي الكوكا كولا.. وإني عارفه إنك حتستخسري ترميه..

الأم: (**تكمل عبارتها**) وقلت لهم إنك مش اللي حاتطلبي بعـد كده..

جيسي: قلت لهم إني حاخد أجازة قصيرة ولازم ياخدوا بالهم منك..

الأم: وما استغربوش!! انتي اللي ما بتخطيش عتبة البيت؟.. انت اللي مش بتشوفي الشارع.. إلا وانتـي مغمـى عليكي وشايلينك على نقالة!

جيسي: (**مستمتعة بذلك ولكنها لا تضحك**) قـالوا إن كـان مفروض أعمل كده من زمان وسـألوني ليـه مـا أخدكيش معايا، قلت لهم مفتكرش تحب تيجي معايا، قالوا: "فعلاً.. كل واحـد بيحـب يقضـي أجازتـه بطريقته"..

الأم: وانت شايفة إن ده شيء ظريف!

جيسي: (**تخرج برطمانات من الفريجيدير**) تعرفي.. ما كانش فيه داعي أبدا تطلبي لي عربية الإسعاف كـل مـرة يغمى عليه.. كل اللي كـانوا بيعملـوه فـي قسـم الطوارئ إنهم يسيبوني لحد ما أفوق وده كان ممكن يحصل هنا.. دلوقتي حاقول أسـماء الحاجـات دي وانت تقولي آه أو لأ.. أنـا عارفـة أنـك بتحبـي المخلل.. حاسيبه.. والكيتشب؟

الأم: خليه.

جيسي: ده في التلاجة من يوليو..

الأم: سيبي الكتشب.. سيبيبي كل حاجة..

جيسي: ناويه تشربي الكتشب من القزازة والا إيـه؟! إزاي عايزه اكلك ومش عـايزه حـل تطبخـي فيهـا.. الحاجات دي حاتبوظ هنا يا ماما..

الأم: مفيش حاجة عملتها لك وعجبتك أبدا.. عايزه أعـرف ليه..

جيسي: مش حقيقي..

الأم: وعايزه أعرف ليه عشتي هنا كل المدة دي وانتي حاسه بكده..

جيسي: إنتي معندكيش أي فكره أنا حاسة بإيه..

الأم: واعرف منين وانت هناك.. بعيدة..

جيسي: هناك فين؟

الأم: الحياة هناك شكلها إيه؟ هناك.. عندك؟ يا ترى النـاس دايما بتتكلم صح وبتاخد كل اللي هي عـايزاه.. والا إيه؟!

جيسي: بتتكلمي عن إيه؟

الأم: ليه بتقري الجرايد؟ ليه مش بتلبسـي السـويتر اللـي

عملتهوالك فاكره كان شكلي إيـه زمـان؟ والا أنـا داوقتي مجرد ست عجوزه وخلاص؟ لمـا بتجيلـك النوبة بتشوفي نجوم والا إيه بالضبط؟ إزاي وقعتـي من فوق الحصان؟ ليه سيسل سابك؟ نظارتي القديمة حطتيها فين؟

جيسي: (**شبه مذهولة من تـدفق كلمـات الأم**) فـي درج التواليت في علبة أملاح المغنسيوم القديمة.. سيسـل سابني لأنه خيرني بينه وبين التدخين..

الأم: جيسي.. أنا عارفه إنه ما كانش بالغباء ده..

جيسي: عمري ما فهمت ليه بيكرهه كده، مع إنـه رائـع.. السجاير الشيء الوحيد اللي ما بتتغيرش.. دايما زي ما كانت آخر مرة موجودة في مكانها مسـتنية فـي هدوء لما تعوزيها..

الأم: زهق من نوباتك وأنت عارفه كده.

جيسي: قولي إغماء مش نوبة.. إغماء.

الأمي: هي هي.. في المستشفى اسمه إغماء وفي البيت اسمه نوبة.

جيسي: ما كانتش بتضايقه أبدا بس كان بيحس إنه مسـئول

عنها.. وهو اللي اقترح إننا نركب الخيـل يومهـا..
كان مصدق إني أقدر أعمل أي شيء لو قـررت..
وقعت من فوق الحصان لأني ما اعرفتش أتحكم في
نفسي.. وسيسل هجرني لنفس السبب.

الأم: كان يعرف واحدة يا جيسي.. دخلـت مخـزن الأدوات
وشفتهم سوا بعنيه.

جيسي: (**بعد لحظة**) ماشي.. من حقك.. (**تشـعل سـيجارة أخرى**) كانت حلوة؟!

الأم: كانت بنت أجنس، كارولين.. شوفي انت بقى..

جيسي: (**وهي تتحرك نحو غرفة المعيشة**) متهيـألي أنـت
وأجنس اتكلمتوا كتير في ده.. هه؟

الأم: عمري ما حسيت إنه يستاهلك.. تعرفي إنهم نقلوه لهنـا
من "تينيسي"؟

جيسي: بتتكلمي عن إيه؟ كان عاجبك أكتر ما كان عاجبني..
انتي اللي غازلتيه وجبتيه هنا عشان يبنـي مـدخل
البيت ولولا كده ما كنـتش قابلتـه مـن أصـله..
تصورتي إنه ممكن يسـاعدك فـي أشـغال البيـت
والمزرعة ومفيش مانع يدخل وياخد فنجـان قهـوة

ويدردش معاكي.. وربنا يعلم فكرتي في إيه تـاني.. بشعره المسبسب ده..

الأم: كان أحسن نجار شفته.. بيتك الخشب الصغير حايفضل شاهد على كده..

جيسي: ما كنتيش محتاجة بلكونة في المدخل يا ماما..

الأم: أيوه.. كنت عيازه لك عريس..

جيسي: وطبعا ما كنتش أنا أقدر أجيب واحد بنفسي.

الأم: إزاي تلاقي عريس وانت عمرك ما فتحتي بقك تكلمـي حد؟!

جيسي: إيه المشكلة طالما ما كنتش متضايقة.

الأم: يعني كان مفروض أسيبك قاعـدة هنـا.. تقعـدي زي أبوكي.. تقعدي هنا؟!

جيسي: يمكن..

الأم: ما كانش ده رأيي..

جيسي: وانتي تعرفي إيه؟!

الأم: عمري ما قلت إني أم العريف.. هي العيشة هنا تخلـي البني آدم يتعلم أي حاجة؟ ما كنتش أعـرف كفايـة

عشان أعمل نص الحاجات اللي عملتها في حياتي.. الحاجات بتحصل وخلاص.. بتعملي اللـي تقـدري عليه وبعدين تشوفي حايحصل إيه بعد كـده.. أنـا جوزتك للشخص الغلط.. اعترف بده.. وعشان كـده أخذتك هنا لما هجرك.. وأنا آسفة..

جيسي: ما كانش الراجل الغلط.

الأم: ما حبكيش يا جيسي والا ما كانش سابك..

جيسي: ما كانش الراجل الغلط يا ماما.. أنا حبيت سيسـل.. أوي. حاولـت ألعـب رياضـة أكتـر وأفضـل مصحصحة.. حاولت أتعلم ركوب الخيل وحاولـت أبقى معاه لما يخرج.. لكن هو كان عـارف طـول الوقت إني باحاول، والموضوع ما نفعش..

الأم: كان راجل أناني.. قال لي مرة إنه بيكره يشوف الناس تسكن في البيوت بعد ما يبنيها.. لأنه عارف انهـم حايبوظوها..

جيسي: حبيت الكوبري الصغير اللي بناه فوق الترعة اللـي ورا البيت. كان مجرد لوحين خشب نعدي فـوقهم، بس هو عملهم من خشب الصنوبر الأصفر وصنفره

كويس وخلاه ناعم زي الحرير.

الأم: كان وراه مسئوليات هنا.. زوجة وابـن.. لكـن هـو خذلك..

جيسي: والا السرير الصغير اللي عمله لريكي.. قلـت لـه مفيش داعي يضيع وقت طويل في عمايله، لكن هـو قال عشان يعيش.. ولما خلص السرير كـان وزنـه ٢٠٠ رطل.. ومقدرتش أحركه.. قلتله "هـو يعنـي سرير الطفل مفروض يعيش أد إيه؟" لكن يمكن هـو فكر إنه لو كان السرير متين حيخلي ريكي يفضـل بيبي على طول.

الأم: ريكي زي سيسل بالضبط.

جيسي: لا زيي أنا.. زي ما نكون فولة وانقسمت نصين.. ده احنا حتى بنلبس نفس المقاس في البنطلونات.. أعتقد ان البنطلون اللي أنا لابساه ده بتاعه..

الأم: المقاس واحد.. ده مش معناه انكم نفس الشخص..

جيسي: باشوف ده في وشه.. في صوته لما يـتكلم.. احنـا بنبص للدنيا ونشوف نفس الشيء.. واللـي بنشـوفه مش حلو.. الفرق الوحيد بينا إن ريكي هنا بيحـاول

ينتقم.. ياخد حقه من الدنيا.. هو عارف إنـه مـش لازم يثق في حد.. وورث ده مني.. وعـارف إنـه مش لازم يحاول يلاقي شغل.. تفتكـري جـاب ده منين؟ بيمشي وكإنه على أرض ألواحها مش ثابتة.. وانت عارفه مين اللي عمل الأرض دي.. أنا..

الأم: ريكي لسه صغير.. ما تعرفيش حايبقى إيه..

جيسي: (**تعود للمطبخ**) لأ عارفه.. زي مـا سيسـل كـان عارف.. ريكي هو احنا الاتنين مع بعض، محبوسين سوا على طول في مسـاحة ضـيقة أوي.. واحنـا الاتنين بنقطع في بعض طول الوقت جوه الولد ده.. ولو ما كنتيش شايفة ده تبقي عميا..

الأم: إدي له وقت يا جيسي.

جيسـي: آه.. حايكون عنده وقت طويل.. في السجن إن شاء ا .. خمس سنين للتزوير وعشرة للسرقة بالسلاح..

الأم: (**بغضب**) اسكتي. (**برجاء**) جيسي، يمكن سيسل يكـون مستعد لمحاولة تانية يا حبيبتي.. ده بيحصل أحيانًا.. انزلي البلد ودوري عليه.. اتكلمي معاه.. هو ماكنش عارف قيمة الست اللي عنده، يمكن دلوقتي اتغيـر..

لكن مش حاتعرفي ده إلا لمـا تشـوفيه.. أقولـك.. كلميه، وادوقتي حالاً، يمكن يكون في البيت.

جيسي: أقول له إيه؟! مفيش حاجة اتغيرت يا سيسل ونفسي أشوف وشك لو معندكش مانع؟... لأ.. هـو حبنـي يا ماما.. بس ما قدرش يفهم إحساسي بإن كل شيء بينهار حواليه.. أعتقد أنه عمل الصح.. إدى نفسـه فرصة تانية، ده كل ما في الأمر.. لكن أنا اترجيتـه ياخدني معاه.. قلت له إني حاسيب ريكـي وأسـيبك واسيب كل شيء حبيته هنا لو أخدني معاه.. لكن هو ماقدرش.. أنا فاهمه ده. (**صمت**) أنـا اللـي كتبـت الجواب اللي وريتهولك.. أنا كتبته مـش سيسـل.. كتبت "آسف يا جيسي مقدرش أصلح لك كل شيء".. كتبت "أنا حافضل أحبك على طول".. أنا اللي كتبت ده.. مش سيسل.. بس ده كان إحساسه.

الأم: يبقى كن لازم ياخدك معاه!

جيسي: (**تلتقط كيس قمامة ملأته**) ماما، الواحد ما بياخـدش معاه زبالته لما يعزل..

الأم: ما تقوليش على نفسك زبالة يا جيسي..

جيسي: (**تحمل الكيس لصندوق القمامة الكبير**) مجرد تشبيه يا ماما. كنت بافكر في اللستة بتاعتي.. مش أكتـر (**تفتح الصندوق وتضع الكيس بداخلـه ثـم تحكـم إغلاق الغطاء**) لأ.. مش كده بالضبط.. أنـا كنـت عاوزه أقول إن كويس إن سيسل مشي.. إداني نـوع من الراحة.. كان دايما عاوز يشوفني حاجة تانيـة، عشـــان كـــده كنـــت بافضـــل إنـــه ما يبصليش طول الوقت..

الأم: حاجيب لك فطيرة التفاح دلوقتي..

جيسي: لا متشكرة.. هاتي أدوات المانيكير وحـاجي حـالاً

(**جيسي تربط كيس القمامة الكبيـر وتضـع آخـر صغيرا أسفل الحوض.. تحاول أن تستعيد هدوءها.. طوال الوقت الأم ترقبها عن بعد.. تمتد يـدها دون وعي للتليفون، لكن تطرأ لها فكرة أفضل أو لعلهـا تدرك أنها الوسيلة الوحيدة المتاحـة أمامهـا الآن وبالتالي فهي مستعدة للتجربة.. بل قد تكون مقتنعة بجدواها**).

الأم: جيسي أظن ان أبوكي كان..

جيسي: (**تقطاعها**) بيلموا الزبالة يوم الثلاثاء.. طلعيها بـرة متأخر قد مـا تقـدري.. الكـلاب بتـوع "ديفيـز" حيبعتروها لو طلعتيها بـدري. (**الآن تضـع كـيس القمامة في الصندوق أسفل الحوض**) ودايما اطلبـي أكياس الزبالة السودة التقيلة.. الرخيصة زي قلتها.. مش توفير. أنا حطيت كل خيوط ربط الأكياس هنـا مع الشواكيش والحاجـات التانيـة.. طلعـيهم مـن الصندوق أول ما تفتحي عبوة جديدة وحطـيهم فـي الدرج.. لو ما عملتيش كده حايضيعوا ومفـيش أي حاجة تانية حاتنفع في ربط الأكياس.

الأم: متهيألي إن أبوكي كمان كان عنده صرع.. متهيألي إنه كان بيقعد على كرسيه وتجيله نوبات بسيطة. من مدة قريت في مجلة عـن الحكايـة دي وازاي النوبـات بتحصل.. مجرد لحظات ذهول.. ممكن حتى العـين تفضل فيها مفتوحـة.. والنـاس بتسـميها نوبـات سرحان..

جيسي: (**تخرج من سلة الغسيل كساء الأريكة**) متهيألي إنك مش عايزة المانيكير اللي كان نفسك فيه.. أنا غسلت

غطاء الكنبة.. بس تلبيسه على الكنبة محتاجنا احنـا الاثنين..

الأم: أنا راقبت عنيه.. ومتأكدة إن ده اللي كان بيحصل له.. المجلة قالت إن بعض الناس حتى ما بيدروش إنهـم كانوا في غيبوبه..

جيسي: بابا كان حايعرف لو كان عنده صرع يا ماما..

الأم: الست صاحبة الحكاية عدت النوبات اللي جتلهـا فـي الـ ١١ سنة الأخيرة ولقيتهم ٨٠ ألف..

جيسي: المرة الجاية لما تغسلي الكسوة لبسيها للكنبة وهـي مبلولة.. حاتنشف مفرودة من غير ما تتكرمش..

الأم: جيسي.. اسمعي اللي باقوله لـك.. السـت دي كانـت بتجيلها النوبة من ٥ إلى ٥٠٠ مرة في اليوم وكانت الواحدة بتستمر ١٣ ثانية، يعني كل اللي فقدته مـن عمرها طول حياتها حوالي أسبوعين بس، وكانـت بتشتغل سكرتيرة ومعدل ذكائها ١٢٠.

جيسي: **(يجب أن تبدو مستمتعة بالمدخل الذي اختارته الأم)** عايزة تتكلمي عن النوبات مش كده؟!

الأم: أيوه.. عايزه.. عايزه أقول..

جيسي: (**مقاطعة**) معظم الوقت مكنتش بـاعرف أن النوبـة جت لي إلا لما أفوق والاقي نفسـي لابسـه هـدوم مختلفة وأحس بالتعب كأن عربية دهستني.. أحيانًـا باحس أن راسي بتاف أو أسمع نفسـي باصـرخ.. وأحيانًا قبلها أحس بدوخة مقرفه.. لكن لو التلفزيون مفتوح ممكن ما خدش بالي (**جيسـي والأم تضـعان الغطاء على الأريكة والبطانية الملونة على المقعد.. الجهد البدني المبذول يعكس الجهد العاطفي الـذي يستنزفه الحوار**).

الأم: باعرف امتى حاتجيلك النوبة.. عنيكي بتكبـر.. لكـن يا جيسي.. إنت ما عندكيش..

جيسي: (**تتولى الأمر**) شكلها إيه؟! قصدي الإغماءة..

الأم: (**بتردد**) بتختلف في كل مرة يا جيسي..

جيسي: طيب اختاري واحدة.. واحدة كويسة.. أعتقـد إنـي عايزة أعرف دلوقتي..

الأم: مفيش انت بس.. بتنهاري.. كأنك عروسة حـد قطـع خيوطها فجـأة.. أو زي النـاس اللـي بيعـدموهم بالرصاص في الأفلام المكسـيكي.. بيقعـوا فجـأة

ويتكوموا جنب الحيطة.. بقى أنتي مش عارفه إيـه
اللي بيحصل؟! ازاي ما تعرفيش؟!

جيسي: باكون مشغولة..

الأم: نكتة بايخه..

جيسي: أنا مش باهزر.. راسي بيلف وأقع.. وبعدين؟

الأم: صدرك بينقبض لجوه ويعلـى لبـره.. وصـوتك زي ما تكوني بتتخانقي.. بتمصي الهوا لجوه وتخرجيـه كإنك مش قادرة تتنفسي..

جيسي: وريني ازاي.. اعملي الصوت..

الأم: مش حاعمل.. صوت بشع..

جيسي: آه.. حسيت انه ممكن يكون كده.. وبعدين..

الأم: بتجزي على أسنانك ولازم أبعد لسانك بسرعة عشـان ما تعضيهووش..

جيسي: أو أعضك.. أنا باعضك إنت كمان.. مش كده؟

الأم: مرة عملتيها وكانت عضة بجد.. اضطريت آخد حقنـة تيتانوس.. لكن دلوقتي بقيت أعرف أحاسب.. بعـد كده بتزرقي وتبتدي تتشنجي وتتنفضـي.. زي مـا

يكون حد بيغزك بعصاية المواشي أو زي ما تكوني عماله تدبي صوابعك في كبس النور مرة ورا مـرة بسرعة.

جيسي: واطلع رغاوي طول الوقت زي الكلاب المسعور.

الأم: مجرد رياله يا جيسي.. مـش رغـاوي زي رغـاوي صابون غسالة الهدوم لما تطفح.. صدقيني.. مجـرد ريالة الأطفال.. باجيب فوطـة مبلولـة وامسـحها وخلاص.. وبعدين التشنج بيخـف وتعمليهـا علـى روحك وخلاص.. الحكاية كلها ما بتاخدش دقيقتـين من أولها لآخرها..

جيسي: وازاي باوصل للسرير..

الأم: تفتكري ازاي..

جيسي: أنا تقيله عليكي دلوقتي.. بتعملي إيه..

الأم: باطلب دوسون.. لكن بانضفك قبل مـا يوصـل هنـا وباخليه يمشي قبل ما تفوقي..

جيسي: كان ممكن تسيبيني على الأرض..

الأم: عايزاكي تصحي في مكان كويس.. فهمتي؟ (**تبذل جهدا**

حقيقيا) لكن يا جيسي السبب اللي خلاني اتكلم فـي الموضوع ده إنك مجالكيش نوبات من سنة.. سـنة كاملة.. عارفه كده؟!

جيسي: آه.. متهيألي بسبب الدوا..

الأم: مؤكد.. يمكن ما تجلكيش أبدا نوبة تانية.. يمكن تكوني ارتحتي من الحكاية دي نهائيا.

جيسي: يمكن..

الأم: مؤكد.. أنا عارفه أنها مش حاترجع تاني..

جيسي: أنا متأكدة إني كويسه.. حقيقي كويسـه.. الصـور المزدوجة اختفت ولثتي مش ملتهبة.. معنديش طفح جلدي أو أي حاجة.. أنا حاسة إني كويسه أكثر مـن أي وقت في حياتي.. أنا حتى ما بقيتش أخاف أقلـق أو أثور لحسن تجيني النوبة.. باسيب نفسي وخلاص واللي يحصل يحصل..

الأم: طبعا.. تقدري حتى تصرخي فيه لو عايزه.. حاستحمل ده. مش لازم تتصرفي وكأنك ضيفة يا جيسـي.. ده بيتك زي ما هو بيتي..

جيسي: أحسن شيء إني رجعت أفتكر تاني..

الأم: إنتي عمرك ما كنتي نساية. امتى ما كنتيش بتفتكري.. ده انتي حتى اللي دايما بتفكريني..

جيسي: لأني باعمل لِستْ لكل شيء.. لكن دلـوقتي باقـدر افتكر معنى الحاجات اللي في اللستة.. كنـت اقـرا كلمة فوط المطبخ في اللستة واحتـار.. يـا تـرى مفروض أغسلهم؟ اشتريهم؟ والا أدور عليهم لأنـي مش فاكرة شلتهم فين بعد ما غسلتهم.. دلـوقتي أنـا عارفه إني مفروض ألفهم لأنهم هدية لوريتا في عيد ميلادها..

الأم: (**انتهت من ترتيب الأريكة الآن**) كنتي دايمـا تـدوري على لستتك.. لاحظت ده.. دلوقتي أنت دايما عارفه مكانها (**فجأة ينتابها قلق**) عيد ميلاد لوريتـا لسـه بدري عليه.. مش كده؟!

جيسي: أنا عملت لسته بكل أعياد الميلاد.. حتى عيد ميلادك (**مبتسمة**) عشان تطلبي لوريتا وتفكريها بيه..

الأم: تعالي ناخد لوريتا مطعم وناكل محار.. أنا عارفه إنـك بتحبي المحار المقلي..

جيسي: (**صمت قصير**) مش حاكون هنا يا ماما..

الأم: هو احنا اللي حنقوله حنعيده؟ احنا لسه كنا بتقول إيـه!
طبعا حتكوني هنا.. انت بخير يا جيسي وبتبتدي من
جديد.. انت قلت كده بنفسك.. بقيتي تفتكري و..

جيسي: مش حاكون هنا.. لو كنت عشت قبل كده سـنة زي
دي.. أفكر فيها بعقـل ووضـوح.. كـان زمـاني
مشيت..

الأم: (**بأمر وليس برجاء**) مش حيحصل جيسي.

جيسي: (تطوي باقي الغسيل) لأ حيحصل يا ماما.. بمجـرد
ما ابتديت افتكر أدركت الأمـور وصـلت لإيـه..
وعرفت ديتها..

الأم: النوبات انتهت خلاص..

جيسي: مش حكاية النوبات يا ماما.. مش هي السبب..

الأم: أمال إيه السبب؟ انتي فاكره إنك ورثتي الصرع منـي
وبتعاقبيني؟ بس إنتي مورثتيش الصرع مني.

جيسي: مش النوبات.. أنت قلتـي بنفسـك إن الـدوا حـل
مشكلتها...

الأم: (**مقاطعة**) انتي ورثتي الصرع من أبـوك يـا جيسـي

ورثتيها منه. زي عنيكي الخضراء وشعرك الناعم..
مش غلطتي!!

جيسي: حتى لو كان بيجيله نوبات قصيرة؟!.. أنا ماورثتش الصرع. جالي بعد ما وقعت من علـى الحصـان.. كانت حادثة..

الأم: أول نوبة ما كانتش بعد وقوعك مـن علـى الحصـان يا جيسي.. أول نوبة جتاك وعمرك ٥ سنين..

جيسي: ما حصلاش..

الأم: حصل!! كنتي بتاكلي جيلاتـي وفجـأة طبيتـي علـى الأرض.. هو اللي اداكي الصرع.. غلطته هو.. مش غلطتي..

جيسي: كويس.. خدتي راحتك قوي قبل ما تقوليلي..

الأم: حد يقدر يقول حاجة زي دي لطفلة عمرها ٥ سنين.

جيسي: والدكتور قال إيه؟

الأم: قال العيال كلهم بتجيلهم حالات زي دي.. قال مقدمناش حاجة غير إننا ننتظر ونشوف إذا كانت حاتتكرر..

جيسي: اتكررت؟ (**صمت حقيقي وعميق**) عاوزه تقـوليلي

إني كانت بتجيلي وأنا طفلة طول الوقت وانك كنتـي بتضحكي عليا وتقوليلي إني وقعت أو أي حاجة زي كده، وإن لحد ما جتلي النوبة قدام سيسـل محـدش استعنى يسأل إيه اللي بيحصل بالضبط.

الأم: ما كنتش بتحصل طول الوقت يا جيسي.. اتغيرت لمـا دخلتي المدرسة.. بقت زي نوبات بابا.. يا سلام لما كانت بتحصل لكم أنتم الاثنين سوا في نفس الوقـت واقعد أنا أشوفكم تغيبوا وترجعوا.. تولعوا وتطفـوا زي اللمبة. كانت حاجة جميلة خالص..

جيسي: كام نوبة جت لي؟!

الأم: عمرك ما أذيتي نفسك.. مكنتش باخليكي تغيبـي عـن عيني.. كنت بالحقك في كل مرة.

جيسي: لكن ما قلتيش لحد..

الأم: مش شأنهم..

جيسي: كنت مكسوفة..

الأم: ما كنتش عايزة حد يعرف، وخصوصا انت..

جيسي: وخصوصا أنا.. آه.. طبعا.. بس أنا كان مفـروض

اعرف يا ماما.. دي حاجة تخصني أنا.. مش انتي.. وبابا.. كان عارف؟

الأم: كان بيفتكر انك.. بتقعي كتير.. أيوه.. ده كان رأيـه.. إنك بمتاخديش بالك كفاية أو يمكـن تصـور إنـي باضربك.. ما اعرفش كان بيفكر فـي الموضـوع ازاي.. ما كنش شاغل باله..

جيسي: لأنك ما قلتلوش.

الأم: لو كنت قلت له عنك يبقى كان لازم أقـول لـه عـن نفسه..

جيسي: أنا مش عاجبني الكـلام ده.. مـش داخـل مخـي خالص..

الأم: ما تصورتش أنه حايعجبك.. عشان كده ما قلتلكيش..

جيسي: لو كنت أعرف أنه الصرع يا ماما ما كنتش ركبـت خيل.

الأم: كنت أحسسك أنك مريضة؟ ده اللـي كـان مفـروض أعمله؟!

جيسي: هاتي صندوق المانيكير واقعدي..

الأم: (**تلقيه على الأرض**) مش عايزه مانيكير..

جيسي: واضح أنك مش عايزاه فعلاً.

الأم: يمكن أكون وقعتك وأنت ما تعرفيش..

جيسي: طالما قلتي ما حصلاش يبقى ما حصلاش..

الأم: (**تبدأ في الانهيار**) يمكن أكلتك حاجة غلط.. يمكن كان عندك مرة حمى وما عرفتش في الوقت المناسـب.. يمكن عقاب..

جيسي: على إيه؟!

الأم: مش عارفه.. عشان إحساسي تجـه أبـوكي.. عشـان ما كنتش عايزه أطفال تاني.. عشان دخنت بشـراهة أو ما أكلتش كويس أثناء الحمل.. لازم حاجـة أنـا عملتها..

جيسي: لأ.. ده مجرد مرض مش لعنة.. الصـرع مـالوش غير معنى واحد.. إنه صرع.

الأم: أنا مش باتكلم دلوقتي عن النوبات يا جيسي.. أنا باتكلم عن قتلك لنفسك. أكيد أنا المسئولة.. ما كانش ممكن تعملي كده إلا لو كنت أنا السـبب.. مـا قلتلكـيش

حاجات.. أو جوزتك راجل غلط.. أو رجعتك للبيت ده.. أو سرقت حياتك.. أو كل الحاجـات دي.. أنـا مش عارفه أنا عملت إيه.. لكن أنا عارفه إني عملت حاجة.. دي غلطتي يا جيسي.. بس مـش عارفـه أعمل فيها إيه دلوقتي..

جيسي: (**منهكة لاضطرارها أن تكرر ما قالته**) الموضـوع مالوش علاقة بيكي خالص..

الأم: كل حاجة بتعمليها بتمسني يا جيسـي.. لـو غسـلتي وشك.. جرحتي صباعك.. كإني أنا اللـي غسـلت وشي وجرحت صباعي.. هو كده.. لو موتي نفسـك كإنك بتموتيني معـاك.. مفـيش فـرق.. وحكايـة انتحارك دي تخصني زيك تمام..

جيسي: وبعدين! حتى لو كان الموضوع يخصك.. ولو قلت لك إنك كل اللي ليه في الدنيا بس إنتي مش كفايـة.. ولو قلت لك إني كنت أقدر أتحمل كـل حاجـة لـو مكنتيش كابسه على نفسي.. وإن الطريقـة الوحيـدة إني أخلص منك هي الانتحار.. كل ده مش حيغيـر أي شيء وبرضه حانتحر..

الأم: (**بدموع يائسة**) ما تسيبنيش يا جيسي.. (**جيسي تقـف للحظة ثم تتجـه لغرفـة النـوم**) لأ. (**الأم تمسـك بذراعها**).

جيسي: (**تسحب ذراعها برفق**) عندي صندوق فيه حاجات، عايزاها تتوزع.. حاروح أجيبه.. وأنت.. اسـتنيني في هدوء لمدة دقيقة (**جيسي تخرج بينما تتجـه الأم للتليفون لكنها لا تستطيع حتى أن تلتقط السـماعة هذه المرة.. تبدأ في جمع الزجاجات التي وقعت من صندوق المانيكير.. جيسي تعود حاملة صندوق من صناديق البقالة عليه علامة التونة أو الشيكولاته.. الأم ما تزال منحنية على الأرض، تنظفها، على أمل أن تغير نظافتها من قرار جيسي فتبقى**)...

الأم: جيسي، إزاي أقدر أعيش هنا من غيرك!! أنا محتاجـة لك.. مش انتي اللي بتنبهيني أفرد ضهري وأنا واقفة وبتقولي لي إن شكلي كويس في فسـتاني الـروز.. وإني لازم أشرب اللبن.. إنت اللي بتممي على البيت وتقفلي الأبواب عشان اطمن بالليل.. ولما أصـحى تكوني هنا تعملي القهوة وتشوفيني وأنا باعجز يـوم

بعد يوم.. مفروض تساعديني أمـوت لمـا تيجـي ساعتي.. ما أقدرش أواجهها لوحدي يا جيسي.. أنـا مش زيك.. أنا بكره الهدوء.. مش عـايزه أمـوت ومش عايزاكي تروحي يا جيسـي.. ازاي أقـدر.. (**تضطر للتوقف برهة**) إزاي أقدر أصحى كل يـوم وأنا عارفه انك اضطريتي تقتلـي نفسـك عشـان تخلصي من الألم.. وإني أنا كنت هنا طول الوقـت ومع ذلك عمري ما قدرت أشوفه.. ولما جـت لـي الفرصة عشان أخففه.. إني أقنعـك تعيشـي.. مـا قدرتش.. ازاي أقدر أعيش وأواجه نفسي بعد كده يا جيسي؟

جيسي: أنا قلت لك بس عشان أشرح لك.. عشان متلـوميش نفسك أو تحسي بالذنب.. ما كانش فيه حاجة تقوليها ممكن تغير رأيي أنا ما كنتش عـايزاكي تنقـذيني.. كنت عايزاكي تعرفي..

الأم: استني معايا كمان شوية.. سنتين ثلاثة بس.. ما فضلش من عمري كتير يا جيسي.. وأول ما أموت تقـدري تعملي اللي أنت عاوزاه.. يمكن لما أمـوت تلاقـي

الهدوء اللي أنت عاوزاه هنا في البيت.. ويمكن في يوم تزرعي ورد في الجنينه ويرويه المطر في الصيف.. وقتها حايكون ريكي اتجوز وحايجيب الك ولاد وتقدري تديهم الشيكولاته لما يكون أبوهم وأمهم مش واخدين بالهم.. حاتحسي بالسعادة لما يرجعوا لبيتهم ويسيبوكي تستمعي بالهدوء مرة تانية.

جيسي: أنت مش شايفة يا ماما.. كل حاجة باعملها بتنتهي نفس النهاية.. إزاي اتصورت إنك ممكن تفهمي؟! إزاي تصورت إنك بعد ما تعرفي حتعوزي تعملي مانيكير.. إن ممكن نقعد مع بعض ساعة صفا وبعدين أضرب نفسي بالرصاص؟! أنا آسفة على اللي حصل الليلة.. لكن ده السبب الحقيقي للي حاعمله..

الأم: لو عندك الشجاعة تقتلي نفسك يا جيسي يبقى عندك الشجاعة تعيشي..

جيسي: أنا عارفه ده.. المسألة ببساطة إيه هو المكان اللي أفضل أكون فيه..

الأم: شوفي، يمكن أنا مش قادرة أفكر إيه المفروض تعمليه،

بس ده مش معناه إن مفيش حل تاني.. دوري عليه.. فكري فيه.. تقدري تحـاولي.. تقـدري تتشـجعي وتحاولي مرة واتنين وتلاتة.. مش لازم تستسلمي..

جيسي: أنا مش باستسلم!! ده حل تاني باجربه.. أنا متأكـده إن فيه حلول تانية يمكن تنفع.. بس يمكن ما بقـتش كفاية بالنسبة لي.. أنا محتاجة حل مؤكد.. وده هـو الحل المؤكد.. عشان كده اخترته..

الأم: لكن يمكن حصل حاجة.. حاجة تغير كل شيء.. مـين يعرف هي إيه، لكن يمكن تستحق الواحـد يسـتناها **(جيسي لا تجيب)** جربي لمدة أسبوعين.. ممكن نتكلم أكثر زي الليلة.

جيسي: لا يا ماما..

الأم: حاهتم بيكي أكتر.. حاقول الحقيقة لما تسأليني.. حاعمل اللي انت عايزاه..

جيسي: لا يا ماما! مش حايكون فيه كلام تاني زي الليلـة، لإن الجزء الثاني هو اللي خلى النهايـة رائعـة يـا ماما.. لأي يا ماما.. دي الطريقـة الوحيـدة اللـي حاعبر بيها عن رأيي.. اللي حاقول بيها رأيي فـي

كل شيء وأقول لأ.. لأ لدوسون ولوريتا والصينيين الحمر والصرع وريكي وسيسل وانت.. ولأ لنفسي.. ولا للأمل.. أنا بارفض كل دول (**تتجـه نحـو الأم على الأريكة**) سيبيني أرحل في هدوء..

الأم: إزاي أقدر أسيبك تموتي؟

جيسي: تقدري لإنك مضطرة.. ده اللي دايما كنت بتعمليـه طول الوقت..

الأم: إنتي بنتي..

جيسي: أنا حطام بنتك. (**الأم لا تستطيع الرد**) لقيت صـورة قديمة ليا وأنا بيبي.. شفت واحدة تانية.. مش أنـا.. كانت بنت بقلوظة.. وشها مورد وعمرها ما سمعت عن المرض أو الوحدة.. بنت تعيط وتاكـل وتمـد إيديها وتنشال وترقص بس من غير ما تأذي أي حد، وكانت بتنام وقت ما تحب.. مجـرد إنهـا تغمـض عينيها.. إنسانة كل اللي بتعمله إنها ترقد وتضـحك على الألوان اللي بتتحرك فوق راسها، وتعضـعض في حوت مطاط صغير منقط وتصحى كل يوم تتعلم حاجة جديدة، وتتـدحرج وتتمرمـغ وتريـل علـى

الملايات وتحس بإيدك وهي بتسحب الغطـا عليهـا تاني.. اللي كنت عليه في الأول.. وده اللي أصبحت عليه.. (**النبرة لا تعكس رثـاء للـنفس**) هـي دي الحكاية.. شخص ضاع مني.. نفسي، أنـا.. اللـي عمري ما كنتها.. أو اللي حاولت أوصل لها وعمري ما قدرت.. إنسانة انتظرتها وعمرها ما جـت.. ولا حاتيجي.. يبقى مش مهم إيه اللي يحصل في العـالم أو حتى في البيت ده.. نفسي كانت الشيء الحقيقـي اللي باستناه واللي يستاهل إني اسـتناه.. لكـن مـا جتش.. لو كانت جت كانت الحياة اتغيرت.. لكن أنا عارفه أنها مش حتيجي.. يبقى ليه اسـتنى؟ عشـان أسليكي؟ مش كفاية، لأني مش ونس حقيقي (**صمت**) مش كده؟

الأم: (**تعرف أنها يجب أن تقول الحقيقة**) لأ.. ولا أنا..

جيسي: جت لي فكرة غريبة.. يمكن مش غريبة أوي.. على أي حال.. بعد الكريسماس وبعد ما قـررت انتحـر كنت أحيانًا أسال نفسي إيه اللي ممكن يخليني أستنى هنا؟ إيه اللي ممكن يستاهل أقعد عشـانه؟ وعارفـه

طلع إيه؟ يمكن لو كان فيه حاجة صحيح باحبهـا.. حاجة زي الرز بلبن أو الكورن فليكس على الفطار أو حاجة زي كده.. يمكن كنت غيرت رأيي.

الأم: الرز بلبن لذيذ..

جيسي: مش بالنسبة لي.

الأم: مش خايفه؟

جيسي: من إيه.

الأم: أنا خايفة منه.. على نفسي.. أقصد لما تيجي ساعتي.. أنا عارفه أنها جايه.. لكن..

جيسي: بس مش عارفه إمتى.. زي أفلام الرعب..

الأم: آه.. يتسحب زي سفاح محدش عارف يمسكه.. يستخبى ورا البيت ويستنى لحد ما يلاقيني ملخومـة ومـش واخدة بالي ويهجم عليه.. وحتى لو خـدت بـالي.. أحمي نفسي إزاي وأنا مش عارفه شـكله إيـه ولا صوته إزاي وهو بيتسحب من ورايا، ومعرفش هل حتألم؟ والحكاية حتاخد أد إيه؟ وهل حيبقى فيه وقت أخلص كل اللي ورايا قبل ما يحصلني؟

جيسي: لسه قدامك وقت طويل.

الأم: حاعمل بيه إيه؟ ما بقتش عارفه..

جيسي: تعيشي كل اللي حيحصل.. مش عارفه.. تعيشي بقية حياتك.. تشوفي أجنس بتحرق بيت تاني أو دوسون لما يبتدي شعره يقع.. أو...

الأم: (**بسرعة**) جيسي أنت فاكره إني حاقدر أقعد كده وأقول لك "طيب يا حبيبتي ياللـه اقتلي نفسك لو عايزه".

جيسي: طبعا تقدري.. أنت بالفعل قلتي ده.. قوليه تاني.

الأم: (**في فزع حقيقي**) جيسي! (**في رعب هادئ**) إيه القسوة دي! فاكره إنك تقدري تمشي لما تعـوزي وكإنـك قاعدة تشوفي التليفزيـون!! لا.. مـا تقـدريش يـا جيسي.. عاوزه تحسسيني إني غبيـة لأنـي لسـه عايشه.. بس أنت غلطانة يا بنتي.. أنا باحب الحيـاة وحافضل هنا لحد ما يجبروني إني أمشي.. لحد مـا يجرجروني لتربتي وأنا باصرخ.. فاهماني؟ باصرخ وأصوت.. وأنت حقيقي ناصحة لأنك عاوزه تهربي قبل ما ده يحصل.. أصله حيكون صوات عمرك ما سمعتي زيه في حياتك.. (**جيسي تتحرك بعيدا**) لكن

أنا باكلم مين؟! إنت مش معايا.. مش هنا خـالص.. مش كده؟ أنا بابصلك ومش شايفاكي.. كإنك شـبح! أنا ما قدرش أحوشك لإنك مشيتي خلاص! فاكره إن كل الناس دلوقتي حيهتموا بيكـي؟ إنـك حتخلـيهم غصب عـنهم يتكلمـوا عنـك؟ إنـك حتحيـريهم وتلخبطيهم؟ آه.. طبعا.. مـن الكريسـماس وانتـي بتضحكي بينك وبين نفسك وتقولي "أما حتبقى حتـة مفاجـأة"! لمعلوماتـك.. مفـيش حـد حاينـدهش يا حبيبتي.. انت طـول عمـرك كـده.. بتختـاري الطريق الصعب.. هي دي بنتـي. (**جيسـي تقـوم وتدخل المطبخ، لكن الأم تتبعها**) انت عارفـه مـين اللي حيصعب عليهم بجد؟ أنا!! إيه رأيك بقى؟ أنـا مش أنت.. أنا!! حايستعروا مـن عملتـك.. أيـوا حايستعروا!! ولو حد سأل دوسون عـن الحكايـة، حايغير الموضوع بسرعة.. حايتكلم عن اللي بيدفعه للجراج عشان ركن عربيته.

جيسي: سيبيني في حالي.

الأم: دي الحقيقة..

جيسي: كان مفروض أسيب لك جواب وخلاص.

الأم: (**صارخة**) أيوه.. (**تدرك فجأة ما قالته وتصـبح أشـبه بالمشاولة لمجرد التفكير فيه.. تستدير ببطء لتواجه جيسي.. تتكلم في صوت هـامس**) لأ.. لأ.. كنـت منين حاعرف كل الحاجات اللي قلتيها..

جيسي: خلاص يا ماما.. (**الأم تبدو في شبه إغمـاءة مـن جراء الإنهاك العاطفي الذي عانتـه فـي الـدقائق الأخيرة.. تجلس إلى مائدة المطـبخ... مجروحـة وغاضبة وخائفة لدرجة الموت.. تبدو غائبة عـن الوجود، لقد ذهبت أبعد من الحدود المعروفة للألـم ولم يعد أحد يستطيع الوصول إليه.. جيسي تـدرك هذا وتتحدث بهدوء وتراقب ظهور علامات استعادة الأم لوعيها وتغسل يديها في الحوض**) أنا فاكرة إن القسيس اللي عمل صلاة القـداس علـى روح بابـا عجبك.. لو حبيتي تطلبيه يعمل المراسم، أنا موافقة.

الأم: (**لا إجابة.. ولكن مجرد كلمة**) إيه..

جيسي: (**تضع لوسيون على يديه وهي تـتكلم**) واختـاري أغاني بتحبيها أو خلي أجنس تختار.. هي حاتعرف..

أنا نضفت لك الفستان الأسود اللي لبستيه يوم جنازة بابا.. كان حلو أوي عليكي..

الأم: مش فاكرة يا حبيبتي..

جيسي: الموضوع مش حايبقى صعب بمجرد ما أصـحابك يبتدوا ييجوا البيت عشان الجنازة.. غالبا حاتشـوفي ناس ما شفتيهمش من سنين.. أنا فكرت فـي اللـي مفروض تقوليه عشان تتغلبي على التـوتر أول مـا يبتدوا يوصلوا.

الأم: (**تكرر**) يوصلوا..

جيسي: خديهم لفوق يشوفوا بوكيهات الورد اللي بعتوهـا.. حاينبسطوا. ولما يقولولك "البقية في حياتك" تقـولي "أنا مقدرة تعبكم".. بعدين اسأليهم عن أحوال جناينهم في الصيف اللي فات أو حيعملوا إيه في عيد الشكر اللي جاي أو عن أولادهم..

الأم: متهيألي مش مفروض أسأل عن أولادهم.. حاتكلم عـن هدومهم.. كـده دايمـا أحسـن وحـايكون معايـا الكروشيه..

جيسي: أجنس حاتكون هنا ويمكن مـا تحتـاجيش تتكلمـي

خالص..

الأم: يمكن لو "كوني ريتشارد" جت أقدر أخليها تقـول لـي منين بتجيب الخيط اللي بتقول عليه أيرلنـدي.. أنـا عارفه إنه مش بييجي من أيرلنده.. كل الحكاية إنـه ملفوف في ورق أخضر..

جيسي: ولازم تعزمي ناس كتير على البيت بعد الجنـازة.. بكده حتجيبي أكل يكفيهم ويتفضل لك منه شـويه.. بس إوعي تخلي حد ياخد حاجـة وهـو مـروح.. وخصوصا لوريتا..

الأم: لوريتا هي اللي حاتوضب الأكل يا حبيبتي، يبقى مـن العدل أسيبها تاخد شوية مكرونة أو أي حاجة..

جيسي: لا يا ماما.. من هنا ورايح لازم تبقي أنانيـة شـوية (**تجاس الآن مع الأم**) ودلوقتي، يمكن حد يسألك أنا عملت كده ليه.. قولي ما عرفش.. إنك كنت بتحبيني وعارفه إني كنت باحبك، وإننا قعدنا الليلـة دي زي المعتاد وبعدين جيت وبوستك وقلت لك تصبحي على خير يا ماما وإنك سمعتيني باقفـل أوضـة النـوم، وبعدين سمعتي طلقة.. وأيا كانت أسبابي فهي اندفنت

معايا..

الأم: (**بهدوء**) أسباب شخصية..

جيسي: صح.. صح يا ماما..

الام: يبقى ده كل اللي حاقوله..

جيسي: أيوه أسباب شخصية..

الأم: وده برضه اللي حاقوله لدوسون ولوريتا؟ قعـدنا سـوا وبوستيني وقلتي تصبحي علـى خيـر؟! حـايحبوا يعرفوا أكتر يا جيسي.. مش حايصدقوا.

جيسي: يبقى قولي لهم على اللـي عملنـاه.. مليـت علـب الحلويات.. نضفت التلاجة وعملنا كاكـاو وغطينـا الكنبة.. ما كانش عندك أي فكـرة.. كـويس كـده؟ اتهيألي ده أفضل بكتير.. لو عرفوا اننا اتكلمنا فـي الموضوع مش حايفهموا ازاي سيبتيني أموت نفسي. (**الأم لا تجيب**) ده سرنا.. الليلة دي تخصنا إحنا.. أنا وأنت.. مش عايزه أي حد يعرف حاجة عنها..

الأم: طيب.. خلاص..

جيسي: (**تقف وراء الأم الآن وتمسك كتفيها**) ودلوقتي.. لما

تسمعي الطلقة مش عايزاكي تـدخلي.. إنـت مـن الأصل مش حاتقدري تفتح الباب لوحدك، لكـن أنـا عايزاكي ما تحاوليش.. كلمـي دوسـون وبعـدين البوليس وبعدين أجنس.. بعد كده حاتحتاجي تشـغلي نفسك لحد ما يوصلوا هنا.. اغسلي حلـة الكاكـاو.. افضلي اغسلي فيها لحد ما تسمعي جرس البـاب.. حتى لو فضلتي ساعة تغسليها لحد ما الجرس يرن..

الأم: حاعمل التليفونات وبعدين حاقعـد وخـلاص.. مـش حاحتاج أعمل أي حاجة.. البوليس حيقول إيه؟!

جيسي: حايعملوا اختبار البارود وبعدين يسألوكي إيه اللـي حصل، وفي الوقت ده حـاتكون عربيـة الإسـعاف وصلت هنا وحايدخلوا ويشـيلوني.. انـت عارفـه الحاجات دي بتمشي ازاي.. خليكي انت ودوسـون ولوريتا بره.. خلّي دوسون يفضل بره هنا.. عـايزه البوليس هو اللي يدخل الأوضه الأول مش دوسون.. مفهوم؟

الأم: ولو دوسون ولوريتا حبوا ياخدوني معاهم؟

جيسي: (**تعود لغرفة المعيشة**) انت حرة.

الأم: اتهيألي أفضل هنا أحسن.. معندهمش راحة..

جيسي: يمكن أجنس تقدر تقعد معاكي كام يوم..

الأم: (**تقف وتنظر نحو غرفة المعيشة**) يمكن أحسن أكون لوحدي. (**تسير نحو الصندوق الذي أحضرته جيسي منذ قليل**) عايزاني أوزع الحاجات دي؟

جيسي: (**تجلس على الأريكة وهي تحمل الصندوق فوق فخذيها**) عايزه لوريتا تاخد الآلة الحاسبة الصغيرة بتاعتي.. إنت عارفه إن دوسون اشتراها لنفسه وبعدين شاف واحدة تانية عجبته أكتر، وطبعا ما قدرش ياخد الاتنين البيت.. أنت عارفه لوريتا بتحسب كل قرش ازاي.. فاداني الأولانية.. بذمتك مش نكتة إنها ترجع لها دلوقتي؟! وكل شباشب البيت بتاعتي في كيس دولابي.. اديهم لها.. قولي لها أني عارفه إنهم على مقاسها واني عمري ما لبستهم.. وخلّي بالك إن دوسون يسمعك وانت بتقولي لها الكلام ده.. أنا سعيدة إنه بيحب لوريتا أوي.. بس مش لدرجة انه يتصور إن كل الناس رجليهم مقاس رجليها..

الأم: (**تأخذ الآلة الحاسبة**) حاضر..

جيسي: (**تمد يدها داخل الصندوق مرة ثانيـة**) الجـواب ده لدوسون ومعظمه عنك، تقدري تقريه لو عايزه.. فيه لسته بالهدايا اللي تتقدم لك لمدة العشرين كريسـماس الجايين وأعياد ميلادك.. لو عايزة حاجـة محـددة يستحسن تضيفيها عليها قبل ما تديها له.. لو عـايزة مفاجأة ما تقريش الصفحة دي. في الكريسـماس ده حاتجيلك حاجات منزلية أساسا، زي مشـاية جديـدة للحمام، أشغال إبره.. لكن الكريسماس اللـي بعديـه حاتغرميه بجد.. واتهيألي إن الهدية حاتعجبـك أوي، وحتكون فعلاً مفاجأة عمرها ما خطرت على بالك..

الأم: وتفتكري هو حايشتريها؟

جيسي: اتهيألي حايحس إنه ندل لو ما عملـش كـده بعـد ما طلبت منه يشتريها ف الظـروف دي بالطريقـة دي.. ودلوقتي، دي نمرة تليفون سيسل. أنا جربتهـا الأسبوع اللي فات وهو رد.. وبكده عرفت إنه لسـه عايش هناك..

الأم: عايزاني أقول له إيه؟

جيسي: قولي له إننا اتكلمنا عنه واني افتكرته بالخير.. لكـن الأهم تقولي له يلاقي ريكي ويقول له أنا عملت إيه.. وقولي لريكي إن له هدية مني عندك، وإنـه ييجـي ياخدها (**تخرج من الصندوق كيسا**).

الأم: (**تتحسس الكيس**) إيه ده؟

جيسي: (**تخرجها من الكيس**) سـاعتي.. (**تعيـدها للكـيس وتخرج من الصندوق شريطًا تربط به الكيس**)

الأم: حايبيعها!

جيسي: ما أنا عارفه.. كويس إنه ما سرقهاش لحد دلوقتي.. نفسي ياكل أكله حلوه..

الأم: حيبيعها ويشتري مخدرات..

جيسي: يبقى يا رب يشتري نوع كـويس.. البـاقي ليكـي يا ماما (**تعطي الأم الصندوق، الأم تلـتقط الأشـياء وتنظر إليها**).

الأم: (**مندهشة وسعيدة**) امتى عملتي ده كله.. وأنا نايمـه.. مش كده؟

جيسي: كده.. حاولت مخليكيش تاخدي بالـك. (**بينمـا الأم**

تنظر في حيرة للهدايا) دي هدايا بسيطة عشان لمـا تحتاجي واحدة. دي مش هـدايا اشـتريتها، مجـرد حاجات تصورت إنك يمكن تحبي تتفرجي عليهـا.. زي الصور مثلاً.. أو حاجات افتكرتي إنها ضاعت أو حاجات تصورتي أنها مش عندك.. حاتشوفي..

الأم: مش عارفه إذا كنت عـايزاهم والا لأ.. حـايفكروني بيكي..

جيسي: مش حايحصل.. دي مجرد حاجـات بسـيطة.. زي عينة معجون الأسنان المجانية اللي لقيتها مرة علـى الباب.

الأم: آه.. طيب.

جيسي: مع ذلك، يمكن يكون بينهم هدية حلوة.. زي الخـاتم اللي ادتهولي جدتي.. تصورت انك ممكـن تحبـي تحتفظي بيه.. لكن ما أظنش أنك حترضي تلبسيه لو اديتهولك دلوقتي..

الأم: (**تحمل الصندوق وتضعه على منضـدة قريبـة**) لأ.. ما اظنش (**تستدير لتواجه جيسي**) أفتكر أنا مستعدة للمانيكير دلوقتي.. عايزاني أغسل إيدي تاني؟

جيسي: (**تقف**) أنا لازم أمشي دلوقتي يا ماما..

الأم: (**تحملق فيها**) لا يا جيسي.. قدامك الليل بطوله..

جيسي: (**بينما تتشبث بها الأم**) لأ يا ماما..

الأم: الساعة ما جتش عشرة..

جيسي: (**بهدوء شديد**) سيبيني يا ماما..

الأم: ما قدرش.. مش ممكن تروحي.. مش ممكـن تعملـي كده.. انت ما قولتيش أنك حتمشي بسرعة كـده يـا جيسي.. أنا خايفة.. أنا بحبك..

جيسي: (**تزيح يديها**) سيبيني يا ماما، أنا قلـت كـل اللـي عندي.

الأم: (**تقف مبهوتة للحظة**) إنت قلتي حاتعملي ضوافري.

جيسي: (**تخطو للوراء**) ما قدرش.. الوقت فات..

الأم: لسه بدري..

جيسي: مش عايزاكي تقلقي دوسون ولوريتا من النوم لمـا تكلميهم عايزاهم يكونوا لسه صاحيين ولابسين عشان ييجوا على طول.

الأم: (**بينما تتراجع جيسي للـوراء، وتتحـرك الأم نحوهـا**

بحذر) حايصحوا بسرعة يا جيسي لـو اضـطروا..
هما مش مهمين دلوقتي.. المهم انت.. المهـم أنـا..
إحنا لسه ما خلصناش كل اللي ورانا.. لسه قـدامنا
حاجات كتير لازم تتعمل.. أنا مـش عارفـة فـين
روشتات الدوا، ولسه ما قلتليش أقول إيـه للـدكتور
"ديفيز" لما ييجي، ولا عايزاني أقول لريكي إيه لمـا
ييجي، أو أتصل بمين عشان يشيل ورق الشجر لمـا
يقع.. أو..

جيسي: ما تحاوليش تمنعيني يا ماما.. مش حاتقدري..

الأم: (**تتشبث بها ثانية، هذه المرة بشـدة**) أقدر! حاقف قدام
باب الصالة ومش حاتقدري تعدي مني (**تتماسـكان**)
لازم توقعيني عشان تفلتي مني يا جيسي... أنا مش
حاسيبك (**الأم تتماسك مع جيسي أمام باب الغرفـة
لكن جيسي تفلت منها**).

جيسي: (**في صوت أقرب للهمس**) تصـبحي علـى خيـر
يا ماما.. (**جيسي تختفي داخل غرفة النوم ونسـمع
صوت إغلاق الباب من الداخل بالمفتاح عندما تصل
إليه الأم**).

الأم: (**تصرخ**) جيسي! (**تطـرق البـاب بعنـف**) جيسـي..
افتحي.. ما تعمليش كده يا جيسي.. أنا مش حابطـل
صريخ لحد ما تفتحي الباب.. جيسـي.. جيسـي!!
جيسي!! طيب وإذا ما عملتش أي حاجة قلتي عليها..
حاقول لسيسل إنه كان ندل لأنـه خلاكـي تحسـي
بالتعاسة وحادي ساعة ريكي لدوسـون لـو جـالي
مزاجي.. الطريقة الوحيدة اللي تضمني بيهـا إنـي
أعمل اللي انت عايزاه، إنك تخرجـي مـن عنـدك
وتجبريني.. جيسي (**تخبط البـاب ثانيـة**) جيسـي!
بلاش! أنا ما كنتش أعرف! أنا كنت هنا معاكي طول
الوقت.. كنت أعرف إزاي انك حاسة بكل الوحـدة
دي؟! (**تتوقف الأم للحظة وتلهث.. تلصـق أذنهـا
بالباب في عصبية وعندما لم تسمع شـيء تعتـدل
وتصرخ ثانية**) جيسي!! أرجوك (**تسمع طلقة.. تبدو
كما لو كانت الإجابة.. وكأن الصوت أشبه بصـيحة
"لا".. تتهاوى الأم أمام الباب.. الدموع تنهمر مـن
عينيها وتغطي وجهها، لكنها لا تصرخ.. إنهـا الآن
في حالة صـدمة**) جيسـي.. بنتـي يـا حبيبتـي..

سامحيني. (**صمت**) افتكرت انك ملكي. (**تبتعد عـن الباب وتعود لغرفة المعيشة. تتخبط بين قطع الأثاث وكأنها لا تعرف مكانها أو ما تفعله.. فـي النهايـة تتجه نحو الموقد في المطبخ وتتناول حلة الكاكـاو الفارغة وتمسكها في يدها وتتجه نحو التليفـون.. تتشبث بها وهي تدير قرص التليفون... تنظر إليها وكأن حياتها متعلقة بها.. تسمع صـوت لوريتـا**) لوريتا.. إديني دوسون..

النهاية

أمي قالت لا

تأليف

شارلوت كيتلي

مقدمة المترجمة

في عام ١٩٧٠، وكرد فعل طبيعـي لنشـاط الحركـات النسائية في أوروبا الغربية وأمريكا، وللتغيرات الاجتماعيـة التي تبلورت بصورة واضحة خلال الستينيات حول وضعية المرأة وضرورة تغيير المفاهيم والعادات التي تفرض عليهـا مكانة ثانوية في إطار الأسرة والمجتمع ككل، وتأكيدا لحقهـا في التعبير عن نفسها ككائن مستقل من حقه تقرير مصـيره واحتياجاته ورغباته، ظهرت مفاهيم ونظريات الأدب وعلـم النفس والاجتماع، وحتى الاقتصاد النسائي التي أكـدت فـي مجموعها على أهمية التركيز على تجارب المرأة والتفسـير الاقتصادي والاجتماعي والنفسـي والسياسـي لوضـعيتها ودورها وأسلوب تعاملها مع العالم وضميرها الخفي وعلاقتها بجسدها.

ورغم أن الكاتبة "ميشلين واندور" قـد ذكـرت ـ فـي دراستها التي قمت بترجمتهـا ونُشـرت بمجلـة المسـرح

المصرية في عدد سبتمبر ١٩٩٢(*) تحت عنـوان "عنـدما تكتب المرأة للمسرح؛" ـ أن الكاتبات الروائيات قد استطعن تحدي الصور المهينة والآراء المسبقة عن الجنس والأدب.. وتجاوزن مرحلة الأسئلة التقليدية (من قبيل أي من الجنسـين أكثر قدرة على التعبير عن الآخر، وهل هناك اختلاف فـي طبيعة الموضوعات وأسلوب تناولها، وغيرها من علامـات الاستفهام المعلقة)، بعكس كاتبات المسرح اللاتي مـا زلـن يعانين من محاولة تقيمهن طبقًا لمنظومة عمل مسرحي خلقها الرجل وحدد عناصرها وملامحها، فإن الهجمة الشرسة التي تواجهها رواية المرأة اليوم من قبل النقاد الذي يؤكـدون أن معظم الروائيات لم يقدمن أدبا له قيمة حقيقية لأنهن أسيرات لأزماتهن العاطفية وانفعالاتهن الشخصية التي تحد خيـالهن وتحوله لخيال مكسور عاجز لا يرقى لأكثر مـن مسـتوى الخواطر أو تجربة حياة فردية ـ هذه الهجمة الشرسة التـي تشعل اليوم جدلاً مستعرا بين أنصار ومناهضي رواية المرأة تؤكد أن الكاتبة، سواء الروائية والكاتبة المسرحية، ما زالتـا

(*) مجلة المسرح، سبتمبر ٩٢ ـ العـدد ٤٦ ص ١١٥ ـ ١٢١، تصدر عن الهيئة العامة للكتاب

في نفس القارب.. الأكثر من ذلك أن الكاتبة، سواء الروائية أو المسرحية، وبصرف النظر عن اتجاهها أو وجهة النظـر التي تتبناها، محكوم عليها أن تُقَيم طبقًا لمنظومة العمل التي خلقها الرجل، ليس فقط لاختلاف الجنس ولكن لأنها تتعامـل مع عناصر جديدة، غريبة، مثل التركيز على أعماق الشعور والعلاقات الحميمة خلف الأبواب المغلقة.

ومع ذلك فاعتقادي الشخصي أن الأمـر أصـبح أكثـر وضوحا وحسما لمسرح المرأة، فبعد أن شهد العقد الماضـي في أوروبا الغربية، وبالتحديد في انجلترا ظهـور عشـرات الجماعات المسرحية النسائية التي غيرت وأعـادت تشـكيل أسلوب العمل وتقسيماته الداخلية، وظهور عدد كبيـر مـن المؤلفات والمخرجات اللاتي قدمن تجارب مسرحية جريئـة متنوعة، سواء من حيث الأسلوب، أو المادة أو تنظيم العمل [*]، لم يعد من الممكن اعتبار مسرح المرأة مجرد ظـاهرة

---

[*] انظر مقالة سوزان أز باسنت ماجداير "نحو نظريـة لمسـرح المرأة"، ترجمة سناء صليحة مجلة المسـرح - العـدد ٥٨، سـبتمبر ١٩٩٣، ص ٣٣ - ٤٥ تصدر عن الهيئة العامة للكتاب.

=

محدودة الأهمية. وإذا كانـت بعـض الناقـدات والفنانـات المسرحيات قد قمن برصد بعض ظواهر التباين الشديد فـي أساليب ومناهج المسرح النسائي وحـاولن تصـنيفها طبقًـا لموضوع العمل، أو كيفية تصوير هوية المرأة، أو العلاقـة بين الممثل والمشاهد، أو هدف العملية المسـرحية أو حتـى الشكل المسرحي، إلا أن السمة المشتركة بين كل ضـروب المسرح النسائي هي أن هذا المسرح يجاهد لخلـق نظريـة مسرحية جديدة، ويعمل على تحدي ومناقشة الصورة المألوفة للمرأة، وتقديم شهادة بديلة عن الحياة وعن الفن وموقعه فـي التجربة الإنسانية.

والحقيقة أن علاقة المرأة بالمسرح قديمة، أرجعتها الكاتبة "ميشلين واندور" في نفس مقالتها - عنـدما تكتـب المـرأة للمسرح - إلى القرن العشرين الميلادي عندما كتبت الراهبة

=

وانظر أيضا كلمة المؤلفة كاريل تشرشل وكلمة فرقة "كتيبة الرعب" النسائية المرفقتين بترجمة مسرحية القط فينجـار والمنشـورة بمجلـة المسرح - ترجمة سناء صليحة - العـدد ٤٦، سـبتمبر ١٩٩٢، ص ١٣٩ - ١٤١.

هروتسفيت (Hrotsvit) مسـرحيات باللاتينيـة، وعنـدما أشارت إلى الدور الذي لعبته بعض السيدات فـي جماعـات "الكوميديا دي لارتي" في إيطاليا، ولكن الملاحظة الجـديرة بالذكر هي أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الأبحاث التي تقدم إجابات كاملة عن تاريخ الأدب المسرحي النسائي، أو عـن السيدات اللاتي خضن تجربة الكتابة للمسرح.. ومن ناحيـة أخرى، فالملاحظ أن ظهور مسرح المرأة كان مرتبطًا دائما بالتغيرات الاجتماعية وموجات التنوير، إذ توضح المراجـع المتاحة أن الاعتراف بالكاتبة المسرحية كان مرهونًا بظروف ومراحل تاريخية، مثل عصر عودة الملكية في انجلترا حيث ظهرت في الفترة من ١٦٦٠ إلـى ١٧٢٠ حـوالي سـتين مسرحية للكاتبات، كذلك فقد انتعشـت نفـس الحركـة فـي السنوات الأولى من القرن العشرين وحتى ثلاثينياته لتواكـب التغيرات في المفاهيم الأخلاقية السائدة، والحملات الداعيـة لإعطاء المرأة حق التعلـيم والعمـل والانتخـاب، ليظهـر ما يعرف بمسرح التحريض، وتتكـون جماعـات المسـرح النسائي التي قدمت أعمالاً كجزء من الحركـة الاشـتراكية، التي سادت حقبة الثلاثينيات في انجلترا، ثم تـأتي الموجـة

الثانية أو الإحياء الثاني لمسرح المرأة كنتاج للفورات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها أوروبا على مدى ثلاثـة عقود حتى نهاية الستينيات ولتطرح قيما مسرحية جديدة مثل ديمقراطية العمل المسرحي، وتحديد دور الكاتب والمخـرج في ضوء احتياجـات فريـق العمـل، والإبـداع التلقـائي والجماعي، ورفض التعامـل مـع المـرأة كجـزء ثـانوي أو كديكور جذاب. ومن الجدير بالـذكر أن بعـض الفـرق المسرحية التي أنشئت في بدايـة عقـد السـبعينيات تبنـت اتجاهات متشددة فقررت عدم الاستعانة بأي رجـل خـلال جميع المراحل المسرحية المختلفة، أو تحدت أن تقدم المـرأة في شكل يهدم الصورة الثابتة للمرأة كعنصر جذاب جنسـي، وذلك من خلال المبالغة في استخدام الماكياج مبالغة تـدعو إلى السخرية أو الرعب.. بل وصل الأمر في بعض الفـرق إلى استخدام مثيرات حقيقية، كما فعلت فرقـة "مونسـتراس ريدجمنت" عندما استخدمت الدم في مسـرحية **القـط خـل** (أو القط فينيجار) للكاتبة "كاريل تشرشل"، فأصـيب بعـض المشاهدين بالإغماء.

وعلى أي الأحوال، فالملاحظ أنه بمـرور السـنين بـدأ

مسرح المرأة يتخلى عن المبالغة في التطرف - وإن ظل في معظمه يحمل ملامح تجريبية في الشكل ليقدم مفهوما أكثـر مرونة، وليستفيد من اتجاهات علم النفس والاجتماع النسائي اللذين قدما لمسرح المرأة أهم قضاياه، ممـا تمخـض عـن مسرحيات تعكس إحسـاس المـرأة بـالتمزق بـين الأدوار المفروضة عليها، ورغباتهـا الخاصـة، وحنينهـا للحريـة واستقلال الشخصية وهروبها منهما أيضا، وإحساسها الـدائم بالحاجة إلى مؤثر خارجي أو لشخص ما تعتمد عليه أو تلقي عليه تبعة فشلها، وشعورها الدائم بعدم الثقة بالنفس، والخوف من خوض غمار أي صراع بدرجة تـدفعها للخـوف مـن النجاح، بل وتفاديه، رغبة في التراجع للراحة والأمان فـي ظل الصورة التقليدية للمرأة.

وقد قدمت موجة مسرح المرأة الثانية عددا من الكاتبات، مثل "كاريل تشرشل" و "لويز بيج" و "بام جيمس" و "بنلـوبي لايفلي"، وأخيرا وليس آخرا كاتبة العمل الذي ننقلـه اليـوم للعربية (**أمي قالت لا**) "شارلوت كيتلي" أو "لورانس أليفييـه" المسرح وأهم الكتاب الجدد الواعدين في إنجلترا، كما أطلقوا عليها عام ١٩٩٠ بعد النجاح الساحق الذي حققته المسـرحية

التي نقدمها على الصفحات التالية.

وإذا كانت مقدمة "شارلوت كيتلي" للمسـرحية تعـرض لمراحل العمل والإعداد لظهوره والصعوبات التي واجهتهـا، فإنني آمل أن تكشف هذه السطور حصاد جهد المؤلفة وفريق العمل المتكامل الذي قدم العمل. أو تلقي بعض الضوء علـى شخصيات المسرحية وطبيعة العمل ككل.

عرضت مسرحية **أمي قالت لا** لأول مـرة فـي مسـرح كونتاكت بمانشستر عام ١٩٨٧، ثم حصـلت علـى جـائزة "جورج ديفان" وجائزة صحيفة "مانشستر إيفنج نيوز" (أخبار مانشستر المسائية) لأفضل مسرحية جديدة، بعد ذلك انتقلـت المسرحية لتعرض في مسرح الـ "رويال كورت" في لنـدن عام ١٩٨٩ وقد تُرجمت مسرحية **أمي قالت لا** إلـى إحـدى عشرة لغة مختلفة من قبل، وقُدمت في أكثر من دولة، هـذا بالإضافة إلى أنها تفوقت على أي مسـرحية أخـرى مـن مسرحيات المرأة في عدد مرات عرضها وذلك على طـول تاريخ المسرح البريطاني.

ومما يذكر أن "شارلوت كيتلي" قدمت قبل مسرحية **أمـي قالت لا**، مسرحية موسيقية في عام ١٩٨٦ بعنوان **أسـطورة**

بادجيـت، وهي من نـوع مسـرحيات المجتمـع الصـغير (Community Theatre) واشترك فيهـا ثمـانون ممـثلاً وموسيقيا، ثم قدمت في العام التالي مسـرحية **فـي انتظـار مارتن** والتي عرضتها "فرقة شكسبير الإنجليزية" عـام ٨٧، ومسرحية **الخوف والبؤس في الفصل الثالث** عام ٨٩، إلـى جانب عدد من الأعمـال الإذاعيـة والتليفزيونيـة، وذلـك بالإضافة إلى ممارسـتها للنقـد المسـرحي فـي صـحيفة "الفينانشيال تايمز" وصحف أخرى في الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٦. والجدير بالذكر أن الكاتبة تقوم حاليا بتـدريس فـن التأليف المسرحي في عدد من الكليات والمعاهد.

وإذا انتقلنا للعمل نفسه فسنجد أنفسنا في مواجهـة عمـل مركب ذي طبيعة خاصة، شخصياته في غاية الثراء، تتوازى وتتقاطع وتتوحد أحيانًا من خـلال المونولـوج أو الحـوار أو الحلم أو إرهاصات اللاوعي.

تطرح الكاتبة من خلال عملها قضية علاقة الأم/الابنـة، بعيدا عن الصورة النمطية للعلاقة، وتطور أبعـاد العلاقـة وتباينها طبقًا لتطور مفهوم المـرأة وإدراكهـا لاحتياجاتهـا ووسائل التعويض عنها، سواء بالانسـحاب إلـى الحديقـة

والاهتمامات المنزلية أو الاستغراق في الأمومة أو العمـل، وهي تصور هذا التدرج بصورة مبهمة تترسب في أعمـاق المشاهد ليس فقط من خلال الحوار أو المنولـوج الفـردي أو التورية والإحالة اللفظية، ولكن أيضا مع تغير الاسم الذي تطلقه على الأم عبر المراحل الزمنية، فهي "ماما" ثم "مامي" ثم "مام"، وتتوازى العلاقة بين الجدة الكبرى والحفيدة التـي تمثل الجيل الرابع عندما تتحول من جدتي إلى "نانا".

وشخصيات العمل ممزقة بين أحلامها المحبطة وأدوارها المفروضة.. فما بين حلم الخروج للعـالم وتحقيـق الـذات، وتجربة النكوص والتمزق بين الأدوار والرغبات، والتأرجح بين الخوف من المسئولية والهـروب منهـا لعـدم الإدراك أو عدم القدرة على الوصول للسلام مع الـنفس فـي ظـل منظومتي قيم مختلفتين والإحساس بالذنب والفشل، تبدو كـل شخصية على حدة أشبه بمزيج من شخصية سيزيف البطـل اليوناني في الأساطير الذي حلت عليه اللعنة [*] (فقدر عليـه

[*] اقتران الدورة الشهرية والمتاعب النسائية على لسان أبطال العمل باللعنة يوحي بالدلالات المترتبة في وجدان المرأة من خلال الأسـاطير =

أن يحمل صخرة كبيرة على كتفيه محاولا الوصـول لقمـة الجبل وما إن يلامس القمة حتى تتدحرج الصـخرة للسـفح) ومن شخصية المسيح الذي يفتدي البشرية..

ورغم عدم ظهور الرجل على خشبة المسرح في أي من مشاهد العمل، إلا أنه يلقي بظله على كل الشخصيات ليصبح الفاعل المستتر والمحرك للحدث والشخصية علـى امتـداد أربعة أجيال كاملة، هي المساحة الزمنيـة التـي اختارتهـا "شارلوت كيتلي" لعملها.. ومع ذلك يمكن للمشاهد أن يـدرك أن هذه الفاعلية والسيطرة لم يفرضها أي من الرجال الثلاثة في العمل، بل اختارتها وفرضتها الشخصيات النسائية علـى نفسها يوم اختارت الرجال لكي يكونوا المركـز والمحـور والبداية الحقيقية للحياة..

ولأن الكاتبة اختارت أن تتعامل مع مسـتوى الصـراع الداخلي الأشد عنفًا وقسوة بعيدا عن الصورة النمطية والآراء المسبقة، لتكشف التناقض بين مستوى الوعي العام والإدراك

=

والتقاليد البدائية، ففي أوغندا مثلا يجب تحطيم أي إناء تلمسـه المـرأة خلال تلك الفترة.

الذاتي في الشخصية (دون مباشرة قد تقتـل العمـل الفنـي أو تحوله لخطبة تهيـيج أو مقالـة نسـائية متطرفـة) فقـد عمدت ـ كما سيلاحظ القارئ ـ إلـى اسـتخدام التوريـة والتشبيه والإحالة واللجوء إلى كلمـات وجمـل ذات دلالات مزدوجة على لسان الشخصيات، هذا بالإضافة بالطبع إلـى توظيف مشاهد الحلم أو الطفولة. وهنـا أعتـرف أن هـذه النوعية من الكلمات والجمل والمشاهد التي تتطلب العثـور على الكلمة العربية الموحية بـالمعنى الظـاهري والدلالـة المستترة معا استنفدت جهدا وطاقة كبيرين، فبدت أشبه بعقبة يكاد يكون من المستحيل تخطيها، خاصـة إذا مـا حـاول المترجم نقل روح النص وتكنيك الكاتبة المستتر، لا الحروف والكلمات فقط...

والمؤكد أن المشاهد الثلاثة الأولـى فـي الفصـل الأول للمسرحية تلقي الكثير من الضوء على العمل الـذي نحـن بصدده.. فتجزئة الزمن والقفز به للوراء والأمام، وتقديمـه وتأخيره، وتداخل مشاهد الفتيات الصغيرات ـ التـي تبـدو كحلم أو كصوت العقل الباطن ـ مـع المشـاهد الأخـرى بصورة غير متتابعة زمنيا أو منطقيا، تجعلنا نعايش مراحل

تشكيل وعي الشخصيات الخاصة بالحياة وإحساسها بـالزمن كجزئيات متداخلة (*) ومع تتابع المشاهد ومحاولة الأجيـال الأربعـة الوصـول لسـر "الماسـة الفريـدة" (*) لعبـة

---

* اللعبة التي توارثتها أجيال الأمهات والبنات وحاولت كل مـنهن على حدة الوصول لحلها، وفي ظني أن اختيار اللعبة واسـمها كنايـة وظفتها الكاتبة لإعطاء أكثر من دلالة.

* في بحث أجرته عالمة النفس الأمريكية "روث مولتون" في جامعة كولومبيا اتضح أن المرأة تلجأ للحمل هربا من مسئولية العمل وتحدياته وبحثًا عن الشعور بأن هناك من يحتاج إليها..

كذلك فقد رصدت المحللة النفسية الأمريكية "الكسـندر سـايموندر" مشكلة تمزق المرأة بين أدوارها المختلفة، ورغبة العقل الـواعي فـي الشعور بالاستقلالية، التي تغلف رغبات اللاوعي الـذي يبحـث عـن الأمان والحماية من خلال مفردات الطفولة وظل الرجل.

كما رصدت عالمة النفس الأمريكية "جوديث برادويـك" ـ ـ فـي جامعة ميشجن ـ نفس الظواهر مضافًا إليها سلبية المـرأة وافتقادهـا للثقة بالنفس والخوف من النجاح واتخاذ القرار والمبـادرة، وأرجعـت ذلك لظروف التنشئة الاجتماعية والثقافية والميراث الإنساني الطويـل الذي يحدد منذ البداية لكل من الجنسين أدواره وسـلوكياته والمتوقـع منه.. الأمر الذي يدفع بالمرأة أيا كان موقعها أن تناقش بينهـا وبـين نفسها إذا ما كان نجاحها يفقدها أنوثتها أو يتعارض مع أمومتها، ويولد
=

(Solitaire) ـ وتوالي الإحباطات، تتكشف لنا تدريجيا أبعاد الشخصيات وعلاقاتها، سواء علاقاتهـا بالعـالم الخـارجي أو العلاقات الحميمة التي تربط بين الأم والابنـة، فنواجـه بمزيج من الحب والغيرة والكراهية، ومحاولة تعويض الحلم من خلال الآخر، أو التعايش مع القهـر، أو الهـروب مـن أو إلى الأمومة [*]، أو محاولة الهروب من المشكلة برمتهـا ومن ظل الرجل، الذي يفرضه الحب، بالاستغراق في مشاكل العالم الخارجي بعيدا عما يمس الذات، كما حاولـت "روزي" عندما استغرقت في مشاكل العـالم ومـدت عينيهـا لتتـابع الطائرات الورقية وهي تحلق في سـماء صـافية، وألقـت بقصاصات خطاب أمها وكأنها ترفض أن تظل أسيرة للدائرة المتوارثة.

لكن الدائرة تكتمل وتلتقط "روزي" بقايا الخطاب قبـل أن تختفي داخل الكوخ ليبدأ مشهد الختام باندفاع الجدة "دوريس" لخشبة المسرح وهي في زي العشرينيات لتزف إلـى أمهـا

=

عندها الإحساس بالذنب ومحاولة خلق علاقة طرديـة بـين الصـفات السلبية للمرأة وتحقيق النجاح العملي.

وهي تلهث نبأ خطبتها "لجاك" وتعلن بداية حياتها الحقيقيـة، وكأن الزمن بشخصياته قد عاد إلى الوراء من جديد ليـدور الجميع مرة أخرى في دائرته المفرغة.

تبقى كلمة أخيرة.. إن مسرحية **أمي قالـت لا** ـ ـ فـي تصوري ـ تختلف كثيرا "عن العديد من مسرحيات مسـرح المرأة، ليس فقط من حيث التكنيك المسرحي المتطور وقدرة الكاتبة على توظيف أدواتها المسرحية، ولكـن الأهـم فـي تصوري هو إدراك الكاتبة واستيعابها وتوظيفها لاكتشـافات علم النفس والاجتماع في رسم شخصـياتها. وهكـذا نـأت الكاتبة بنفسها عن السقوط في بئر التطرف والمبالغة وإلقـاء تبعة مشكلة المرأة على المجتمع أو الرجل/العدو كما تـوحي بعض المسرحيات.. فقدمت أربع شخصيات نسـائية ثريـة رائعة، حولت المرأة بسلبيتها وعجزها وخوفها وترددها إلى متهم وضحية، لتعيد إلى الأذهان مقولة "سيمون دي بوفوار".

"إن النساء يرهقن أنفسهن في مطاردة السراب والأوهـام ولكنهن يقفن في فزع على عتبة الحقيقة".

سناء صليحة

نوفمبر ١٩٩٦

مقدمة المؤلفة

في عام ١٩٨٥ انتهيت من مسرحية **أمي قالـت لا** فـي صورتها الأولى، وكنت حينذاك في الخامسة والعشرين مـن عمري، كان دافعي للكتابة أنني لم أصادف أي عمل مسرحي يتناول علاقة الأمهات ببناتهن، رغم أن تراثنـا المسـرحي يحفل بما يساوي مئات السنوات من المسرحيات التي تتناول العلاقة بين الآباء والأبناء والأمهات.. ويكفي أن نلاحـظ أن نساء شكسبير دائما بلا أمهات...!!

إنني أعتقد أن علاقة المرأة بأمها - ذلك النسيج الغريـب من الحب والغيرة الذي يحكم العلاقة بينهما - يترك بصمته المصيرية على شخصية وروح المرأة..

ولقد اخترت أن تقع أحداث المسرحية في هذا القرن الذي شهد تغيرا ملحوظًا في الفرصة المتاحة للمرأة باختلاف الأجيال، رغـم أن هذه المتغيرات لم تلمس جوهر رغبات المرأة أو تقلل الضغوط الملقاة على عاتقها، كذلك فقد أغفلت التسلسل الزمنـي، حيـث إن المسرحية لا تتعامل مع الذكريات ولكن مع الميراث العاطفي الذي يتدخل دائما في قراراتنا اليومية، فالطفل يظل دائما داخل أعمـاق

المرأة يصرخ مطالبا بما يرفض الكبار أن يسمعوه، لذلك لا يجب أن تقدم مشاهد الطفولة كنوع من الاضطراب النفسـي أو لتثيـر الضحك والسخرية، فهؤلاء الفتيات جادات وطيبات بغض النظـر عن رأي العامة..

وفي هذا المقام أود أن أعبر عن امتنان جيلـي للأجيـال السابقة من النساء. لقد جرت العادة أن ينظر للحركة النسائية كقضية تشغل خريجات الجامعة فيما بـين فتـرة العشـرين والثلاثين من أعمارهن، ولكني اكتسبت وعيي النسائي مـن ذلك النوع من النساء اللاتي يبذلن طاقتهن وأحيانًا حيـاتهن بالكامل من أجل الآخرين.. إن سلوك الأمهات لا يقل أثـرا على سياسات الحكومات أو الحروب في تحديد مصير الأمة، ومن هنا فإنني أعتبر مسرحيتي هذه مسرحية سياسـية وقـد كتبتها وفي ذهني أن تُعرض على خشبة مسرح رئيسي..

إنني أستمد القوة من الإحساس بأنني جزء من تيار كامل تشكله خمس وعشـرون كاتبـة مسـرحية ظهـرن خـلال الثمانينيات، أصواتهن متنوعة وتكنيكهن المسرحي مبتكـر، بما يحقق ازدهارا مسرحيا غير مسبوق في عمـر المسـرح المؤرخ منذ ألفي عام، ورغم هذا فإن وسائل الإعلام ترى أن

هذا العقد لم يقدم كُتابا مسرحيين جددا ولا مسرحيات لها قيمة على المستوى القومي.. وبالتالي فلم تظهر حتى الآن ولا مسرحية واحدة لكاتبة إنجليزية على خشبة المسرح القومي الملكي، علما بأن مسرحيات الكاتبات التي حالفها الحظ وعرضت في الرويال كورت خلال الثمانينيات حققت نجاحا حقيقيا..

إنني على ثقة أن عدد الكاتبات سيزداد لأننا بحاجة لهذه الأصوات الجديدة، وقد عرضت مسرحية **أمي قالت لا** في أوروبا وأمريكا واليابان وأستراليا كغيرها من الكثير من المسرحيات الجديدة التي كتبتها النساء..

لقد أمضيت ثلاث سنوات في إعادة كتابة هذه المسرحية، وأنا مدينة للمخرجة "بريجيت لارمور" لمساندتها لي فكريا ووجدانيا خلال تلك الفترة، بعد أن رفضت جماعة مسرح الكتابة الجديدة المخطوطة الأولى، فبعد أن قرأت برجيت لارمور النص وفهمت بالتحديد أبعاد محاولتي بدأنا العمل في ورشة "نورث وست" للتأليف المسرحي عام ١٩٨٦ ثم أخرجت برجيت العرض الأول للمسرحية في مسرح "كونتاكت" بمانشستر عام ٨٧، والحقيقة أنني مدينة لفرق الممثلين الذين قدموا العرض لأول مرة: "كين بالكسون" و

"كيرستون بكر" و "توني كـلارك" و "نـاتي إدوار" و "بيـل هيوز" و "بابرا بامبرتون"، فقد أسهمت تعليقاتهم وملاحظاتهم في بلورة العمل..

بعد ذلك قدمت المسرحية في مسرح "الرويال كورت" عام ١٩٨٩، ولا أنسى هنا أن أعبر عن امتناني لكل من "ميشيل أنتنيروف" و "جون ود لبانك" لمؤازرتهما لي أثنـاء إعـادة كتابة العمل، كذلك أقدم شكري "لنانسي كوين" و "ريك أليس" لتقديمها المسرحية في أمريكا واحتفائهما بي هناك.

وأخيرا، أود أن أؤكد أن هذه المسرحية ليست سيرة ذاتية، بل إنه من المؤكد أن علاقتـي الحميمـة بـأمي، وحوارنـا الصادق دائما، يرجع لهما الفضل في كتابة هذه المسرحية.. إن إهداء هذا العمل لأمي ولـ ـ "بريجيـت لارمـور" هـو اعتراف بأن الفضل الأول لظهور هذه المسرحية يرجع إلـى أمي وإلى موهبة "برجيـت لارمـور" الدراميـة وقـدراتها كمخرجة..

شارلوت كيتلي

أغسطس ١٩٩٠

الفصل الأول

المشهد الأول

(أرض فضاء تقصدها الفتيات للعب تدخل أربع فتيـات، كل واحدة منهن ترتدي ملابس تعبر عن جيلها.. يشـرعن في الغناء).

المجموعة: أمي قالت لا تلعبي

مع الفجر في الغابة

لو خالفتها ستقول

إنني بنت "وحشة".

لا تسمع الكلام (*).

روزي: روز **(تغني)** مم تُصنع الفتيات الصغيرات؟

(تتوجه بسؤالها لدوريس) شش..

درويس: من السكر و **(بصعوبة)** التوابل (* *).

مارجريت: و..

دوريس: **(مترددة)** و...؟!

مارجريت: كل الأشياء الجميلة.

دوريس: (تزوم رافضة أن تردد ذلك).

جاكي: (**بضيق من لا يستطيع التحمل أكثر من ذلك**) لنقتـل أمنا.

مارجريت: أم من؟!

دوريس: (**تقلدها**) أم من؟!

روزي: نعم أم من؟

جاكي: كل أمهاتنا لو أردتن.

روزي: من سيفعلها؟!

مارجريت: (**توجه الحديث لجاكي**) أتجرئين؟!

دوريس: تجرئين؟!

جاكي: كلنا سنفعلها..

مارجريت: إنه موعد تناولي للشاي.

روزي: كيف؟

جاكي: لا أعرف.. زيت مغلي..

درويس: (**تكرر**) أتجرئين؟!

مارجريت: اسكتي أيتها الصغيرة.

جاكي: أأقول لك شيئًا؟!

روزي: ماذا؟!

جاكي: عندي مدية، احتفظت بها لشيء خاص..

روزي: سرقتها من جيمي تاكر!!

جاكي: سنحضر حبلاً ونحمل مامي إلى قضبان القطار، عند فتحة السور، ويجب أن تأخذ طعنة في القلب..

روزي: لن نستطيع أن نفعل كل هذا (**برهة من الصمت**) ليس لدينا حبال كافية..

جاكي: فلنقم بالعمل وحدنا (**في لهجة من يحبك مؤامرة**) إنهن لسن من عصابتنا على أي حال، كما لا يمكن الاعتماد عليهن فلسن سوى أطفال.. يمكنهن قتل أمهاتهن عندما يكبرن..

مارجريت: افعليه بدلاً مني.. أنا لا أحب الدم..

جاكي: لوسي بيكر جرحت إصبعها في المدرسة.

مارجريت: ستمرض.

جاكي: الجزء العلوي فقط (**صمت**) مجرد قطعة متدلية.

دوريس: قطع.. قطوع.. قطاطيع..

روزي: (**تميل نحو دوريس**) هل تريدين أن نقتل أمك؟

مارجريت: إنها أصغر من أن تدرك..

جاكي: ليس لها أب. إذا قتلنا أمها ستصبح يتيمة وسنصـبح نحن مسئولين..

مارجريت: لا بأس بأمها.. لقد قدمت لنا عصـير الليمـون.. **(صمت)**.

روزي: ستدلهم علينا.. ونصبح خارجين على القانون.

جاكي: ابتعدي يا صغيرتي. **(دوريس تبكي..)**.

جاكي: اذهبي.. اذهبي إلى المنزل **(تدفع دوريـس بعيـدا)** الشاي؟! إنه موعد تناول الشاي؟!

الجميع: موعد تناول الشاي.. موعد تناول الشاي.. **(تنصرف دوريس)**.

جاكي: خنزيرة..

مارجريت: لن تبكي فعلاً إلا عندما ترين الدم.. لـن أنجـب أطفالاً..

روزي: ومن أين لك أن تعرفي ذلك؟

مارجريت: لن أتزوج.

روزي: **(تفكر في صمت)** حسنًا ومع ذلك فقد تُثمر..

مارجريت: ماذا؟!

روزي: البذرة. بذرة الطفل بداخلك..

مارجريت: لا يمكن!!.. هل يمكن؟!

(**جاكي مشغولة في ترتيب أغلفة الحلوى**).

روزي: ماذا تفعلين؟

جاكي: عرووووسة للسحر، وستحتاج لجزء مـن أظافرهـا وخصلة من شعرها وبعض من أشيائها الأخرى.

روزي: قد يطاردنا شبحها بعد الموت.

جاكي: أنت لا تعرفين شيئًا..

(**روزي مقهورة بينما مارجريت تتقدم لتنظر..**).

مارجريت: ما الذي تصنعينه؟

روزي: عروسة يا غبية.

جـاكي: سيكون مشهدا بالفعل.. سنستدعي الأرواح من وراء القبور..

مارجريت: نحن نفعل ذلك في المدرسة..

جاكي: حقًا؟!

مارجريـت: في أيام الجمعة.. نحضر بعض الزهور البريـة

الصفراء وننزع أوراقها ونعد سدا.. سدا (**تفشل في تذكر الاسم العلمـي للأجـزاء الداخليـة للزهـرة فتضيف)**... أجزاءها الداخلية.

جاكي: شش.. فلتمسك كل منا بيد الأخرى (**يطيعون**) كرروا ورائي ما أقوله..

مارجريت وروزي: ورائي.

(تنخفض الإضاءة قليلاً..).

جاكي: (**بصوت عميق**) نستدعي روح الجدة..

روزي ومارجريت: نستدعي روح الجدة.

جاكي: التي ماتت في مثل يوم الأربعاء الماضي منذ ثلاثـة سنوات وعاشت في توبكنهام.. آمين.

مارجريت وروزي: آمين.

(شبه إظلام).

مارجريت: بدأت تظلم..

روزي: ماذا يحدث الآن؟!

جاكي: (**بصوت عميق**) أنت يا من وراء القبر.. قـولي لنـا كيف نقتل الأم!

(شبه إظلام كامل) (صمت).

جاكي: قولي لنا من وراء القبر.. قولي لنا..

(مارجريت وروزي تلمحان شيئًا.. تصرخان وتجريان.. تظهر دوريس في أعلى خلفية خشبة المسرح فـي صـورة الجدة.. تتقدم نحوهم ببطء...).

جاكي: مامي!! مامي!! (**تجري وراء الأخريات**).

(دوريس تستمر في التقدم للأمام.. ترفع مـلاءة قديمـة تعود إلى أيام الحرب العالمية الثانية وكانت تغطـي شـيئًا ضخما بصورة تامة.. تكتشف أن هذا الشيء بيـانو كبيـر للأطفال.. مارجريت تجلس القرفصـاء وراء كومـة مـن الأغطية الموجودة أسفل البيانو فلا تراها دوريـس.. تبـدأ دوريس في إزالة التراب عن البيانو بينما تعلـو الإضـاءة ليبدأ المشهد الثاني.. تنطلق من الراديو أغنية..).

المشهد الثاني

(المكان "تشيدل هلم" فترة أعياد الميلاد عام ١٩٤٠، دوريس في الأربعين، مارجريت في التاسعة - المشهد يدور في حجرة أمامية ديكورها بسيط متقشف، حيث تنحصر مظاهر زينة الكريسماس في فازة بيضاء وزهور شمعية محلاة بشريط أحمر على بيانو الأطفال الضخم.

دوريس تزيل التراب عن البيانو بشغف.. من المذياع ينطلق صوت المطرب جورج فرومبي مغنيا أغنية "أحزان عامل المغسلة الصيني". أسفل البيانو فراش مطوي. دوريس تردد مقاطع الأغنية:

أووه مستر وو.. عيناه وقحتان تشتعلان.. آه لو رأيت كم ترتجفان وهو يكوي للسيدات)..

مارجريت: السراويل..

دوريس: مارجريت! مارجريت! أين أنت؟! **(تتجه نحو المذياع وتغلقه)** اظهري!

(مارجريت في الفراش أسفل البيانو، تحمل بين يديها دمية).

مارجريت: من كان هذا؟

دوريس: يجب أن أسمع الراديو فقد يصدر مســتر تشرشــل بيانًا.. إنه واجبي..

مارجريت: سراويل..

دوريس: مارجريت.. اظهري!

مارجريت: إنها سوكي.

(دوريس تدور حول البيانو).

مارجريت تغني.. في البداية يكون الصوت خافتًا).

سوكي خلعتها

مرة أخرى

مرة أخرى

سوكي خلعتها مرة أخرى.

(**تجذبها من ذراعها من أسفل البيانو)** شش.. اسكتي..

مرجريت: (**تربت على العروسة)** سوكي..

دوريس: قلت لك من قبل!

مارجريت: لقد آلمت ذراع سوكي! مزقتِ ثوبها!

دوريس: (**تهزها**) اسمعيني!

مارجريت: (**تحدث العروسة**) لا تبكي يـا سـوكي.. مـامي ستحتضنك.

دوريس: سأضطر لأن أخبر أباك..

مارجريت: (**صمت**)... آسفة.

دوريس: آسفة؟!

مارجريت: في غاية الأسف يا مامي..

دوريس: يا ماما..

مارجريت: (**صمت**) يا ماما...

دوريس: أتلفت ثوبك.. كويته للتو..

مارجريت: لم أفعل.. نعم فعلت.

دوريس: هل أديت تدريبك؟

مارجريت: (**في محاولة للكذب**) نعم أجزاء من شوبان وعشر ترنيمات لعيد الميلاد في غاية السهولة.

(دوريس تزيح نوتة الترنيمات عن البيانو وتضع نوتـة لموسيقى بتهوفن).

دوريس: كان يجـب أن تلعبـي بتهـوفن الآن، لا أغـاني

الأطفال. إن نفقات تعليمك..

مارجريت: لا تتخلصي منها!

دوريس: بالطبع لا.. سأرسلها لسوق سان مارك الخيـري. هيا يا مارجريت أسمعيني رقصة بتهوفن البطيئة من مقام صول كبير.. هل غسلت يديك؟!

(مارجريت تمد كفيها وتقلبهما لأعلى وأسفل...).

دوريس: برافو..

(مارجريت تجلس إلى البيانو وتبدأ في العـزف باضـطراب شديد.. تتمايل أثناء العزف).

دوريس: بحق السماء ماذا تفعلين يا مارجريت؟!

مارجريت: أتمايل من فرط لانفعال مثل السيدة السمينة فـي أوركسترا القاعة.

درويس: قللي الانفعال واحفظي المقطوعة من فضلك.

(مارجريت تعاود العزف.. صوت سـارينة غـارة مـن بعيد..تستمر في العزف.. دوريس تهز رأسها مع الإيقاع.. مارجريت تواصل العزف ولكنها تدريجيا تتعثر ويضـطرب عزفها).

دوريس: ذلك يكفي لهذا المساء يا مارجريت.. سنختبئ أسفل البيانو الآن.. أغلقي البيانو..

مارجريت: الجيران لديهم ساتر حقيق من النـوع المسـمى أندرسون.

دورين: (**باستياء**) ونحن كذلك الآن.. لقد ذهب والدك إلـى المستودع للحصول على واحد منها، لكنها نفدت في زحام فترة ما قبل الكريسماس..

(دوريس تضع البطاطين واللحاف وقربة المـاء السـاخن ووسادة مارجريت تعلق بجورب هدايا الكريسـماس الخاص بها على البيانو..).

دورين: ساعدي ماما في ترتيب الفراش.

مارجريت: خذي حذرك يا سوكي ها هي قنبلة كبيرة سمينة. أي ي ي ووو دا. دا. دا.

دوريس: مارجريت!

مارجريت: هل تبدو كقنبلة؟

دوريس: إنها وسادة.

مارجريت: أعرف.. أنا.. سوكي تعتقد...

(من بعيد أصوات هزيم الطائرات التي تستمر حتى نهاية المشهد).

س... سوكي تريد هي الأخرى جوربا لهدايا عيد الميلاد، إنها ليست.. شجاعة.

دوريس: البسي رداء النوم.

مارجريت: أين قناع الغاز الخاص بي؟

دوريس: هنا.. سأضعه بجانب الوسادة.

مارجريت: أين ستنامين أنت وأبي؟

دوريس: في البهو..

مارجريت: لماذا؟!

دوريس: أعتقد أن الدور الأرضي أكثر أمنًا..

مارجريت: لماذا؟

دوريس: (**تصمت برهة**) أحيانًا تهز القنابل المنازل قليلاً وتحدث ثقوبا في السقف.. لن يسقط عليك شيء هنا.

مارجريت: إلا البيانو.. أم جيليان وأبوها ينامان في فراش واحد.. الاثنين..

دوريس: (**بنبرة استنكار**) هل ستأوين إلى الفراش الآن؟

مارجريت: نعم (**تخفت الأضواء بينا تستمر مارجريت فـي الحديث وهي تدخل الفراش**) سـوكي..! (**تحتضـن العروسة بشدة**).

دوريس: سأغطيك هكذا.. سألف الأغطية حولك..

مارجريت: هل سيعرف بابا نويل أنني أسفل البيانو؟!

دوريس: أعتقد ذلك.. أترين يا مارجريت.. أنت الآن هديـة وأنا ألفك..

مارجريت: والديهم أيضا شجرة عيد الميلاد.. لماذا لا نحضر شجرة عليها شموع؟ ألا نستطيع؟

دوريس: كلا..

مارجريت: كلا؟!

دوريس: لا.. الشموع الرفيعة تذوب بسرعة وتلطخ الأثاث.. هذا بالإضافة إلى أن الشموع خطر..

مارجريت: هل يستطيع هتلر أن يراها؟

دوريس: من يدري؟

مارجريت: (**مبهورة**) هل يطير هتلر فوق منزلنا؟!

دوريس: هل رتلت صلواتك (**يخفت الضوء جدا الآن**).

مارجريت: لا.

دوريس: إذن تصبحين على خير (**تمضي**).

مارجريت: انتظري دقيقة (**دوريـس تتوقـف.. مارجريـت لا تدري كيف تجعلها تبكي إلى جوارها**) هل تتلاوان أنت وأبي صلوات (**صمت**) هل تفعلان؟!

دوريس: بابا يصلي.. أعتقد أن هذا يكفي كلينا.

مارجريت: وأنت؟!

دوريس: أنا أقول تصبحين على خير الآن.

مارجريت: هل سنكسب الحرب؟

دوريس: في حالة إذا ما التزمت الهدوء ونمـت..**(دوريـس تتجه إلى الباب).**

مارجريت: ماذا تقصدين؟ (**صمت**) جيليان تقـول إن بعـض مناطق مانشستر تحولت لكوم من التراب.. تقول إن الناس يدفنون تحت الأنقاض (**صمت**) ماما؟

دوريس: بابا سيصل حالاً.

مارجريت: (**تنادي**) ماما.. (**صمت**) مامي. (**صـمت**) مـاذا يحدث عندما نموت؟

دوريس: **(صمت طويل)** سأحضر لك بعـض الكاكـاو الآن **(تمضي.. صوت طائرة)**.

مارجريت: شش سوكي.. شش.. لا لن أحضـنك يجـب أن تنامي الآن وحدك.. أنت لست بحاجـة لأن تقبلـك أمك.. أنت في الثامنة من عمرك.

(إظلام.. تخرج مارجريت حاملة الفراش. جـاكي تأخـذ مكانها أسفل البيانو.. دوريس تعود وهي ترتدي فوق ثوبها أوفارول منقوشًا بصور الأزهار مما يستخدم عنـد العنايـة بالحدائق.. الإضاءة قوية، أصوات غناء الطيـور - نحـن الآن في أحد أيام شهر مايو ١٩٦١. جاكي في التاسعة من عمرها).

دوريس: جاكي؟ **(تنظر أسفل البيانو)** جاكي؟ مـاذا تفعلـين أسفل البيانو؟!

جاكي: أجرب.. مامي تقول إنك كنت تجعلينها تنـام أسـفل البيانو هنا أثناء الحرب العالمية الثانية بينمـا كنـت تستمعين للراديو.

دوريس: مارجريت تقول إنك تقرئين كتبا كثيرة.

جاكي: فقط لأنها لا تسمح لي بمشـاهدة التليفزيـون.. دادي

يسمح لي.. لماذا أسميتها مارجريت؟!

درويس: لأنها فتاتي الصغيرة.. أنت دائما طفلة أمك.. هكذا كانت أمي تقول..

جاكي: إنها أمي..

دوريس: وأنا أمها.

جاكي: ولكنها تناديك أمي وليس مامي، هناك فرق..

دورين: كيف؟

جاكي: هكذا!! (**صمت**) لن تقولي لها عن القدح الذي كسرته.

دوريس: لا قيمة له.. مجرد قدح رخيص.

جاكي: ماذا تقصدين؟

دوريس: إنه من أيام الحرب (**صمت**) سأقول لها.. إنك فتـاة رائعة (**صـمت**) والآن سـنذهب للحديقـة ونكسـر برطمانين من برطمانات المربى.

جاكي: لماذا؟

دوريس: هكذا تسير الأمور.. ثلاثة.. إذا كسرت شيئًا فمـن المؤكد أن يتبعه المزيد.

جاكي: هل هذا حقيقي؟

دوريس: هكذا يقولون.

جاكي: من هم؟ (**تتحسس البيانو**) لماذا لحوض الاسـتحمام أرجل؟.. هذا خشب قديم جدا.

دوريس: من عمر أجدادك.. كان أول شيء اشـتريناه بعـد زواجنا.

جاكي: نعم موضته قديمة إلى حد ما.

تدوريس: (**تصقل الخشب**) كلاسيكي.

جاكي: (**تفرك الزهور البيضاء التي توجد في فـازة علـى البيانو**) هل هي من البلاستيك؟

دوريس: لا. من الشمع.

جاكي: ألا تستطيعين شراء زهور من البلاستيك؟

دوريس: إنها عندي منذ سنوات طويلة.. منذ كانت أمك فتاة صغيرة.

جاكي: اشترينا مقاعد مطبخ جديدة بوسائد صفراء.

دوريس: (**بلهجة انتقاد**) نعم أمك تحب كل الأشياء الجديـدة المصنوعة من الفورمايكا.. أليس كذلك؟

جاكي: إذا سقط شيء منك أثناء الأكل، تسـتطيعين تنظيفـه

على الفور.. كل أثاثنـا جديـد.. مسـكينة جـدتي العجوز.. كل شيء هنا قديم.. أليس كذلك؟

دوريس: كان جديدا يوما ما **(صـمت.. جـاكي تفكـر فـي الكلمات).**

جاكي: أتعلمين؟

دوريس: ماذا؟

جاكي: أحب بيتك القديم هذا.

دوريس: (**سعيدة**) قولي لأمك..

جاكي: لماذا؟!

دوريس: قولي لها من أجلي..

جاكي: (**في تأمل**) وليس في بيتنا كرار يمكنك الاختبار فيه.

دوريس: سنصنع بعض الكعك لنقدمه لمارجريت مع الشـاي عندما تصل (**صمت**).

جاكي: لوسي باركر - زميلتي فـي الفصـل - تسـتطيع الاحتفاظ بطوق الهولا هوب دائرا حـول خصـرها لمائة لفة.

دوريس: بعد ذلك سأعلمك الصلاة بالفرنسية.

جاكي: لماذا؟!

دوريس: (**تمد يدها إليها**) هيا.. لنذهب ونبحث عـن مسـز بيتون.

(جاكي تحتضن دوريس. دوريس تتردد للحظة ثم تنحني وتضم جاكي).

دوريس: هيا.. قبلي جدتك العجوز إذن.

(جاكي تقبل دوريس. دوريس تقبل جاكي).

جاكي: هنا أفضل من البيت بكثير.

(تخرجان سويا).

(تخفت الإضاءة ثانية ـ تدخل دوريس مرة أخرى ولكن بدون الأوفارول. ترتدي نفس الملابس التي كانت ترتـديها في بداية المشهد، ولكنها وحدها بدون مارجريت هذه المرة، عروسة مارجريت ملقاة بالقرب من البيانو. دوريس تحمـل القدح الرخيص).

دوريس: مارجريت.. أحضرت لك بعض الكاكاو.

(صوت طائرات من بعيد) مارجريت؟ هل أنت نائمـة؟.. عزيزتي؟ (**صمت**) حسنًا، إذن ستضطرين لشربه باردا فـي

الصباح. (**ترى العروسة فتلتقطهـا.. وتتجـه للخـارج**) لا نستطيع التبذير في السكر والكاكاو..

(تخرج).

المشهد الثالث

(خرابة.. مكان سري لا يعرف طريقه أحد سوى الفتيات. قطتان تموآن مثل الأطفال.. تدخل روزي جريا.. تعثر على أغلفة الحلوى التي استخدمت في صنع عروسة السحر في المشهد السابق.. ترتبها بنفس النظام الذي اتبعته جـاكي.. تنظر إليها للحظة.. تلتقطها.. ثم تبعثرها ثانية وتنظر إليها وهي تتساقط على الأرض. تدخل دوريس جريا).

روزي: حلت اللعنة على ماما (**صمت**) ربما كنا السبب.

دوريس: (**صمت**) أية لعنة؟

روزي: اللعنة (*).

دوريس: أوه.. نعم وكيف عرفت أنها جاءتها؟

روزي: عرفت.

دوريس: كيف؟

روزي: عرفت وحسب.. ظلت ماما غاضـبة منـي طـوال الصباح..

دوريس: حسنًا؟

روزي: حسنًا إذا حلت عليك اللعنة؟ ألا تشعرين بالغضـب؟ (**صمت**) تماما مثلما حدث في تلك القصة.. قد تتحول لمخلوق آخر..

دوريس: هل ستموت؟

روزي: تلازمك اللعنة حتـى تصـبحي عجـوزا.. سـيدة عجوزا..

دوريس: وبعد ذلك؟

روزي: تزول.. (**صمت**) ثم تموتين..

دوريس: هل شكت إصابة وسال الدم؟

روزي: لا أعرف، ربما ولكني لم أر أي دم.

دوريس: أتقسمين أن اللعنة قد حلت عليها حقًا؟

روزي: أقسم بحياتي (**تخفـض صـوتها وتتحـدث بلهجـة المتآمرين**) كنا في مقهى "الإيه. بي. سي" (.A. B C) نتناول الشطائر.. قالت إنها ستذهب إلى الحمـام وعندما عادت قالت: يجب أن نذهب بسرعة.. لقـد جاءتني.. اللعنة. (**صمت**) فذهبت إلى الحمام لألقـي نظرة.. وبالفعل.. كانت هناك على الحائط.

دوريس: (**في هلع**) ماذا؟

روزي: رسم لقاب صغير.

(صمت ينم عن ذهول).

دوريس: أووه..

روزي: كنت قد لاحظت أنها تبدو مختلفة، بدا وجهها أكبـر سنًا.

(تستمتعان بنشوة اللحظة ورعبها. ثم بسرعة في صوت واحد).

روزي ودوريس: الأطباء والممرضات.

دوريس: سألعب دور الممرضة.

روزي: وأنا الطبيب (**صمت**) ولكن من سيمثل المريضة؟

دوريس: حسنًا سأكون المريضة وأنت الطبيب ثـم نتبـادل الأدوار.

روزي: أحضرت لوازم اللعب.

(روزي تفتح كيسا من البلاستيك بداخله أشـياء تحـدث خشخشة.. روزي تخرج فوطة صحية وتضعها على رأسها وتثبت طرفيها على أذنيها).

روزي: صباح الخير يا مسز برادلي.. مم تشـكين؟.. مـن فضلك اخلعي سروالك..

دوريس: لا ينبغي أن نفعل هذا..

روزي: من قال ذلك؟ هل أخبرت أحدا بما نفعل؟

دوريس: (**وقفة**) لا.

روزي: بل فعلت.

دوريس: أعتقد أن ماما تعرف ما نفعله.

روزي: وكيف أيتها الغبية؟

دوريس: (وقفة) تقول إنها تستطيع أن ترى ما بداخل رأسي.

روزي: سنضطر للتخيل إذن. (**تسعل**) من فضلك اسـتلقي.. طقس سيئ.. أليس كذلك؟ ليس متوقعا في هذا الوقت من العام.

(دوريس تتردد ثم تستلقي).

روزي: تؤ تؤ تؤ (**صوت يصدر بالفم علامة الاستياء**).

دوريس: هل الأمر بالغ السوء؟

روزي: علي أن أتحسسه أولاً لأعرف.

دوريس: (**تقفز واقفة**) إياك واللمس.

روزي: ولكنك تحبين ذلك.

دوريس: قد أُصاب بطفل.

روزي: أعتقد أن لديك واحدا بالفعل.

دوريس: إنها غلطة زوجي.. لا يمكن الثقة به.

روزي: كيف حال زوجك؟

دوريس: أوه.. "أخذ بعضه" ورحل.

روزي: أوه، إنني آسف لذلك.

دوريس: اما أنا فلا.. يجب أن تزورني لتناول الشاي معـا. هذا يكفي.. دورك.

(تتبادلان الأماكن.. دوريس ترتدي الفوطة الصحية بينما تستلقي روزي).

روزي: هل ستضطرين إلى الكشف بالسماعة؟

دوريس: أوه.. نعم.. حسنًا (**تأخذ قمعا من الكيس وتضـعه على معدة روزي وتستمع**).

روزي: هل تسمع شيئًا؟

دوريس: نعم، أعتقد أن المولود على وشك الخروج.

روزي: هل أبلغ زوجي؟

دوريس: ليس بعد.. لا داعي للقلق.

روزي: هل سأشعر بالألم؟

دوريس: مجرد دفعة.. تماما مثل قول "أُف" بشـدة. بعـدها يخرج البيبي.

روزي: هل تعرفين رداء النوم الأصفر الذي أخفيناه؟! مامـا كانت ترتديه عند ولادتي.. عليه بقعة حمراء داكنة.

دوريس: ليست حمراء بل بنية.

روزي: الدم يجف.. هذا بالإضافة لأنه قديم جدا.

دوريس: حقًا؟! هيا نلقي نظرة.

روزي: عندما يولد الطفل يقطعون الحبل السري.

دوريس: وما هذا؟

روزي: إنه يربط المولود بأمه.

دوريس: (**تفكر**) فلنلعب لعبة الأم والمولود غدا.

روزي: لا.. غدا نلعب الزواج.

دوريس: لماذا؟

روزي: يجب أن تتزوجي أولاً قبل الولادة.

المشهد الرابع

(ضاحية "رينز بارك" ـ لندن ـ مـايو ١٩٦٩، حديقـة منزل "كن" ومارجريت. جاكي في حوالي الثامنة عشرة من عمرها، ترتدي بنطلون جينز تتسع أرجلـه عنـد الركبـة وتزينه بادجات مخيطة.. مارجريت في الثامنة والثلاثـين، ترتدي مريلة منقوشة بالزهور وتحمل فوطة مطبخ صغيرة لتجفيف الأواني.. جاكي تحمل راديو ترانزسـتور صـغيرا تتعالى منه أغنية "كل ما أحتاج إليه هو الحب".. تتمدد على الحشائش بجوار شجرة الكرز بـالقرب مـن الأرجوحـة. مارجريت تتبعها وهي في قمة التوتر والاضطراب).

مارجريت: (**وهي تغلق جهاز الترانزسـتور**) كـان يجـب ألا أتركك تذهبي إلى هذه الحفلة في هامر سميث.

جاكي: من فضلك يا مامي اتركيني في حالي.

مارجريت: قلت إنكما ستمضيان الليلة عند أبويه.

جاكي: كنا معهم، ولم يمانعا أن ننام سويا ليس لكـل النـاس محاذرك وعقدك.

مارجريت: أوه.. إنك تجرحينني أحيانًا يا جاكي!

جاكي: تتكلمين الآن مثل جدتي.

مارجريت: ماذا سأقول لأبيك؟!

جاكي: إذا أردت أن أتصرف كفتاة ناضـجة، لا تعـامليني كطفلة.

مارجريت: (**صمت**) أنت لا تدركين ما قد يحدث.

جاكي: قد أقع في الحب.

مارجريت: (**محاولة تجاهل ما قالتـه**) قد يحدث الحمل مـن المرة الأولى..

جاكي: شكرا لأنك قلت لي الآن.

مارجريت: لو كنت قد جئت إلي وقلت..

جاكي: حسنًا، لقد قلت لك بالفعل إنني أريد أن أتحدث معـك ولكنك قلت لي "أجليها وأخبريني ونحن نتجول فـي متجر مستلزمات البساتين".

ألا تذكرين؟ (**وقفة قصيرة**) على أي الأحوال لن تسـتطيعي أن تفزعيني فأنا أتناول حبوب منع الحمل الآن.. هل هدأت؟!

مارجريت: منذ متى؟

جاكي: قبل أن أرحل مع نيل في منتصف الفصل الدراسي.. أنت تعرفين ذلك لأنك تقرئين مذكراتي.

مارجريت: (**تبدو للحظة كما لو أنها ضبطت متلبسة**) حسنًا، ليس عندي أدنى فكرة.. ربما تتعاطين المخدرات أو أي شيء (**تتمالك نفسها**) أعرف أنني سأبدو كعجوز حيزبون مثيرة للسخرية ولكن.. (**تتلعثم**) إنها خطوة خطيرة تلك التي اتخذتها.. إنك لا تدركين خطورتها.

جاكي: لم يكن أمرا ذا بال. استرحت أن حسم الأمر.. بعدها بكيت ثم ضحكت.. أظن أن الموضوع أفضـل مـع شخص تحبينه.

مارجريت: كان يمكنك أن تنتظري..

جاكي: لماذا؟

مارجريت: أنا اضطررت لهذا.

جاكي: هكذا.. هذا هو السـبب إذن (**تـنهض وتتجـه إلـى المنزل**).

مارجريت: وإذا أثر ذلك على مستواك الدراسي.

جاكي: (**تتوقف**) ماذا؟!

(صمت، ليس لدى مارجريت ما تقوله).

جاكي: عندي مكالمة تليفونية.. سأتصل بنيل (**تدخل المنزل**).

(مارجريت تتوقف.. تلتقط ترانزستور جاكي).

مارجريت: شخص ما أعجب بي.. دعاني للعشاء.. لم أكن قد تذوقت المحار أبدا مـن قبـل.. لـم يـدعني أرى الفاتورة.. كان ذلك النوع من الرجال.. كن واثقة أن "كن" سيعرف بمجرد أن يراني، كنت قـد صـففت شعري عند الحلاق وكنا يوم الأربعاء. لم يكن هـذا معتادا. (**وقفة**) حدث ذلك منذ عشر سنوات.

إظلام

المشهد الخامس

(منطقة تشيدل هلم، مانشستر ١٩٦١، المكان يبدو مثل المشهد الثاني، جاكي في التاسعة، مارجريت في الثلاثين، دوريس في العام الحادي والستين، الحديقة، صوت آلة جز الحشيش يأتي من الجهة اليمنى خارج خشبة المسرح، دوريس تدخل حاملة مقعدا وبساطًا، تضعهما على الحشيش وتنظر إلى اليمين).

دوريس: **(تنادي في الجهة اليمنى)** جاك.. جاك..

(صوت آلة جز الحشائش يتوقف).

دوريس: هل ستتناول الشاي معنا.. كن ومارجريت لن يمكثا طويلاً. **(وقفة.. يتعالى من جديد صوت آلة جز الحشائش.. تصيح)** حسنًا.. الأفضل أن تعمل في المنطقة الأمامية. لا أود أن تتناثر الحشائش المقطوعة في أقداح الشاي **(يتباعد صوت آلة جز الحشيش في الجهة اليمنى من المسرح)**.

دوريس: وإياك أن تقطع الأقاحي.

(**تعود للمنزل لتحضر صينية الشاي).**

(جاكي تدخل ممسكة بيد مارجريت لتقودها بينما تتبعهما دوريس).

جاكي: كنت أرسم شجرة الكمثرى.. انظري (**تطلع مارجريت على الرسم**).

مارجريت: أوه.. جميل يا حبيبتي..

جاكي: سمح لي جدي أن أستخدم ألوانه الحقيقية..

دوريس: إنه يعلمك.. أليس كذلك؟

جاكي: هل تعرفين أن الظلال أرجوانية؟

دوريس: هل حييت أمك كما ينبغي؟

جاكي: (**تحتضن مارجريت**) هل تشعرين بالتحسن؟

مارجريت: أشعر بالتحسن؟! (**تنظر لدوريس**) أمي..

جاكي: أين دادي؟

مارجريت: ذهب يمون السيارة.

دوريس: هذا المقعد من أجلك..

مارجريت: لا.. أبدا.

دوريس: لا أريد أكثر من البساط. (**تجلس**). اجلسي وتناولي بعض الشاي.

مارجريت: أوه.. لن نستطيع، قلت لـ كـن إننـا سـنكون مستعدين للرحيل بعد عودته.

دويس: حقيبتها معدة وموجودة بالبهو..

مارجريت: إذا بقينا لتناول الشاي فلن نصل إلا بعد موعد نوم جاكي بكثير.

جاكي: لا يهم..

دوريس: جاكي صنعت الكعك.. أليس كذلك يا عزيزتي؟

(صمت. مارجريت تستسلم للضغط وتجاس).

مارجريت: حسنًا يا أمي.. وماذا فعلت يا حبيبتي؟

جاكي: كسرت كوبـا ثـم كسـرنا وراءه برطمـانين مـن برطمانات المربى.

مارجريت: يا إلهي..

دوريس: جاكي كانت ملاكًا.

(جاكي تقدم الكعك).

دوريس: خذي الصفراء التي تعلوها الحلوى..

مارجريت: أرجو أن تكوني مستمرة في تناول أقراص الحديد يا عزيزتي.

دوريس: (**مارجريت تقاوم إغراء الرد عليها.. تلتفت إلـى جاكي لتتناول الكعك**).

مارجريت: شكرا..

(جاكي ترتل صلواتها بالفرنسية بسرعة شديدة).

جاكي: فليبارك الرب خبزنا اليومي.. آمين

Que Dieu benisse notre pain quotidian.) Amen) (وقفة).

مارجريت: حسنًا.. هذا رائع حقًا..

دوريس: هل أعجبتك بحيرة ويندرمير هل تجولتما بالسـيارة في المنطقة؟

مارجريت: أقمنا في فندق رائع.. أسـعاره مرتفعـة بعـض الشيء، لكن كِن أصر أن أكون مدللة.

جاكي: ما معنى مدللة؟

مارجريت: تحظى بالرعاية.

(وقفة.. جاكي تنظر لمارجريت التي تنظر بدورها إلـى دوريس).

دوريس: لا.. التدليل فيه قليل مـن الـدلع.. أن تُلبـى كـل

رغباتك كما حدث لك هنا.

مارجريت: أحضرت لك كعكة بالنعناع.

جاكي: شكر يا مارجريت..

مارجريت: (**تعطيها لجاكي**).

جاكي: وجدتي؟ لا يهمك يا جدتي سنتقاسمها. (**تقسم الكعكـة نصفين وتقدم نصفًا لدوريس ثم تعود للوحتها**).

دوريس: أرجو ألا تكونا قد أرهقتما نفسيكما بالمشي طويلاً

مارجريت: أمطرت كثيرا.. لحسن الحظ كان بهـو الفنـدق لطيفًا وبه مدفأة.. كانت فرصة للجلوس والتفكيـر.. أتعرفين يا أمي.. كنت أعتقد أنني لا أريده.. حتـى فقدته (**وقفة**).. أحمد ا أنك أخذت جـاكي لتمكـث معك ذلك الأسبوع.. ولكني افتقدتك يـا حبيبتـي.. (**جاكي تتجه نحو مارجريت وتحتضنها**).

جاكي: بكيت في الليلة الأولى.. ألم أفعل يا جدتي؟!

وعند الإفطار أعطاني جدي الحلقة القديمة التي كنت تضعين فيها فوطة الطعام الخاصة بك.

(**مارجريت تحتضنها**).

مارجريت: أوه جاكي.

جاكي: وعروستك أيضا.. إنها مثل طفل حقيقـي صـغير.. أصابع يديها وقدميها تشبه أصابع الطفل الرضـيع. جربت العناية بها.. أعطيتها حماما وحملتهـا إلـى الفراش لتنام فأغمضت عينيها..

مارجريت: (**تنهض**) لا.. لا.

جاكي: مامي..

(دوريس تمسك بجاكي وتضمها).

دوريس: جاكي!

جاكي: لم أكسرها، لم أكسر العروسة!

دوريس: (**تهدئها**) شش.. شش.

جاكي: إنك تؤلمينني (**تتملص منها وتجري فتصطدم بوعاء الألوان فينسكب على اللوحة**).

دوريس: لو لم تتعجلي الحصول على تلك الوظيفة المغريـة لما فقدت الجنين أبدا..

(مارجريت تشغل نفسها باللوحة).

مارجريت: ستجف في شـمس الغـروب.. سـتكون علـى

ما يرام.

دوريس: إنها لجاك.. أراد شيئًا يذكره بحفيدته..

(دوريس تأخذ اللوحة).

(إظلام).

المشهد السادس

(شقة متواضعة في المساكن الشعبية في منطقة موسايد بمانشستر - أوائل ديسمبر ١٩٧١ - جاكي في التاسعة عشرة والنصف روزي عمرها ثلاثة أشهر، مارجريت في الأربعين. الأرض مغطاة ببساط قديم لونه أحمر نحاسي، تتناثر فوقه طفايات سجائر وأقداح إلى جانب الراديو الترانزستور الخاص بجاكي في المشهد الرابع، لكنه يبدو الآن قديما متهالكًا. تنبعث منه موسيقى عالية، أعلى من بكاء الطفلة الرضيعة روزي التي ترمز إليها سلة من القش ممتلئة بالبطاطين تشبه السلة التي وضع فيها موسى. يرى المشاهد الممثلة التي تلعب دور روزي في المسرحية وهي تصدر صوت بكاء روزي الرضيعة. مع إضاءة المشهد تظهر جاكي وهي تضع ملابس طفل رضيع في حقيبة كبيرة من القماش).

الراديو: (صوت مقدم أغاني محطة مانشستر).. درجة الحرارة القصوى المتوقعة اليوم هي ثلاث درجات مئوية، لذا ننصح بارتداء الملابس الثقيلة. تمت إزالة

الجليد من معظم طرق المدينة وهي مفتوحة للمرور الآن، وإن كان الجليد والثلج ما زالا يغطيان بعـض المناطق في تلال "البينايين". ويتوقع سقوط المزيد من الجليد الليلة. وتناشد إدارة البوليس قائدي السـيارات المغادرين لمانشستر على طريق "نورث لاند" تجنب السرعة بسبب كثافة الجليد.. والآن مع شيء يذكركم بأيام الصيف.. (**نسمع أغنية: امرأة الحانة**).

جاكي: (**تسرع في تعبئة الملابس**) كنت أود أن تبدو الحقيبة مرتبة لطيفة لكنها لا تكاد تكفي لكل الملابس.

(روزي تصرخ باكية)

(جاكي تضرب الترانزستور بيدها فيتوقف).

جاكي: شش.. روزي.. أرجوك.

(روزي تبكي).

جاكي: (**بحدة**) كفي عن الصياح!

(روزي تتوقف عن البكاء فجأة).

جاكي: (**برقة**) شش شش.. إنك تصرخين طول الليل. مـن أين لك بكل تلك الطاقة!

(تنحني على السلة وتغني لحنًا مرتجلاً).

أرنبتي الجميلة

في سلتها الصغيرة..

(**روزي تصدر أصوات مناغاة).**

جاكي: نامي يا جميلتي.. شش..

(روزي تطلق صرخة باكية قصيرة عندما تتحرك جـاكي بعيدا لتكمل حزم الأمتعة).

(جاكي تنحني على روزي مرة أخرى).

جاكي: أرجوك ألا تبكي حين تصـل مـامي ودادي.. أيـن جوربك الأحمر (**تلتقطه وتؤرجحه فوق روزي التي تهدأ خلال ذلك**) انظري.. لقد وقع.. ابتسمي.. نعم.. هكذا.. غسلت حتى جوربك الأحمر.. غسـلت كـل شيء.. لا أريد أن تتصور مامي (**تحبس دموعهـا**) يجب أن أرتب المكان يا روزي. كل هذه المنافض! الممتلئة بأعقاب السجائر! إنها ساندرا وهيـو ليلـة الأمس.. إنهما لا يراعيان وجودك مطلقًا.. (**تلـتقط إحدى المنافض**).

(صوت مارجريت يأتي من الخارج).

مارجريت: هالو؟

جاكي: أوه اللعنة على هذه الفوضى.. تفضـلي (**مارجريـت تدخل).**

مارجريت: هالو جاكي.

جاكي: (**تتبنى لهجة تلقائية على الفور)** هاي مامي.

مارجريت: لم يكن الباب مغلقًا!

جاكي: كنت أتوقع حضورك.

مارجريت: هل كنت تدخنين؟!

جاكي: هل كانت الرحلة من لندن على ما يرام؟

مارجريت: موسايد تغيرت كثيرا كل هذه الأبراج..

جاكي: هل دادي.. إنه ليس..

مارجريت: إنه ينتظر بالسيارة.

جاكي: ألم يمانع؟.. آسفة لم أستطع مواجهة..

مارجريت: إنه يقدر.

(وقفة).

جاكي: ها هي روزي يا مامي.

مارجريت: لقد صعدت على السلم. (**وقفة**) المصعد معطـل (**وقفة**) درجات كثيرة.

جاكي: أرجوك.

مارجريت: (**وقفة طويلة**) ثلاثة أشهر.

جاكي: سلمي عليها.

مارجريت: (**تتجه إلى السلة**) جميلة.

جاكي: (**تتجه إلى السلة بدورها**) هل تظنين ذلك؟

مارجريت: كانت لك نفس الرموش المقوسة إلى أعلى.

جاكي: (**سعيدة**) حقًا؟!

مارجريت: هالو روزي (**تقبلها**).

جاكي: لا توقظيها..

مارجريت: لن أفعل طبعا..

جاكي: آسفة.. إنه فقط..

مارجريت: هل تتصورين أنني لا أعرف.

(روزي تصدر أصواتًا هادئة).

(بحنو شديد) شش...

(روزي تغمغم).

(جاكي تبتعد).

جاكي: حزمت كل أشيائها.. هنا.

(تعطي مارجريت الحقيبة) ببروناتها في هذا الكيس وبعـض اللبن المجفف الذي تبقى.

مارجريت: أوه لا داعي لذلك..

جاكي: حسنًا، وماذا أفعل به؟

(فترة صمت حرجة، مارجريت تفحص الملابس المعبـأة في الحقيقة).

مارجريت: ذهبت لأحد المتاجر المتخصصـة فـي لـوازم الأطفال واشتريت بعض القماطات الجديدة التي تُلقى بعد الاستعمال كما نصحتني.. اختلفت الأمور تمامـا عما كانت عليه وأنت رضيعة **(ترى حقيبة أخـرى، تذهب وتلتقطها)** وماذا عن هذه.. ا .. ألن تريد هذا الفستان الجميل الذي يزينه الأرنب..

جاكي: دعي هذه الأشياء.. لقد ضاقت عليها..

مارجريت: ما الذي دفعك إلى خوض التجربة وحـدك؟ دون معونة من أحد؟ ألم تصدقيني؟

جاكي: أردت أن أختبر صدق نظرياتنا (**وقفة**) ولكن مـا إن غادرت المستشفى حتى انفض الجميع من حولي كما لو كنت قد أصبت بمرض سري، لا أنجبت طفلة.

مارجريت: كان يجب أن يكون.. (**لا تجد الكلمة**) والد روزي هنا معك أنت في هذا المسكن وحدك..

جاكي: (**بهـدوء**) مامي لقد قلت لك.. إنه يزورنـا ويرسـل نقودا. لقد كان الاحتفاظ بها قراري.

مارجريـت: نعم، ولكنك كنت تجهلين ما يترتب علـى هـذا القرار.. لقد قلت لك.. قلت لك! ولا كلمة لمدة ثلاثة أشهر.. لا خبر منذ يوم ميلادها.. ثم مجرد مكالمـة بلا مقدمات.. فجأة تبخرت قدرتك على الاحتمال.

جاكي: كنت تعرفين أنني سأتصل يوما ما (**وقفة قصيرة**).

مارجريت: انظري إلى نفسك الآن.. منذ عام كان لديك كـل شيء وكنت متحمسة لمدرسـة الفنـون وللتعـرف بأصدقاء جدد وتمضين في طريقك بنجاح..

جاكي: (**بغضب**) سأعود. نعـم، سأحصـل علـى درجتـي

العلمية.. لن أفشل في كلا الأمرين.. سأفكر فيها في الليل فقط.. في ملمس وجنتها حين تلامس وجنتي.. ناعمة بها زغب مثل ثمرة المشمش.

(روزي تتنفس بصوت مسموع وهي نائمة).

جاكي: ستكون سعيدة.. أليس كذلك؟

مارجريت: بعد مكالمتك.. بعد أن طلبت أن.. صعد والـدك للطابق العلوي وأحضر مقعدك القديم العـالي مـن مخزن الأشياء القديمة المهملة (**وقفة**) قال سـتكونان مثل شقيقتين.. شقيقة جديدة صغيرة لـك.. (**تنحنـي على روزي**) ألست كذلك يا غالية؟

جاكي: (**مضطربة**) مامي.. يجب أن تعرف.. لا أسـتطيع أن أحضر لزيارتها وهي لا تعرف.. لا أستطيع!!

مارجريت: جاكي يا حبيبتي.. لن نعود لهذا مرة أخرى.. أنت تعرفين مثلي تماما أن هذا مستحيل.

جاكي: لا أصدقك!

مارجريت: عندما تكبر يمكنك أن تطلعيهـا علـى الحقيقـة. عندما تبلغ السادسة عشرة.

جاكي: سيكون الوقت قد فات.

(صمت).

جاكي: أعيدي إلي الحقيبة.

مارجريت: (**برفق**) ما زالت أمامك فرص كثيرة.

جاكي: آمال كبيرة.

مارجريت: نعم.

جاكي:.. آمالك أنت..

مارجريت: يجب عليك أن...

جاكي: لماذا (**تجذب الحقيبة**) لماذا لا أكتفي بروزي؟

مارجريت: يجب أن تكوني أفضـل منـي، وروزي أيضـا (**بهدوء**) وإلا.. ما قيمة كل ما فعلناه؟

جاكي: (**وقفة**) ها هي الحقيبة.. خذيها، (**تعطـي مارجريـت الحقيبة**) هل أخبرت جدي وجدتي؟

مارجريت: ليس بعد، سأتحدث معهما (**بلهجة متـرددة**) قـد تستطيعين الإقامة معهما حتى الكريسـماس، ريثمـا تعثرين على شقة جديدة. (**مارجريت تنحنـي علـى روزي**) يا حملي الصغير.. ما هذا؟

جاكي: يجب أن تمسك جوربا أحمر كي تنام.

مارجريت: احتفظي بواحد.

(جاكي تضع فردة الجورب في جيبها).

جاكي: حبيها من أجلي.. عوضيها عن حبي - (**مارجريت تلتقط السلة**).

جاكي: سأوصلك للسيارة..

مارجريت: لا تقلقي.. دادي هناك (**مارجريت تلتقط الحقائب وهي في طريقها نحو الباب**).

جاكي: سأحضر في الكريسماس وسأزورك كثيرا (**وقفة**) كلما استطعت دفع ثمن التذكرة إلى لندن.

(مارجريت تخرج).

(جاكي تصيح بعد خروج مارجريت)

جاكي:غني لها وقت الاستحمام.. خاصة أغنية الأرنب (**صمت. وقفة. تلتقط الحقيبة التي طلبت من مارجريت أن تتركها.. تبدأ في إخراج الملابس.. فجأة تبدو سعيدة بصورة هستيرية.. ترفع أمام عينيها الفستان ذا الأرنب**).

جاكي: كنت ترتدين هذا يوم ابتسمت لأول مرة. لم تتركـي شعري.. هل تذكرين (**تمسك قطعـة أخـرى**) وأول غطاء رأس.. (**برقة**) والشال.. لففتك فيه مثل الهدية يوم غادرنا المستشفى.. وحملتـك طـوال الطريـق ونحن في التاكسي عائدين معا إلى البيت.. (**وقفـة**) أسرارنا معا يا روزي سأرعاها (**وقفة**) لن تنـاديني أبدا بكلمـة "مـامي" (**صـمت.. تصـرخ**) روزي! عودي.. مامي.. مامي!

(إظلام.. يسمع في الظلام لبرهة صوت رضيع يبكي.. فـي ضوء خافت تظهر مارجريت وهي تهدهد الرضـيع بهذه الكلمات حتى يهدأ ويصدر أصواتًا كالهديل).

مارجريت: بس.. بس.. اهدئي.. شش.. هـل رأيـت حلمـا مزعجا يا غالية؟.. مامي هنا الآن.. مامي هنـا يـا روزي اهدئي.. هل رأيت حلما مزعجا يا جـاكي.. اهدئي شش.. شش.

(تعلو الإضاءة تمهيدا للمشهد التالي وتستدير مارجريت وتفرد الملاءة التي كانت تحملها ملفوفة على هيئـة طفـل رضيع).

المشهد السابع

(منطقة تشيدل هام. مانشستر ١٩٥١. يـوم مـن أيـام أغسطس الحارة، صوت هزيم الرعد. دوريس ترتدي جونلة بيج محتشمة، بينما ترتدي مارجريت بنطلونا للتزحلق على الجليد.. تقفان في الحديقة حيث تطويـان مـلاءة سـرير لفراش مفرد.

بقي على الحبل ملاءة واحدة وقميص لجاك.. الجـوارب متناثرة على الحشائش.. على مسافة أبعد جـورب أحمـر داكن. بقية الغسيل تم طيه بالفعل ووضع في سـلة جمـع الغسيل.. دوريس في الواحدة والخمسين ومارجريـت فـي العشرين).

دوريس: سأكون سعيدة إذا وجدوا حلاً للاقتصاد في أغطيـة الفراش.. هذه الملاءات نحلت تماما من الوسط.

(صوت طائرة خفيفة تحلق فوق الحديقة).

دوريس: (**تحملق في السماء**) إنها مـن السـلاح الجـوي الملكي، من قاعدة "بادجيت".

مارجريت: إنها من طراز ب ٢٩ وليست من طراز طائرات

لانكاستر.

دوريس: سـأكون سـعيدة عنـدما يرحلـون (**بـازدراء**).. أمريكان..

مارجيت: أمي! بدونهم ما استطعنا كسب الـ..

دوريس: هل ستساعديني في طـي هـذه المـلاءة أو أنـك ستمضين الظهيرة كلها تحملقـين فـي الطـائرات لتحددي نوعها.

مارجريت: (**تحملق في السماء**) قد تكون إحداها طائرة كن.

(تمسكان الملاءة من أطرافها وتشدانها).

دوريس: كيف إذًا كان سيحضر خلال نصف ساعة؟

(تهزان الملاءة بشدة).

مارجريت: لا أطيق الانتظار، لـو أننـي أغمـض عينـي وأفتحهما فأجد نفسي أعيش في لندن (**لا رد**) "كـن" يقول إن بإمكانه الحصول على عمل هنـاك.. إنـه ماهر جدا.

(تهزان الملاءة وتنفضانها لأعلى لتبدو أشبه ببالونه في الهواء).

مارجريت: إنني أحب يا أمي.

(صوت هزيم الرعد من بعيد.. دوريس تنظر إلى السماء).

دوريس: لن يستمر الحال هكذا.

(وقفة).

(**تجذبان الملاءة أطراف الملاءة المتقابلة على خط وتـر مائل).**

مارجريت: سأتعلم الآلة الكاتبة.. كن يقول إن هذا سيسـاعدنا إذا ما احتجنا إلى دخل إضافي (**تهزان الملاءة**) الآلة الكاتبة أكثر فائدة من كل الشهادات المدرسية الغبية.. سأحصل على عمل جاد حقيقي..

دوريس: وماذا تُعتبر إدارة المنزل (**تنظر للسماء**) كنت أعلم أن العاصفة آتية لا محالة.

مارجريت: لن أُهدر حياتي.

دوريس: (**غاضبة**) شكرا يا مارجريت (**تطويـان المـلاءة طوليا**) شدي (**مارجريت تجذب بشدة فينفلت طـرف الملاءة من يد دوريس وترتد كل منهما إلى الوراء بعيدا عن الأخرى**).

دوريس: لا حاجة بك لأن تنتزعيها من بين يدي.. انظـري لقد أفسدت ما فعلناه تماما.

مارجريت: حسنًا يمكنك التقاطها ثانية.. أليس كذلك (**وقفـة، دوريس تلتقط طرف الملاءة وتعاودان الطي..**) لـن يكون عندي أسرة وأطفال وكل هذه الأشياء.. قررت هذا أنا وكن.

دوريس: (**صوت هزيم الرعد من بعيد**) ستهب العاصفة فـي الحال، (**تطويان الملاءة طوليا**).

درويس: ما الذي يجعلك واثقة أنك ستروضين الطبيعة الأم.

(تقتربان حتى تكادا أن تتلامسا ثم تعطي مارجريت طرف الملاءة لدوريس).

مارجريت: (**بزهو**) توجد أشياء يمكـن الحصـول عليهـا.. سمعت عنها..

دوريس: أنا لا أتكلم عن ذلك (**تحمل الملاءة المطوية بـين ذراعيها كطفل**) إنني أتكلـم عـن الرغبـة.. عـن الاشتياق لذراع صغير يرتفع ليتعلق بك ويلتف حول عنقك (**تدفن وجههـا فـي المـلاءة ثـم تعطيهـا لمارجريت لتفعل نفس الشيء**) شمي رائحة زهـور

اللافندر. من حوض الزهور هناك.. ومن الصـعب محاربة الطبيعة الأم.. الأمر ليس مجـرد عـوازل مطاطية أو أشياء من هذا القبيل.

مارجريت: أذرع صـغيرة تتعلـق بـك.. هـذا بالضـبط ما لا أريده.. هذا هو الفرق بين جيلينا يا أمي.

دوريس: حسنًا إنني سعيدة أنك وجدت مخرجا. مارجريـت هل لك تفرزي جوارب أبيك.. من فضلك؟

(مارجريت تلتقط الجوارب من على الحشائش وتضع كل زوج على حدة).

مارجريت: ترغبين في صورة جميلة لألبوم العائلـة ألـيس كذلك؟ دليل.. لتعرضيه على الجيران.. حسنًا ولكني سأكون مختلفة.. النساء فعلن الكثير خلال الحـرب ولن يوقفنا الآن شيء.

دوريس: ها!

مارجريت: تظنين أنني أنانية.. أليس كذلك؟

دوريس: أحسست ببضع قطرات مطر (**وقفـة**) مـا الـذي يجعلك تظنين أنني أردت أطفالاً؟

مارجريت: أمي!

دوريس: أنا أيضا، يوما ما كان عندي عمل.. أعرف أنني كنت مجرد مدرسة ولكن.. (**تتوقف لتمنع نفسها من الاسترسال**) توجد فردة جورب بني هناك على الحشائش (**وقفة في لهجة تحذير إلى مارجريت**) بالطبع ليس عند بابا أدنى فكرة عن هذا. لا يستطيع أحد.. أن يقول له شيئًا مثل هذا (**وقفة**).. لم يكن هناك خيار آخر حينذاك وبالتالي فلم أعرف أبدا إذا كانت حاجتي.. لأن أحبه، إذا فهمت ما أعنيه.. أم أنها كانت رغبته لإنجاب ابن (**وقفة طويلة.. دوريس تنحني وتلتقط الجورب**) إنه يحب ألوانًا بشعة.. لم أكن لاختار هذا.. أحمر قانيا!! ليس ذوقي على الإطلاق.

(**وقفة**).

مارجريت: الحديقة جميلة دائما يا أمي.. هل تسمحين أن آخذ معي للندن واحدة من شتلات الجيرانيوم..

دوريس: أوه مارجريت.. لماذا يجب أن تعيشا في لندن؟ (**صوت بوق سيارة متكرر**) أوه أتمنى أن يكف الناس

عن هذا.. إنهم يفسدون المنطقة.

مارجريت: إنه كن! لقد اشترى سيارة من طـراز "أوسـتن هيلي" لها سقف مطوي.. يجب أن تأتي لتشاهديها.. طلبت منه أن يطلق البوق كي أدخل سيارة أبي إلـى الجراج ليترك كن سيارته مكانها، عندي كثير مـن الصناديق التي يجب أن أضعها في حقيبة السيارة..

دوريس: وماذا عن جارنا اللطيف جراهـام.. وكـل تلـك النزهات التي صحبك فيها لحدائق "بيلفير" الرائعة؟

مارجريت: أعرف يا أمي.. ولكني لن أكون زوجة لطبيـب أسنان يعيش في مانشستر.

دوريس: لعلك لا تعلمين أن جاك طلب الإذن من أمي قبـل أن يجري بيننا أي حديث عن الزواج.

مارجريت: وهل ما زلت تحتفظين بباقة الزهور التي قـدمها لك حين عرض عليك الزواج؟

دوريس: إنه يتقهقر بالسيارة داخل حوض الأقاحي.

مارجريت: إنه لا يفعل شيئًا من هذا.

دوريس: بل يفعل.

مارجريت: لا إنه يركن السيارة فقط..

دوريس: طريقة غريبة للركن!!

مارجريت: رد فعل طبيعي ومتوقع في حالتك فأنـت.. إنـك تعتقد أن كل الأمريكيين سـوقيون، استعراضـيون يرتدون قمصانًا بمربعات فاقعة اللـون ويمضـغون اللبان، يريدون الزواج من الإنجليزيات.. إنك بالفعل متحيزة.

دوريس: مارجريت.. كفى (**وقفة**) إنه سيتزوج فتاة إنجليزية رغم كل شيء، أليس كذلك؟

مارجريت: أوه يا أمي.. لا تنظـري إلـى هكـذا وشـفتاك مزمومتان.

(تنسحب مارجريت، دوريس تطـوي المـلاءة الباقيـة وتضعها في السلة.. أثناء ذلك تقول..).

دوريس: حسنًا.. لقد فات وقت التراجع الآن.. هذه الملاءات وطبعا كنت أعرف أن هذا الصيف الجميل لن يستمر (**وقفة**) يجب أن تستخدم أفضل أدوات الشاي لـدينا في هذه المناسبة (**هزيم الرعد أصبح أقرب وأعلـى صوتًا**) سنحتاج لملاءات جديدة.. هذه الملاءات بليت

وأكل عليها الدهر وشرب، شيء قديم وآخر جديـد..
هكذا يقولون (**دوريس تلتقط الغسيل وتتجه للمنـزل يدوي الرعد فوق رأسها مباشـرة.. تقـع السـلة وتتناثر محتوياتها في أنحاء المكان. بعدها يسـمع صوت المطر المنهمر على أوراق الشجر.. دوريس تتأمل الغسيل المتناثر حولها.. يشتد انهمار المطر. تخفت الإضاءة. إظلام**).

المشهد الثامن

(الأرض الفضاء. روزي تقفز وتغني).

جورجي

بورجي

بودنج

وفطير

يبوس

البنات،

يبكوا

كثيرا

لما

البنات

تخرج

للعب (*).

(جاكي تجري وإحـدى يـديها وراء ظهرهـا.. روزي تتوقف).

جاكي: ذهبت إلى عرين الأولاد.

روزي: قلت إنك لن تفعلي.

جاكي: لفترة قصيرة فقط.

روزي: أنت مطرودة من الشلة.

جاكي: استعدت المدية.

روزي: لا أصدقك.

(جاكي تظهر لها المدية من وراء ظهرها).

جاكي: ها هي.

روزي: لا يهمني.

جاكي: قبلت ولدا.

روزي: لا!!

جاكي: نعم.

روزي: وكيف كانت القبلة؟

جاكي: أعتقد أنني أحب.

روزي: كيف عرفت؟

جاكي: لأن هذا الولد جعلني أبكي.. أبي يجعل أمـي تبكـي

وتقول لأنها تحبه (**تفتح حد المدية**) الآن يمكننـا أن نؤدي القسم.

روزي: (**تتراجع**) فات الوقت.. أغلب الظن أنـك التقطـت بذرته الآن وستكبر وتكبر حتى تملؤك.

جاكي: ولكنك ما زلت أعز صديقاتي.

روزي: لا تتحدثي معي عن أعز الأصدقاء لأنني لن ألعـب معك أبدا بعد الآن.

جاكي: القبلات ليست في جمال الصداقة.

روزي: لماذا فعلتها إذن؟!

جاكي: لأستعيد المدية..

روزي: (**وقفة**) لم يكن هناك داع لتقبيل غلام.. كان بإمكانك أن تعطيه بعض قطع اللبان.

جاكي: فعلت ولكنه أراد القبلات أيضا (**وقفة.. جاكي ترفـع حد المدية لأعلى**) قالوا إنني جبانة.

روزي: هكذا أنت بالفعل.

(جاكي ترفع الإبهام وبشكل أشبه بالطقوس تجرح طرفه بالمدية ثم تتأمل الجرح).

جاكي: إنني أنزف.

روزي: هل أفعل ذلك بدوري؟

جاكي: نعم.

(روزي تأخذ المدية وتجرح إبهامها).

أنا مستعدة..

(**تقفان في مواجهة بعضهما البعض وتلصقان الإبهامين وترددان).**

روزي: الصدق أمانة

جاكي: الأمانة حقيقة

احفظ عهدك

سأحفظك.

(**تتراجعان وتضع كل منهما إبهامها في الفـم، جـاكي تضع المدية جانبا).**

الآن لن تستطيعي أن تكذبي علي أبدا (**وقفـة**) هـل يمكنك التنبؤ بالمستقبل؟

جاكي: (**خائفة**) قليلاً.

روزي: هل تقرئين طالعي؟

جاكي: (**وقفة**) المكتوب عليك سيحدث علـى أي الأحـوال.
مامي تقول لا تستبقي الأحداث، ولا تعبري الجسور
قبل أن تصلي إليها.

روزي: هل هذه تعويذة؟

جاكي: لا أعرف.. إنها فقط تقولها.

روزي: في الليل؟

جاكي: سمعتها تقولها لدادي في الجراج.

(وقفة تتبادلان النظرات).

روزي وجاكي: لا تعبري الجسور!

روزي: مؤكد أنها تعويذة.

(إظلام).

المشهد التاسع

(محادثة تليفونية في أوائل ديسمبر ٧١، في وقت متأخر من نفس يوم المشهد السادس).

مارجريت في رينز بارك فـي لنـدن. إنهـا الآن فـي الأربعين. دوريس في تشـيدل هلـم عمرهـا ٧١ عامـا.. مارجريت ترتدي ملابس المشهد السادس وبجانبها السـلة الخوصية).

دوريس: هالو؟

مارجريت: هالو؟

دوريس: مارجريت؟

مارجريت: أمي؟ أوه.. كنت على وشك الاتصال بك.. إنهـا ليست السادسة بعد.. أليس كذلك؟

دوريس: بعدها بدقيقتين.. نشرة الأخبار بدأت..

مارجريت: أوه يا إلهي.. إنني آسفة.. كنت مشغولة.. أرعى **(صوت بكاء روزي عن بعد)**. كِن.

دوريس: هل عاوده المرض ثانية؟

مارجريت: أوه لا لا.. حسنًا مجرد نزلة برد خفيفة.. خفيفـة جدا..

دوريس: صوتك لا يدل أنك بخير.

مارجريت: إنني بخير.

دوريس: إنك لا تعتنين بنفسك يا عزيزتي..

مارجريت: (**وقفة**) أمي لماذا اتصلت بي؟

دوريس: أوه.. فقط لأطمئن عليك.

مارجريت: كيف عرفت؟

دوريس: (**في لهجة تقريرية**) عرفت ماذا يا عزيزتي؟

(في نفس الوقت يرتفع صوت بكاء روزي مـن بعيـد.. مارجريت تضع يدها على بوق سماعة التليفـون وتتمالـك نفسها).

مارجريت: كيف حال أبي؟

دوريس: (**وقفة**) ما زلنا ننتظر زيارة من جاكي.

مارجريت: إنها.. متى كانت آخر مرة زارتكما.

دوريس: حسنًا.. منذ حوالي عام..

مارجريت: لم أرها إلا لماما.

دوريس: ربما كانت مشغولة بدراستها.

مارجيت: أوه نعم.. للغاية.

دوريس: كل ما في الأمر أننا تصورنا أنا ووالدك أنهـا قـد تزورنا بما أنها بمانشستر الآن.. إنها لم تنتقل مـن مانشستر أليس كذلك؟

مارجريت: حسنًا.. نعم.. لست متأكدة.

دوريس: كان عيد ميلاد جاك في الأسبوع الماضي.

مارجريت: ألم تصلكما الكروت؟

دوريس: نعم كانت جميلة جدا (**وقفة**) ولكنه اعتاد أن يتلقـى كرتًا مرسوما باليد من جاكي.

مارجريت: حسنًا.. أنت تعرفين ما يحدث.. يجب أن تتمـرد وهي في سن المراهقة..

دوريس: ماذا؟

مارجريت: المراجعة.. يجب أن تراجع المواد لامتحاناتها.

دوريس: لقد فكرنا في أن نذهب لزيارتها..

مارجريت: أوه لا.. لا أنصحكما بهذا.. ليس الآن.. إنها تعيد

طلاء الشقة.. ما زالت ترتب شقتها الجديدة.

دوريس: كان المفروض أن تخبرنا.. لدي الكثير من الأثاث غير المستعمل.. لم أعد بحاجة إليه.

مارجريت: كيف حال أبي؟

دوريس: أوه. يزحف.. يدب ببطء.. لا يستطيع بـالطبع أن يتحكم في يديه الآن.. كانت مأساة وهو يحاول توقيع وصيته.

مارجريت: أخبرتني بهذا من قبل.

دوريس: وبالتالي فقد بعت أدوات رسمه وبعضا من حمالات اللوحات كانت عنده منذ أن تزوجنا..

مارجريت: أمي؟ لماذا لم تقولي لي؟ هل تخلصت من فُـرش الرسم المصنوعة من وبر السمور؟!

دوريس: (**وقفة**) لا.. جاك يريد أن يعطيها لجاكي (**وقفـة**) لقد قلت له بالطبع إنني لا أعتقد أنها ستحتاجها بعـد أن التحقت بالمعهد الفني، ولكنه يعلق عليهـا آمـالاً كبيرة كما تعلمين..

مارجريت: أود أن تأتيا لزيارتنا..

دوريس: سنحضر في الكريسماس أم أنك لا ترغبين فـي أن تأتي هذا العام؟

مارجريت: بالطبع أرغب يا أمي! لكني تصورت أنه ربمـا استطعت.. في الأسبوع بعد القادم.

دوريس: ماذا حدث؟

مارجريت: لا أستطيع أن أشرح لك على التليفون.

دوريس: هل تخفي شيئًا عنا؟

مارجريت: لا.

دوريس: أخبار طيبة أم سيئة يا عزيزتي؟

مارجريت: ماذا؟ أوه (**وقفة طويلة**) طيبة (**صوت بكاء روزي من بعيد**) جدا.

دوريس: إنه ليس موضوع الأريكة التـي كنـت تتحـدثين عنها؟!

مارجريت: لا.. إنه..

دوريس: حسنًا، انتهت الدقيقتان يا حبيبتي.. سأنهي المكالمة الآن.

مارجريت: لا بأس.

دوريس: سيفرح بابا عندما يعرف.

مارجريت: ماذا؟

دوريس: موضوع جاكي.

مارجريت: ماذا؟!

دوريس: استعدادها للامتحان.. أقول لك تصبحين على خير الآن.

مارجريت: تصبحين على خير (**الخط ينقطع قبـل أن تـرد**) جاكي ما الذي تفعلينه بي؟

(إظلام على مارجريت ودوريس).

المشهد العاشر

(حديقة منزل كن ومارجريت في رينز بارك بلندن. يسمع رنين أجراس عربة الآيس كريم عن بعد.. نحن في سبتمبر ١٩٧٩. وروزي في الثامنة. جاكي في السابعة والعشرين. مارجريت في الثامنة والأربعين.. شجرة الكرز نمت، وتوجد نفس الأرجوحة التي رأيناها في المشهد الرابع. إنـه عيـد ميلاد روزي الثامن. تدخل روزي وهي تحمل ملعقة قديمـة ودمية مارجريت ـ سوكي ـ التي كانت تحملها في المشهد الثاني.. الدمية التي تبدو في شكل رضيع فقدت الآن معظم خصلات شعرها فلم يبق إلا خصلات قليلة مشعثة).

روزي: عيد ميلادي اليوم ومع ذلك فلا شيء يسـير علـى ما يرام، سأدفنك الآن يا سوكي.. ثماني سنوات عمر طويل لعروسة. أريد تي شيرت" عليه صورة فريـق سكس بيستول (**المسدسات الجنسـية**) الغنـائي.. لا أمل في هذا طبعا إلا إذا أحضرت لي جاكي واحدا.. سوكي.. لو لم تكوني دمية أمي لكنت دفنتـك منـذ سنوات وسنوات.. لكن لم يعد يهمني الآن أن تراني

أمي أفعل ذلك (**تصنع حفرة في حـوض النباتـات**) سوكي اسم غبي.. حتى تقطيع شعرك لم يجعلك مثل مطربي "الروك" أراهن أن أمـي كانـت تحتضـنك وتدللك.. وكل هذا الهراء.. ألم تفعل؟! أما أنـا فـلا أحتضن أحدا إلا حين أريد أنا ذلك، ولا أحتضن كل من يزورنا لمجرد أنهم ضيوف (**ترفع الدميـة إلـى مستوى وجهها وتحدثها**) عندما أريد، أحتضن بقوة أكثر من أي شخص في العالم (**وقفة**) إننـي أدخـر أحضاني. (**وقفة... تحفر.. تهبط يـدها بالعروسـة نحو الحفرة ولكنها ترفعها مـرة أخـرى وتقربهـا لوجهها**) أتعلمين؟ كنت أنوي أن أتبرع بك لمعرض اللعب في المدرسة الأمهـات يتبـرعن بأطفـالهن أحيانًا.. إنهن يفعلن (**وقفة.. تضع الدمية في الحفرة ببطء**) كفّي عن البكاء.. هكذا.. أترين؟ سأضعك في هذا التابوت.. الناس تدفن في توابيت. (**تهيل التراب على الدمية**) ستصل جاكي بعد قليل. إنها لا تبكـي أبدا، لا أحد في المدرسة عنده أخت كبيـرة مثلهـا، أستطيع بسهولة أن أهرب مع جاكي وأعيش معهـا

وحينئذ ستأسفين يا سوكي، وكـذلك مامـا. (**فجـأة يشرق وجهها وكأنها تشعر براحة عميقـة**) والآن سأرسم شجرة الكرز لجاكي.

(روزي تستلقي على العشب وترسم.. تدخل جاكي حاملة كعكة عيد ميلاد كبيرة وشموع).

جاكي: سنة حلوة يا جميلة!.. روزي؟

روزي: لماذا أشتري واحدة.. ماما تصنع لـي كعكـة فـي العادة.

جاكي: شكرا.

روزي: أقصد أنها لا تبدو جميلة كهذه.. ماما دائما تصـنعها بالشيكولاته لأنها تظن أنني أحبها.

جاكي: لماذا لا تقولي لها؟

روزي: أوه أنت تعرفين ماما.. إنها لا تسمع لك أبدا.. أظـن أنها تستمتع بعمل كعكات عيد الميلاد.. حتى في عيد ميلاد دادي تصنع واحدة..

جاكي: هيا نشعل الشموع.

روزي: ألا ننتظر ماما؟!

جاكي: أوه.. أجل.

روزي: (**وقفة**) هل فيها مشروب كحولي؟

جاكي: بعض "الروم".. قليلاً.

روزي: ماما ودادي لا يشربان أي شيء مثير، هل تعـرفين تلك الزجاجة العجيبة الشكل التي أحضرتها لهما من المكسيك؟! إنها ما زالت في الدولاب.

جاكي: حسنًا، لقد أحضرت لماما في هذه المرة بعض الدانتيل اليوناني.. شيء لن تشتريه لنفسها..

روزي: إنها في غاية البخل.. أتعرفين أنها ترفض أن تشتري لي "تي شيرت" عليه صورة فريق سـكس بيسـتول الغنائي وتقول "لا يا عزيزتي فمـا زالـت أثـواب الصيف الماضي على مقاسك" وتتصور أنني أجـرؤ أن يراني الناس بها.

(مارجريت تدخل حاملة صينية).

مارجريت: ماذا تقـولين يـا عزيزتـي؟ والآن مشـروبات الاحتفال!! متى كنت هنا آخر مرة يا جاكي؟

جاكي: (**وقفة**) لا أدري.. أشعلي الشموع يا روزي.

روزي: (**وهي تشعل الشموع**) منذ سنة.. وأربعة أشهر.

مارجريت: فكرت في أن نتناول شيئًا من مشروب "التـاكيلا" الذي أحضرته يا جاكي. نحن نحتفظ به للمناسبات.

جاكي: (**موجهة الحديث لروزي**) أرأيت؟!

روزي: وأنا أيضا؟!

مارجريت: قليلاً منه.

(وقفة. الثلاثة يراقبن الشموع).

مارجريت: رائعة.

جاكي: كنت أتمنى..

مارجريت: (**مقاطعة**) أطفئي الشموع.

روزي: أعتقد أن جاكي تريد..

مارجريت: الآن يا حبيبتي قبل أن تـذوب.. (**روزي تتـردد للحظة**).

مارجريت: أطفئي الشموع.

روزي: (**تطفئ الشمع**) انطفأت!! (**صمت**) سأقطعها أنا إذن.. مؤكد أنها كلفت جاكي مبلغًا وقدره.

روزي: لا أريد شيئًا منها الآن (**تقف**).

جاكي: لا تذهبي.. ما هذا يا روزي الحبيبة؟

روزي: لا تنظري. أنا لا أستطيع أن أرسم مثلك..

جاكي: إنه رسم جميل يا روزي.

روزي: لا.. الشمس تسيل على العشب.

جاكي: يمكن اعتباره رسما تجريديا.. خطوط تلتف في دوائر كالدوامات.

روزي: لا تكوني غبية! إنها مجرد "شخبطة"، وأنت نفسك تعرفين ذلك.

جاكي: هل يمكن أن أحتفظ به؟!

روزي: (**تختطفه**) إنه لماما.. ها هو يا ماما (**تعطيه لها**) ليس كما كان ينبغي.

مارجريت: إنه جميل.. أشكرك يا قطتي (**هي وروزي تشعران بالحرج**) اعتذري لجاكي.

روزي: آسفة يا جاكي.

(جاكي تراقبها بتركيز).

مارجريت: (**تنظر للرسم**) أين نضعه؟ إن حوائط المطبخ مزدحمة.

روزي: على الثلاجة.

مارجريت: (**ضاحكة**) اجري وعلقيه قبل أن يجلس عليه أحد، كما فعل دادي من قبـل.. (**روزي تخـرج.. فتـرة صمت ينم عن حرج**).

مارجريت: كيف الأحوال في مانشستر؟

جاكي: على ما يرام.

مارجريت: تعملين كثيرا؟!

جاكي: نعم (**صمت متوتر**).

مارجريت: أنا أيضا حصلت على عمل يستغرق مني اليـوم بطوله.

جاكي: (**بسعادة**) جميل.. آمل أن أفتتح صالة عرض خاصة خلال عامين.. مع سايمون.. إذا عثرنا علـى مـن يساعدنا بالمال.

مارجريت: أوه.. لقد أعجبني سايمون.

جاكي: لقد انفصلنا..

مارجريت: (**برفق**) من الأفضل يا جاكي أن تجدي شخصا.. أعرف أنك ستكرهينني لأنني أقول لك ذلك، ولكنـك

ستشعرين بالوحدة عندما..

جاكي: مامي (**تتوقف**).. سايمون كان يريد أطفالاً.. حاولـت أن أصدق أنه يمكنني أن أبدأ من جديـد.. غبـاء... كنت أحلم ببرزوي طوال الوقت..

(لحظة صمت).

روزي: (**تنادي**) ماما.. أين مادة اللصق؟

مارجريت: (**ترد بصوت عال**) في الدولاب مع الأكياس.

روزي: (**صائحة**) حسنًا.. وجدتها.

جاكي: إنها لا تحتاجني، أليس كذلك؟

مارجريت: لا.

(روزي تدخل جريا).

روزي: لا ماذا؟

مارجريت: لا.. لا يصح أن تركبي دراجتك علـى الطريـق الرئيسي..

روزي: ولكني أفعل.. أنا وزو تيلور كدنا أن نصطدم.. كنـا مندفعتين بالدراجات..

جاكي: لا يصح.. لا يصح أن تفعلي هذا أبدا.. أبدا.. آسـفة

يا روزي.. لم أقصد أن أصرخ فيك..

(روزي تجري للخارج.. صمت).

جاكي: أخاف أن يصدمها شـيء أو أن تمـرض أو تضـل الطريق أو أن يهاجمها أحد وأنا لست معها..

مارجريت: وأنا أقلق عليك.

جاكي: حتى الآن؟!

مارجريت: عادة الأمهات؟!

(جاكي تعطي مارجريت لفافة ملفوفة بعناية).

جاكي: تفضلي..

مارجريت: هدية!! لي أنا؟! (**تفض اللفافة**).

جاكي: إنه دانتيل...

(مارجريت تقلبه بين يديها).

مارجريت:أين كنت هذه المرة؟ في اليونان؟!

(سارحة) أحاول أن أتخيلك في هذه الرحلات.. وحدك، دون أن تفكري في أي شخص آخر!

جاكي: إنه من أحد الأديرة في الجزيرة، الراهبات يستخدمن هذا الطراز منذ آلاف السنين.

مارجريت: أشكرك يا عزيزتي.

جاكي: (**وقفة قصيرة**) مامي.. لقد حصلت على زيـادة فـي مرتبي.. الدراجات الجديدة غالية.. أريد أن أعطيـك شيئًا..

مارجريت: كيف تجرئين؟ هذه ليست إحدى صفقاتك الفنيـة! (**تخطف الشيك وتمزقه**).

(روزي تدخل عدوا).

روزي: ماذا حدث يا ماما؟! (**تحتضـن مارجريـت وتنظـر لجاكي**) إنني أكرهك (**تتعلق بمارجريت**) ماما أريـد أن أريك أين وضعت لوحتي..

مارجريت: (**تقول لروزي بينما تمضـيان لـداخل المنـزل**) لا تقلقي يا حبيبتي..

(جاكي تظل جالسة للحظة.. ترى الملعقة القديمة علـى الأرض.. تتجه نحو شجرة الكرز وتستخرج الدميـة التـي دفنتها روزي.. تزيل عنها الأتربة.. الدمية الآن عاريـة إلا من فردة جورب أحمر.. جاكي تخرج مـن جيبهـا الفـردة الأخرى. بينما تضع فردة الجورب الأخرى في قدم الدميـة تخفت الإضاءة تدريجيا بحيث لا نكاد نرى جاكي وهي ترفع

الدمية وتقربها لوجنتها.. ثم إظلام).

الفصل الثاني

المشهد الأول

(تشيدل هام ـ مانشستر ـ ديسمبر ١٩٨٢. حجـرة أمامية واسعة في منزل دوريس وجـاك.. توجـد شـرفة فرنسية كبيرة تطل على الحديقـة وبـاب يـؤدي للبهـو.. الملاءات تغطي بضعة صناديق متناثرة في الحجـرة، كمـا تغطي البيانو.. ويلمح وراء النافـذة شـجرة ورد تغطيهـا الثلوج.. دوريس في الثانية والثمـانين.. مارجريـت فـي الواحدة والخمسين، جاكي في الثلاثين، بينمـا روزي فـي الحادية عشرة من عمرها).

(روزي تدخل وهي تحمل بيدها بطارية تحركها فـي شـكل دائري.. وقفة).

روزي: جدي؟! ألأنت هنا؟ (**صمت.. ترهف السمع**) إذا كنت تسمعني أريد أن أقول لك إن ما فَعلتَـه هـو عـين الغباء.. أعني ترك المنزل ومحتوياته لجاكي.. أتعلم أنك جرحت مشاعر ماما وجـدتي للغايـة (**وقفـة**) جدي..؟ أريد أن أعرف هل فعلت ذلك لأنك تحـب جاكي أكثر.. أم لأنك تغار (**صمت.. ترهف السمع..**

صوت خشخشة.. روزي تقفز وتحرك البطارية في أنحاء المكان) فئران (**وقفة**) أنا لا أخافك يا جـدي كما يخافك الآخرون.. أنـت لـم تفهمنـي (**تطفـئ البطارية وتخرج للحديقة عبر الشرفة الطيولة ثـم تغلق أبوابها خلفها)**.

(جاكي تدخل حاملة بعض الصناديق والأكياس البلاستيك التي تضعها ثم تخرج. مارجريـت تـدخل حاملـة حقيبـة وقفازات مطاطية وهي تقود دوريس).

دوريس: منذ شهرين، في يوم السبت مات جاك.. ومنذ ذلك الحين ظل المنزل مغلقًا لا يدخله الهواء.

مارجريت: حسنًا سنعالج هذا الأمر حالاً يا أمي..

دوريس: أشك.

(تضاء الأنوار فجأة.. دوريس تفزع).

(جاكي تدخل).

جاكي: فتحت الماء وأعدت توصيل الكهرباء..

دوريس: أوه.. لا أعتقد أن هناك ضرورة لذلك.

مارجريت: أمي، يجب أن نرى لننظم المكان.

جاكي: لا داعي للقلق على الفواتير الآن يـا جـدتي.. لقـد حسبت كل شيء. (**موجهة الحديث لمارجريت**) لقـد أحضرت العربة أمام الباب لننقل إليها الأشياء فـورا دون عناء.

دوريس: أوه، زهوري البرية.

جاكي: لم أرها.. الثلج يغطي كل شيء..

دوريس: كان يغطي الطريق إلى هنا بصورة بشعة.. كانـت الرحلة بالسيارة مرعبة.

جاكي: هل استمتعت بوقتك في لندن.

دوريس: (**ما زالت تتحدث عن رحلة السيارة**) كانت بشعة..

مارجريت: نعم ولكننا هنا الآن.. وصلنا يا أمي.. هل تريدين قليلاً من الشاي.. لقد أحضـرت ترموسـا (**تخـرج ترموسا وتصب قدحا**)

دوريس: إنني بخير تماما، اشربي أنت شيئًا منه.

مارجريت: إنني أريد أن أبدأ العمل..

جاكي: اجلسي حتى يدفأ المنزل.

دوريس: لا أريد أن أسبب إزعاجا لأحد..

(مارجريت تتردد ثم تقدم قدح الشاي لجاكي).

مارجريت: جاكي؟

جاكي: فيه سكر؟!

مارجريت: نعم.

جاكي: تعرفين أنني لا أتناوله بالسكر..

مارجريت: أنت لا تعرفين معنى المرونة.. أليس كذلك؟

(روزي تدق على النافذة بودرة بيضاء).

مارجريت: انظري إلى روزي.

دوريس: ستصاب ببرد قاتل.

مارجريت: لا يصيبها البرد أبدا (**تدخل روزي**).

روزي: انظري ماذا وجدت (**تبدو الوردة كزهرة من الشمع مثل الزهور التي كانت تزين الفازة القابعـة فـوق البيانو في المشهد الثاني**).

مارجريت: وردة من الورود التي تزهر في الكريسماس.

دوريس: إنها ميتة..

جاكي: لا إنها متجمدة..

روزي: أي ميتة..

جاكي: يمكنك إذابة الثلج الذي يجمدها.

روزي: حتى أنت لا يمكن أن تعيدي إليها الحياة..

(دوريس تتجه للشرفة الطويلة).

دوريـس: كان من المفروض تشذيبها.. لكن الأوراق سقطت وطرحتها الرياح..

(روزي تجذب دوريس بعيدا عن النافذة).

روزي: تعالي.. لن نستطيع تقليمها الآن.

دوريس: لا أريد أن يظن من يشتري هذا المنزل أنني وجاك لم نكن نعرف شيئًا عن الزهور.

جاكي: (**محاولة إدخال السـرور إلـى نفسـها**) يمكننـا أن نستأجر شخصا ليعيد للحديقة جمالها قبل البيع..

دوريس: (**بجفاء**) كل هذه الثروة ولم يكن جاك ينفـق منهـا بنسا واحدا.

روزي: ماما، هل أستطيع أنا وجاكي أن نصنع رجـلاً مـن الثلج؟!

مارجريت: روزي ليس أمامنا إلا اليوم وغدا لنعد هذا المنزل للبيع، لا أظن أن جاكي ستتحملنا في شقتها أكثر من

ذلك.

جاكي: مامي تعلمين أنه يمكنك البقاء للمدة التي تريدينها.

مارجريت: قلت إنك تسـتخدمين حجـرة نومـك لتخـزين اللوحات.

جاكي: كان ذلك قبل المعرض.. على أية حال حجرة روزي دائما جاهزة.

روزي: ماما.. ألا أستطيع البقاء؟!

مارجريت: (**بحدة**) روزي!! (**وقفة**) والآن يا جاكي بمـا أن أبي جعلك مسئولة عن كل شيء، قولي لنا من أيـن نبدأ..

جاكي: لا داعي لهذا يا مامي.. إنما فعل ذلك لأنني أقيم الآن في مانشستر.. كان يعرف أنه بحكم قربي من المكان أستطيع التصرف.

مارجريت: (**في صوت مهزوم**) لقد ولدت في هذا المنـزل. لكن يبدو أن هذا لا يعني شيئًا يا جاكي.

جاكي: (**تعطي ادوريس كيسا من البلاستيك**) جدتي خذي هذا الكيس و...

مارجريت: سنضع كل شيء في صناديق القمامة.

جـاكي: اختاري الستائر التي تعجبك في هذه الحجرة والباقي سنتركه ليباع في المزاد.

مارجريت: سأبدأ بالأواني الفخارية إذًا (**تجذب ملاءة كانـت تغطي مجموعة الأرفـف.. علـى الـرف السـفلي مجموعة من أدوات الشاي مزينة برسـم لشـجرة الصفصاف وعلى الأرفـف علـى الـرف السـفلي مجموعة من أدوات الشاي مزينة برسـم لشـجرة الصفصاف وعلى الرف الأعلى صور فوتوغرافيـة وبعض تماثيل الزينة**).

روزي: حسنًا، لا تكلميني.

مارجريت: روزي أحضري هذا الصندوق وابدئي في تكوير ورق الجرائد فيه لنضع فيه هذه الأشياء..

(روزي تركل الصندوق بقدمها نحو مارجريت).

روزي: عندي مهام أخرى غير هذا..

(جاكي تتجه نحو الأرفف).

جاكي: أنا متأكدة أنك تـودين الاحتفـاظ بـأدوات الشـاي

المزخرفة بصورة الصفصافة.. أليس كذلك يا جدتي.

دوريس: إنها قديمة ومشروخة.. (**يقمن بـاف قطـع طـاقم أدوات الشاي ووضعها في الصندوق أثناء الحـوار التالي**).

مارجريت: اجلسي أنت يا ماما وسنحضر لك الأشياء لتلفيها..

دوريس: لا أريد شيئًا.. إنها ممتلكـات جـاكي الآن طبقًـا للوصية.

جاكي: جدتي، ستحتاجين لأشياء لمنزلك الجديد في "أولادهام".

دورين: إنه ليس منزلاً.. إنه بيت في صـف مـن البيـوت المتلاصقة، وهو آخر بيت في الصف.

روزي: كفى يا جدتي، لا تكوني ناكرة للجميل، لقد اشـترت جاكي لك المنزل الذي أردته بالتحديد..

مارجريت: روزي.. تأدبي.

روزي: حسنًا، ولكني أظن أنكما تعـاملان جـاكي بجفـاء وتسيئان إليها.. إنها ليست مسئولة عما فعله جدي..

دوريس: يبدو أن ستين عاما من الزواج والعناية بهذا المنزل لم تكن تساوي شيئًا في عيني جاك..

مارجريت: كان منزلك دائما نموذجا رائعا نحتذي به يا أمي.
روزي، هل يمكن أن تحضري المزيـد مـن ورق الجرائد من فضلك؟

دوريس: حسنًا، جاكي لم تحتذ به.. ألـيس كـذلك؟ (**وقفـة قصيرة**) لم يلاحظ جاك جهدي، لكنـه كـان يهـتم بلوحاتها وكان دائم السؤال عن أحوال معارضـها.. وبما أن جاكي لم تكن تهتم كثيرا بزيارتنا، فقد كـان علي أن أختلق الأخبار.. وكما تعرفين لم يكن الفـن الحديث أبدا أحد نقاط قوتي..

روزي: إنها نادرا ما تزورنا يا جدتي..

جاكي: أنا دائما أحضر أعياد ميلادك يا روزي.

روزي: معظمها..

جاكي: إنني أحاول.

روزي: لا بأس يا جاكي فأنت تسافرين كثيرا وعملـك أهـم شيء في حياتك، أليس كذلك؟ (**وقفة**).

مارجريـت: الغريب في الأمر أن أبي لم يكن يرى في عملي مبررا كافيا لانشغالي عن أمور المنزل، بل أعتقد أنه كان يعترض عليه..

روزي: ولكن عملك ينحصر في الدق علـى الآلـة الكاتبـة يا ماما (**وقفة قصيرة**) جاكي مختلفة على أي حـال فليس لديها أطفال (**وقفة**).. (**لم يبق على الـرف إلا قدح واحد**).

روزي: ما هذا القدح الحقير؟

دوريس: إنه مجرد قدح رخيص يفي بالغرض.. اعتـدت أن أضع فيه الكاكاو لمارجريت.

مارجريت: لا أتذكر..

روزي: ماما دائما تصنع لنا الكاكاو.

مارجريت: من الغريب يا أمي أن جاكي وروزي لا تحبـان الكاكاو..

روزي: الناس ترغب دائما في الممنوع، فالممنوع مرغوب.

(روزي تقدم القدح لجاكي التي تلفه).

جاكي: أوه، نعم.. لقد كسرت مقبضه ذات مرة.. انظري أين لصقها جدي.

مارجريت: لا أتذكر ذلك..

جاكي: أوه لم تكوني هنا.

مارجريت: لماذا؟!

جاكي: حسنًا، كان ذلك أثناء الصيف الذي (**لا تجد الكلمـات المناسبة**)أصابتك فيه وعكة.

مارجريت: (**وقفة**) لا أتذكر..

(وقفة.. جاكي تضع القدح في الصندوق الذي امتلأ الآن، تغلق غطاءه وتثبته بالشريط اللاصق).

جاكي: ها هو طاقم أدوات الشاي المزخـرف بالصفصـافة يا جدتي.

دوريس: كان جزءا من جهازي، لم يكن النوع الذي أردته.. بتاتًا.

(**وقفة**).

جاكي: روزي، اصطحبي جدتي للمطبخ، لنـرى إن كانـت تريد أخذ أي من الأواني.

دوريس: وماذا عن حجرات النوم؟

مارجريت: ماذا عنها يا أمي؟

دوريس: حسنًا، ستحتاج روزي لبعض الأغطية والملاءات.

روزي: لماذا؟

دوريس: قد تحتاجينها يوما.. من يدري..؟!!

روزي: عندي لحاف محشو بالريش.

مارجريت: روزي!!

روزي: لكن عندي..

جاكي: روزي، لماذا لا تذهبين أنت وجدتي للـدور العلـوي وتفرزان الملاءات.

دوريس: هيا يا أميرة.

روزي: لست أميرة، أنا من الهيبيز.. يمكننا أن ندخل دولابك القديم يا نانا.

دوريس: لماذا يا حبيبتي؟

روزي: لأنه مكان رائع للاختباء.. هيا يا نانا..

(دوريس توجه الحديث لروزي بينما الأخيـرة تقودهـا لخارج الغرفة).

دوريس: أريد أن أعرف متى تحولت من جدة إلى نانا..

روزي: أنت تحبين ذلك..

(وقفة).

جاكي: كنت أود أن أتحدث معك قليلاً.

مارجريت: يمكننا ذلك ونحن نفرغ هذه الأرفف، أليس كذلك؟

(جاكي لا ترد.. تحضر السلم وتسنده إلى الأرفف).

جاكي: كيف تسير أحوال العمل؟

مارجريت: جيدة وأنت؟!

جاكي: لا بأس (**وقفة**) سأصعد وأناولك الأشياء.

(تعملان).

مارجريت: قرأت مقالة عند الكوافير عن الفتاة التـي تطبـع رسوماتها على الحرير في شيفيلد ـ إنها مثالك إلـى حد ما.

جاكي: أنا أطبع رسومات على الحرير (**وقفة.. تناولها إطارا به صورة**) كم كنت طفلة جادة!

مارجريت: (**تنظر إليها**) كنا على الشاطئ فـي "سـكاريارا" كنت في السادسة من عمري. أذكر أن أبي كان يريد التقاط صورة جميلة.

جاكي: "على أرفع مستوى".. هكذا كان دائما يقول لي..

مارجريت: كان ذلك عام ١٩٣٧ ـ أذكر أن أبي قبلني فـي ذلك اليوم وهو يقول لقد كبـرت الآن.. بعـدها لـم

يقبلني أبدا (**وقفة**) كنت إذا تركت قطعة زبد صغيرة في الطبق تلاحقني أمي بنصائحها عـن الاقتصـاد والتوفير أو يبدأ هو في سرد تاريخ حياته وكيف بدأ حياته كماسح أحذية يقف علـى سـلالم البورصـة الملكيـ ـة.. مـ ـا علاقـ ـة هـ ـذا بالزبـ ـد؟ لا أعرف..

(جاكي تُنزل آنية زهور فضية).

جاكي: آنية زهور.. "جائزة مانشستر للأعمال والتجارة عام ١٩٤٩".

مارجريت: أخذني يوما للبورصة ليتفقد أحوال أسهمه. ولـم يكن مسموحا للفتيات بالدخول. كان عليهن الانتظار بالخارج (**تشعر بألم مفاجئ**).

جاكي: مامي.. هل آلمك هذا؟.. استريحي قليلاً.

مارجريت: (**تقاوم الألم**) لدينا الكثير لننتهي منه.

(تستمر في جمع الأشياء).

(جاكي تبدو قلقة).

جاكي: البطة الفخارية التي صنعتُها.. انظري..

مارجريت: بل صنعتها روزي.

جاكي: بل أنا التي صنعتها لجدي.

مارجريت: إنني أعرف جيدا ما أقول..

جاكي: مامي.. أنا..

(مارجريت تنتابها نوبة ألم جديدة).

جاكي: أرجوك توقفي عن العمل بعض الوقت..

مارجريت: إنها أعراض سن اليأس.. مجرد تقلصـات فـي العضلات (**تجاس**).

جاكي: ليس من المفروض أن تؤلمك أعراض سـن اليـأس هكذا.. هل استشرت طبيبا؟

مارجريت: مواعيد العيادة من التاسعة للسادسة، وأنا أعمـل في هذه الفترة.. (**وقفة**).

جاكي: روزي ممتلئة بالطاقة والحيوية.

مارجريت: إنها مثلك.

جاكي: مامي.. لقد كنت جادة فيما قلـت بشـأن الإجـازات الدراسية.

مارجريت: وكيف ستعتنين بها وأنت تعملين ساعات طويلـة

خارج البيت؟

جاكي: (**وقفة**) أستطيع أن أقسم الوقت مع ساندرا التي تعمل في صالة العرض الرسمية.. هي الأخرى لديها الآن طفلان صغيران.. (**وقفة**).

مارجريت: أصدقاء روزي كلهم في لندن. (**وقفة**).

جاكي: إنه مجرد عرض (**بخشونة**) إذا ما شعرت فـي أيـة لحظة أنك لا تستطيعين تحمل العبء.

مارجريت: ما الذي تعنينه بالضبط؟!

جاكي: مامي.. أريد أن أسألك... (**تتوقف عن الكلام**)

مارجريت: (**وقفة**) ماذا؟

(تتبادلان النظرات.. وقفة طويلة).

جاكي: فلنواصل العمل.

(مارجريت تقف. جاكي ترتقي السلم).

جاكي: بمجرد أن أبيع هذا المنزل وأسـتثمر ثمنـه لصـالح الجميع، لن تضطري للعمل.

مارجريت: يجب أن أعمل، لا يسلم الأمر من ظرف طارئ.. أنا أنظر للمستقبل بأسلوب مختلف يا جاكي.

(وقفة. جاكي تجمع الأشياء التي على الرف الأخير).

جاكي: هذا كل شيء.. لا.. ما هذا؟ (**تتناول علبة شيكولاته قديمة وتفتحها**) انظـري.. صـورة مـن العصـر الفيكتوري.. الإطار مصنوع من الأصداف..

مارجريت: **(وقفة)** إنها جدتي.

جاكي: (**بانفعال**) حقيقي؟! انظري إلى هذا الثـوب الأسـود الخانق وياقته المرتفعة..

مارجريت: بسبب الغدة الدرقية.. السيدات فوق سن الثلاثـين لم يكن يظهرن أعناقهن في تلك الأيام.. كانت تنتفخ بسبب مشاكل في الهرمونات.. لم يكن هنـاك دواء لعلاجها.

جاكي: لماذا لم تُرنا جدتي هذه الصورة أبدا؟!

مارجريت: **(وقفة)** جاك لم يكن يحبها **(وقفة)** أمي نشأت في "ظروف سيئة".. كما تقول.. أمها لم تكن متزوجة.

(جاكي مذهولة).

مارجريت: اكتشفت ذلك من خطاب قديم.

جاكي: (**في غضب**) لماذا؟ لماذا؟

مارجريت: ماذا؟!

جاكي: لماذا لم تقولي لي هذا أبدا؟!

مارجريت: لم يكن هذا ليغير شيئًا بالنسبة لك يا جاكي.

جاكي: بل كان.. (**تبكي في غضب**) مامي.. (**لحظة.. جـاكي لا تستطيع أن تتكلم.. تندفع روزي لداخل الحجـرة وهي تغطي رأسها بملاءة**).

روزي: ووووه... ووووه.. أنا الشبح.

جاكي: آه.. (**يسقط الإطار من يدها فيتحطم**) انظري نتيجـة تصرفك...!!

روزي: آسفة..

مارجريت: ما الذي تفعلينه بحق السماء يا روزي؟ أين أمي؟

روزي: إننا نطوي الملاءات.. السلم تحول لعاصفة ثلجية.

مارجريت: (**في خوف**) يا إلهي.. الأفضل أن أذهب لأرى.. جاكي اجمعي هذا الحطام.. (**تشير لحطام الإطـار.. تخرج**).

روزي: لا تحزني يا جاكي (**تقبلها**) انظري نانـا صـنعت ثقبين للعينين في الملاءة، وصنعت واحـدة لنفسـها

أيضا.. ستفرغ ماما.

جاكي: (**تضحك**) أوه روزي..

روزي: ماذا؟!

جاكي: لا أدري.

(جاكي تقاوم دموعها. بعد برهة).

جاكي: روزي يجب أن تدركي أن (**وقفة قصـيرة**) مـامي تتحمل أعباء كثيرة.

روزي: أوه.. إذن تحدثت معك عن دادي.. ألم تفعل؟!

جاكي: ماذا عنه؟!

روزي: لا داعي للقلق.. لماذا تعتقدين دائما أنك سـبب كـل المشاكل يا جاكي..

جاكي: هل تعمل مامي حتى وقت متأخر؟!

روزي: يووه.. إنها تدرس الآن الكومبيوتر في المساء.

جاكي: وهل هذا يضايق دادي؟!

روزي: نعم.. ماما تهمله.. إنهما يتشاجران كثيرا.

جاكي: (**بقلق**) لماذا؟

روزي: أوه لا أدري.. الغسيل أو أي شيء آخـر.. عنـدها

أضع سماعات المسجل **(الوكمان)** على أذني..

جاكي: مسكينة مامي.. لماذا لم تخبرني؟

روزي: حسنًا إنها لا تريدك أن تعرفي أنهـا أفسـدت كـل شيء.. هيا ساعديني لنقطع هذه الملاءة.

جاكي: لماذا؟!

(تمزقان الملاءة إلى نصفين).

روزي: لافتة.. سنقوم بمظاهرة أمام معمـل الفيزيـاء فـي المدرسة.

جاكي: لماذا؟

روزي: لأن السرية قاتلة.

(وقفة) السرية في الأبحاث النووية. **(تفرد نصف المـلاءة)** يمكنك أن تصنعي أنت أيضا لافتة لنفسك.

جاكي: **(ترفع الملاءة)** آسفة يا مامي.

روزي: **(وقفة)** كم عمرك؟

جاكي: ثلاثون.. لماذا؟؟

روزي: يجب أن تكفي عن مثل هذه الأشياء الآن وإلا فلـن تستطيعي الكف عنها أبدا.. كان يجـب أن تسـمعي

ماما وهي تقول في التليفون آسفة لجدتي.

جاكي: ألا يهمك رأي مامي..

روزي: إن ما يشغلني هو الحرب النووية ومشكلة البطالـة. وإذا كان مستر "والش" مدرس الفيزياء يحبني.. ماما لا تفهم شيئًا من هذا.

جاكي: من الغريب ألا تهتمي برأي مامي؟!

روزي: إنه متقدم في السن، يصلح أن يكون أبي.. ونحيـف جدا.. أنت نفسك كبيرة بما يكفي لتكوني أمي **(وقفة)** ولكني سعيدة أنك لست أمي..

جاكي: لماذا؟

روزي: لأنه لمن المتعب جدا أن يحاول الإنسـان أن يكـون مثلك.. كان جدي لا يمل الحديث عنك طول الوقت.. أتعرفين هذا؟

جاكي: كان يستنكر أسلوب حياتي.

روزي: غير صحيح.

جاكي: لم أكن نموذجا للمرأة المثالية كما كان يراها.

روزي: وهذا ما كان يعجبه!.. أنت غبية.

جاكي: (**في دهشة**) الآن أدرك أن وصيته لم يكـن دافعهـا الإعجاب بي.. لقد كانت نوعا من الانتقام.

روزي: كيف؟!

جاكي: لأنني نجحت في الهـروب.. مـن العائلـة.. مـن الالتزامات العائلية لـذلك قـرر أن يفـرض علـي مسئوليتكم جميعا..

روزي: (**وقفـة**) أنت غبية.. لقد ترك لك المال لكي تفتحـي قاعة عرض خاصة بك..

جاكي: (**وهي تحاول استيعاب ما قالته روزي**) وأنـت.. إذا كان قد ترك لك المال، ماذا كنت ستفعلين به؟

روزي: كنت سأشتري سترة مثـل التـي يرتـديها لاعبـو البسيبول بدلاً من معطف المطر المقزز هـذا الـذي تجعلني ماما أرتديه.. لم أكن لأعطي المال كله لماما وجدتي مثلاً. كنت سأمنح بعضا منه لجمعية السلام الأخضر.. تعالي.. هيا نخرج إلى الحديقـة نتـدرب على تلويح لافتات الاعتراض على التجارب النووية.

(روزي تفتح الشرفة الطويلة وتجـري وهـي تطـوح بالملاءة كالعلم، جاكي تتردد.. تدخل دوريس حاملة كيسـا

بلاستيكيا نصف ممتلئ).

دوريس: بعض قطع الغسيل تتطاير في الحديقة.

جاكي: إنها روزي.. تريد أن تغير العـالم.. (**تغلـق بـاب الشرفة**).

دوريس: كنت مثلها.

جاكي: هل تغيرت كثيرا!

دوريس: (**ترقب روزي**) كان الثلج كثيفًا في ذلك الشتاء الذي حضرت لتقضيه معنا، بعد أن أخـذت مارجريـت روزي، لم تكوني في حالة تسمح لـك بالاسـتمتاع بالكريسماس.

جاكي: ما زلت تحتفظين بخطابي؟!

دوريس: بالطبع.

جاكي: يجب أن تأخذه روزي في عيد ميلادها السادس عشر.

دوريس: أوه، إنك تثيرين غضبي يا جاكي. يجب أن تطلبي ما تريدينه.

جاكي: جدتي.. لا أستطيع.

دوريس: بل تستطيعين.

جاكي: ولكن مامي لديها الكثير من المتاعب الآن وليس هذا وقتًا مناسبا.

دوريس: هناك دائما حجة ما **(وقفة)** لم أطلب أبدا ما أردته.. صدقيني يا جاكي. إن الشعور بالقهر والحرمان أمر بشع.. هل تريدين أن تشعري بـالمرارة والغضـب إزاء أمك وأنت في آخر العمر؟

جاكي: (**تتجنب الاستمرار في هذا الحديث**) ماذا بداخل هـذا الكيس؟

دوريـس: (**بخشـونة**) سـتائر حجـرة النـوم الزرقـاء
جاكي: آه، طبعا.. لقد كان الأزرق الخفيف هو دائما لونك المفضل. أليس كذلك؟

دوريس: جاك هو الذي اختار كل الألوان في هـذا البيـت (**وقفة قصيرة**) "ذوق فني رفيع".. كان تعليق الزوار دائما.. **(وقفة)** اللون القرمزي.. سيكون اللون السائد في بيتي الجديد.

(تدخل مارجريت حاملة كيسا من البلاستيك تضـعه علـى الأرض).

مارجريت: كل ما في هذا الكيس سيذهب للجمعيات الخيرية.

دوريس: من يستسلم لا يكسب شيئًا يا جاكي.

جاكي: (**بتحفز**) مامي..

مارجريت: جاكي إن لم يكن لديك ما يشغلك صنفي الأشـياء التي في حجرة النوم الإضافية.

جاكي: سأفعل يا مامي.

(صوت قعقعة في خلفية البهو).

دوريس: قلـت لـك إن هـذه الغلايـة ليسـت مضـبوطة يا مارجريت.

مارجريت: نعم يا أمي.. (**تخرج**).

(جاكي تلتقط كيس الستائر الذي أحضرته دوريس).

جاكي: هل أضع هذه الستائر مع باقي الأشياء التي سـتذهب للجمعية الخيرية يا جدتي؟

دوريس: يوجد بالكيس شيء آخر تركته معي ذات مرة.

جاكي: ماذا؟

دوريس: ملابس الطفلة.

جاكي: (**وقفة. لا تستطيع تحمل الموقف**) الأفضل أن أذهب إلى المطبخ لأتأكد أن كل شيء على ما يرام.

دوريس: هل ستتخلصين منها؟

جاكي: لا. أشكرك أن احتفظت بها يا جدتي.

(جاكي تخرج. دوريس تفتح الشرفة الفرنسية).

دوريس: روزي!

(تدخل روزي ضاحكة، لاهثة الأنفاس وتحمـل فـي يـدها اللافتة).

دوريس: هذا إهدار للوقت.. العالم يوشك على النهاية، لقـد شاهدت هذا في التليفزيون.

روزي: إنها الأخبار الرسمية فقط.. لا يجب أن تصـدقيهم.. لكن مشهد الانفجار كان مخيفًا، أليس كذلك؟

مارجريت: (**تدخل**) ما الذي انفجر يا روزي العزيزة؟

روزي: العالم.

مارجريت: أوه لا بأس إذن.. ظننته شيئًا آخر.

دوريس: ماذا؟

مارجريت: لا شيء يا أمي.

دوريس: تصورنا أن سقف المطبخ سـقط. جـاكي ذهبـت لتستطلع الأمر. إنها ماهرة في معالجة هذه الأشياء.

مارجريت: (**منهكة**) نعم يا أمي.. (**تخرج**).

دوريس: إنهما ترهقان نفسيهما أكثر مما ينبغي.

روزي: لا يصح أن تدفعيهما لذلك.

دوريس: يجب أن تساعديهما.

روزي: ستقولان إنني إنما أسبب لهما المزيد من المتاعب. (**تبتسمان**).

دوريس: سأريك شيئًا. (**تجذب الملاءة من فوق البيانو**).

روزي: (**وقفة**) إنه بيانو.

دوريس: ألا يعجبك؟

روزي: لدينا أورج إلكتروني في المدرسة.

دوريس: كانت لي صديقة اسمها أورج.

روزي: ما هذا؟ (**تلتقط صحنًا من فوق البيانو**).

دوريس: إنها صينية فضية لتقديم الحلـوى. موظفـو جـاك قدموها له عندما تقاعد.. إنها ليسـت مـن الفضـة الخالصة بالطبع.

روزي: (**تشمها**) رائحة الفضة غريبة. إنني أكـره الأشـياء القديمة.

دوريس: أنت تكرهين الأشياء الميتة، لا القديمة يـا روزي.
(وقفة) مثلي **(وقفة)** إنني عجوز.

روزي: أمسكي هذا.. تستطيعين أن تري وجهك فيه.

(دوريس تمسك الطبق) اجلسي على مقعد البيانو (**دوريـس تطيعها**) ما الذي ستفعلينه؟!

دوريس: ستعرفين حالاً. أغمضي عينيك.

روزي: (**روزي تقف وراءها وتضع كفيها علـى وجنتـي دوريس، برقة تجذب الجلد المتهدل للوراء**).

روزي: لتذهب التجاعيد بعيدا..

دوريس: يداك جميلتان ودافئتان يا روزي.

روزي: الآن افتحي عينيك يا نانا.

دوريس: (**تتفحص صورتها المنعكسة في الطبق**) أووه.

روزي: الآن انظري.. إنك في الحقيقة لست عجـوزا.. إنـه مجرد مظهر على السطح (**بعد لحظة تتـرك روزي بشرة دوريس**) إن مظهري مثل مخبري، لهذا تعتقد ماما أنني وقحة حين أتحدث.

دوريس: (**تقف وتضع الصينية في الصـندوق**) إذا تحـدثت

بوقاحة وأنت عجوز.. يظنون أنـك بـدأت تفقـدين عقلك. **(وقفة)** إنهم لا يدركون أنه الغضب **(وقفـة)** ساعديني في تلميع هذا البيانو.

روزي: هل هذا ضروري؟

دوريس: ستجدين فوط تنظيف وورنيش للتلميع فـي حقيبـة مارجريت.

روزي: (**تقدم الأشياء لدوريس وتقرأ المكتوب على العلبة**) شمع نحل برادلي، مع صورة للنحلة.. ها هو..

دوريس: إنها شركة جاك بالطبع. (**تحاول فتح العلبة**) هـل تستطيعين فتحها؟

روزي: (**تفتحها**) ما اسم عائلتك يا نانا؟

دوريس: بارتنجتون.. الآن خذي قطعة القماش هذه ولمعـي الأرجل. (**روزي تفعل ويدور الحوار التالي وهمـا منهمكتان في تلميع البيانو**).

روزي: إننا نكتب بحثًا عنك في المدرسة.

دوريس: عني؟!

روزي: نعم، أنت من الطبقة العاملة فـي لانكشـير، ألـيس

كذلك؟

دوريس: هل أبدو منهم؟!

روزي: نعم. (**وكأنها تقرأ كتابا مدرسيا**) كل عائلات أولادهام كانت تعمل في صناعة القطـن والـورق.. ورغـم تدهور الصناعات اليدوية احتفظ المجتمع بأخلاقياتـه وقيمه المعنوية.

دوريس: (**تسترجع الـذكريات**) كـان الجيـران يتبـادلون ما يحتاجون إليه.. السـكر.. الصـابون.. وعنـدما حضر الملك لزيارة المنطقة جمعنا روث الخيل الذي تخلف بعد الموكب واستخدمناه في تسميد الطمـاطم. الاحتفاظ بالكرامة لا يكلف مالاً.

روزي: هل هذا ما قالوه في الفيلم التسجيلي الذي شاهدناه في المدرسة.

دوريس: هل فعلوا ذلك؟ لقد نسيت جزءا هنا. انظري (**تشير للبيانو**) عندما وصلت أنا وأمي إلى بيتنا الجديد فـي شارع جوبيلي قالت صاحبة البيت.. وكانت امـرأة ضخمة، لها ذراعان مكتنزتان باللحم والشحم، وكانت دائما ترتدي قبعات غريبة ملفتة.. قالـت لـم أكـن

أعرف أن لديك طفلة.. قالت أمي لم تسأليني. كانت لديها طفلة.. وانتهى الأمر عند هذا الحد.

روزي: ألم يكن لك أب؟

دوريس: لا.

روزي: هل تعرف ماما؟!

دوريس: لا.

روزي: هو سرنا وحدنا إذًا؟!

دوريس: إذا أردت يا روزي بالطبع ثارت الأقاويـل حولنـا ولكن جارتي كانت هي الأخرى ابنة غير شـرعية.. كان الأمر شائعا أكثـر ممـا تعلنـه تلـك الأفـلام الوثائقية.. تعلمت قطرة.. قطـرة.. أن أقـاوم.. أن أعمل بجد.. كانت أمي تقول عنـدما تعملـين بجـد ترتفعين مثلما يحدث للخبز بعد إضافة الخميرة.. هل تصقلين هذا الجزء أم تريحين ذراعك؟!! لم يقل لـي أحد قط ما يجب أن أفعل.. وعندما قابلت جاك كـان الحي قد تغير.. أشياء كثيرة شريرة حلت بكل مكان، حتى في أولادهام.. حسنًا كان ذلك بسـبب الكسـاد.. عندما تفقدين عملك تفقـدين الإحسـاس بالأشـياء..

ولكننا عملنا وارتقينا وانتقلنا إلى "شيدل هالم" **(وقفة)** كانت.. منطقة **(وقفة)** منطقة مولعة بالمظاهر. عندما كان يحضر والدا جاك لزيارتنا، كنت أستعير إبريق الشاي الفضي من جارتي. وفي ذات يوم وقعت فـي مأزق، عندما حضر أقارب زوج جارتي في نفـس الأمسية.. اضطررنا أن نتبادله عبر النافـذة ذهابـا وإيابا **(وقفة)** لم أستخدم أبدا الخميرة لصنع كعكي.. اعتمدت دائما على ذراعي **(تدعك البيـانو بشـدة)** والآن أصبح كالمرآة.

(تنظران إليه في إعجاب).

دوريس: أظن أننا سنبيعه بثمن جيد.

روزي: يمكنك دائما بيع البيانوهات بإعلان صغير.

دوريس: لكن جاكي رتبت لعقد مزاد، أليس كذلك؟! تخلصي من هذه الخرق فقد اتسخت..

(روزي تفتح كيسا تظنه معدا للمخلفات).

دوريس:ليس هذا كيسا للفضلات.

روزي: ياه.. إنه ممتلئ بالملابس **(تقلب الكيس كلـه علـى**

الأرض وتلتقط بعض القطع).

روزي: ما هذا؟ كروشيه وسروال منقـوش مـن أسـفل.. يا للبشاعة.. لم أكن أعرف أنك كنـت يومـا مـن "الهيبز" يا نانا.

دوريس: بل كنت زعيمة "الهيبز".

روزي: حقًا؟

دوريس: كلا بالطبع.. **(وقفة)** إنها أشياء جـاكي.. جـاءت لتقيم معنا ذات مرة وتركت هذه الأشياء، لـم تكـن بحاجة إليها.

روزي: أليست بشعة!! شقيقتي الكبرى ترتدي هذا!! **(تلـتقط سروال التزحلق الذي كانت مارجريت ترتديـه فـي الفصل الأول في المشهد السابع)** أوه.. هل أستطيع الاحتفاظ بهذا؟!

دوريس: يمكنك أن تأخذي ما تريـدين.. مـن الواضـح أن مارجريت لا تريد أيا من هذه الأشياء.. إنها أشياء لا قيمة لها الآن.. بالطبع.

روزي: لكن هذا السروال رائع يا نانا.. إنه أحدث صيحة..

(روزي ترتدي السروال فوق جوربها وجونلتها).

دوريس: دعك من هذا السروال - توجد هنا جونلة جميلـة لونها "بيج".. انظري يا حبيبتي (**تلتقط الجونلة التي ارتدتها في الفصـل الأول فـي المشـهد السـابع**) مارجريت اشترت هـذا "الشـيء" (**باحتقـار**) مـن أمريكا...

روزي: إنه سروال من الخمسينيات إذن حقًا؟

دوريس: ستجدين هنا ملابس من أجيال مختلفة، كلها مختلطة بعضها بالبعض. (**تقلب في محتويات الكيس**).

(مارجريت تدخل وتتجه نحو حقيبتها القماشية).

مارجريت: ليس من المعقول أن أكون قد نسيت إحضار قفاز مطاطي!!

(تستخرج واحدا من حقيبتها وترتديه خلال الحوار التالي).

روزي: ماما.. انظري (صمت) هل تذكرتـه؟ (**صـمت**) أوه (**بلهجة أمريكية**) يجب أن أطلـي أظـافري (**روزي تسير بطريقة استعراضية**) ما رأيك؟

مارجريت: روزي ليس لدينا وقت للعبة كرنفال الملابس.

دوريس: أظن أنه يلائمها يا مارجريت.

روزي: إنه جذاب ومثير بالفعل. لا أستطيع أن أتصور أنـه كان على مقاسك يوما ما يا ماما. هل كانـت تبـدو جميلة فيه يا نانا؟ **(وقفة)**.

مارجريت: هل كنت أبدو جميلة فيه يا أمي؟ **(وقفة)**.

روزي: ألا يمكنك أن تتذكري ذلك الماضي البعيد؟

دوريس: الإنسان يتذكر ما يريده فقط.

مارجريت: روزي.. رتبي هذه الفوضى.. سنرحل بمجرد أن تنتهي جاكي من إصلاح الغلاية.. (**تخرج**).

روزي: سأرتدي هذا عند العودة للمنزل. هل تساعديني فـي تصفيف شعري لأعلى كما كانت الفتيات تفعل فـي ذلك الوقت؟

(دوريس تساعد روزي في رفع شعرها).

مارجريت: على شكل خلية النحل؟ تحتـاجين لسـكر ومـاء لتثبيت هذه التسريحة.

روزي: (**مسرورة**) تماما مثل الهيبز.

(تجمعان الملابس داخل الكيس).

روزي: (**باستمتاع**) هل أترك ملابس الهيبـز هـذه لأريهـا لجاكي؟!

دوريس: لا داعي لهذا.

روزي: لم لا؟ هل سيحرجها هذا؟

دوريس: (**مهزومة**) ليست كل الذكريات جميلة.

روزي: لماذا لا تخفي بعض الملابس في القبو ليعثر عليهـا شخص ما بعد مئات السنين.

(دوريس تغلق الكيس. روزي تمد يدها للكيس الآخر).

روزي: ماذا يوجد هنا؟

دوريس: أوه إنها مجرد ستائر قديمة.

(روزي تفتح الكيس).

روزي:أوه.. إنها ملابس طفل رضيع.. ما أجملها!!

(تفرغ الكيس على الأرض).

روزي: لماذا لا تنظرين إليها يا نانا!!

دوريس: أعيديها للكيس يا روزي.

روزي: أريد هذا الثوب الذي عليه رسومات الأرانب.

دوريس: لا إنه يخص جاكي..

روزي: إذن سأطلبه من جاكي..

دوريس: كان يجب أن أتوقع..

(جاكي تدخل.. تبدو حائرة).

جاكي: هل تركت السلم هنا؟! (**تتوقف عندما ترى ملابس الرضيع متناثرة في أنحاء المكان**).

(روزي تمسك الثوب الذي عليه رسومات الأرانب).

روزي: انظري ماذا وجدت!!

(وقفة).. أوه فستانك ذو الأرانب.

روزي: فستاني؟! نانا قالت إنه فستان جاكي (**روزي تنظر لجاكي**).

جاكي: (**في لهجة متأنية**) لقد اشتريته لك يا روزي.

(مارجريت تنادي جاكي في البهو).

مارجريت: جاكي!

(روزي تخفي الفستان وراء ظهره عند دخول مارجريت).

مارجريت: هل ستساعديني أم لا؟

(تتوقف مبهوتة أمام المنظر).

روزي: خمني يا ماما.. لن تستطيعي أن تخمني أبدا.

مارجريت: (**في رعب**) ماذا؟!

روزي: خمني.

(روزي تظهر الثوب من وراء ظهرها..).

روزي: ثوبي وأنا رضيعة **(وقفة)** وهل تعرفين ما قالته لـي جاكي؟

مارجريت: (**كمن أصيبت بدوار**) لا..

جاكي: اطمئنوا جميعا.. اطمئني يا ماما.

(جاكي تتجه نحـو مارجريـت، لكنهمـا لا تسـتطيعان احتضان بعضها البعض).

روزي: ما الأمر؟

جاكي: مامي متعبة.. هل أنت متعبة؟

مارجريت: إنني بخير تماما.

(لحظة جمود تام).

دوريس: أظن أن هذا يكفي اليوم.

جاكي: نعم الوقت تأخر.. أليس كذلك؟!

روزي: إنها الخامسة والنصف فقط أيتها العجوزات.

مارجريت: لا ترفعي صوتك يا روزي.

جاكي: مامي هل أنت بخير؟!

دوريس: أظن أنها أجهدت نفسها فوق طاقتها.

مارجريـت: روزي ضعي ملابس الرضيع في الكيس الـذي سنرسله إلى الجميعة الخيرية.

روزي: أوه ماما لا تكوني مملة.

جاكي: روزي! إنما تجلس قليلاً لتستريح.

روزي: (**بصوت مرتفع**) أستطيع أن أرى أنها تجلس..

دوريس: أنت متعبة يا عزيزتي؟!

روزي: (**بحدة**) لست متعبة.

جاكي: بل أنت متعبة.

روزي: لا تبدئي أنت أيضا!

دوريس: مارجريت، هل رأيت البيانو؟

مارجريت: إنه هنا يا أمي.

دوريس: أعرف.. إنما أتحدث عن الورنيش.. لم تلاحظيـه أليس كذلك؟

مارجريت: أوه يا أمي لماذا فعلت ذلك؟ إنه سيحتاج للتلميـع مرة أخرى بعد النقل.

دوريس: سأبيعه.. في المزاد.

مارجريت: ولكنه الشيء الوحيد الذي تركه لك أبي.

دوريـس: إنه ملكي على أية حال.. اشتريته بمدخراتي مـن عملي بالتدريس.. عندما تزوجت **(وقفة)** لم تكـوني تعرفين هذا، أليس كذلك؟

مارجريت: لا يمكنك..

روزي: بل يمكنها طبعا..

جاكي: حان وقت الطعام.. هيا جميعا إلى العربة..

روزي: لا أشعر بالجوع بعد..

مارجريت: أمي تحتاج لتناول وجبة الشاي فورا. أليس كذلك يا عزيزتي؟!

دوريس: أنا لا أحتاج الكثير، تكفيني بيضة مسلوقة.

روزي: ما رأيك أن نذهب إلى أحد مطاعم "ماكدونالد"؟ هه؟

جاكي: سنذهب جميعا إلى شقتي..

مارجريت: لكنك لا تطهين عادة يا جاكي.

جاكي: سنأخذ معنا طعاما هنديا جاهزا.. يوجد مطعـم يعـد وجبات جاهزة جيدة في طريق ستوك بورت.

مارجريت: لن تستطيع أمي مضغ لحم أطراف الضلع..

دوريس: مضغ ماذا؟!

روزي: لا أحب أطباق الكاري.. أريد طعاما من "ماكدونالد". هل يمكن أن أظل مرتديـة هـذا؟ **(مشـيرة إلـى السروال)**.

دوريس: نعم..

مارجريت: لا.. هل معك حقيبتك يا أمي؟

دوريس: لا أحتاج مساعدة.. شكرا.. هل ستخرجين وأنـت ترتدين قفازات التنظيف المطاطية؟

جاكي: مامي هل يمكنك قيادة السيارة إذا قدت أنا الشاحنة؟

(مارجريت تلتقط الترموس وكوبه).

مارجريت: هل يريد أحد هذا الشاي؟

روزي: ماما إنه بارد – وبما أني أعرفك فأغلب الظن أنـك سوف تأخذينه للمنزل وتدخرينه للغد.

مارجريت: روزي!! (**تسكب الشاي داخل الترموس وتغلقه**).

جاكي: سأحمل هذه الأشياء للشاحنة (**تتجه نحـو الأكيـاس، ترى ثوبا ملقى خلفها**) ما هذا الثوب!! لم أره مـن

قبل.. يشبه موديلات العشرينيات!

دوريس: أظن أن عليه بقعة شاي.. لا كانت بقعة مـن أثـر الجلوس على الحشائش.. ارتديته يـوم تقـدم جـاك لخطبتي.

جاكي: هل تودين الاحتفاظ به؟

(جاكي تتردد.. وهي ترفع الثـوب عاليـا. لا يأتيهـا رد.. تضعه في الكيس وتغلقه).

مارجريت: سأتأكد مـن إغـلاق النوافـذ وأفصـل التيـار الكهربائي.. اذهبا أنتما الاثنتان للسيارة.. (**تخرج**).

جاكي: سأراكم في شقتي (**تتردد**) تبـدين كبيـرة يـا روزي بشعرك المروع هكذا.. أتمنى لو أنك كنت ما زلـت رضيعة.. كنت جميلة جدا.

روزي: حقًا؟

دوريس: كان هناك وقت لإنجاب الأطفال ورعـايتهم لكنـه مضى الآن ولن يعود.

روزي: أوه جاكي.. أنت دائما تضمينني بشدة.

دوريس: ستظهر الحقيقة يا جاكي يوما ما، لا تقولي إنني لم

أحذرك.

روزي: هيا يا نانا.. فلنذهب..

(تنظر لدوريس. تلتقط الأكياس وتخرج).

دوريس: هيا يا روزي ارتدي معطفك.

(بينما تساعد دوريس روزي في ارتداء المعطف، تغرق الغرفة فجأة في الظلام.

دوريس: آه!!

روزي: تركت البطارية الكبيـرة علـى السـلم الخـارجي. انتظري هنا يا نانا (**تخرج**).

(دوريس تخرج إلى الشرفة الفرنسية.. صوت رياح).

دوريس: جاك.. جاك، لو أنك رأيتَ كيف طوحـت الريـاح زهور الحديقة.. سقطت جميعهـا علـى الأرض... انسحقت.. وأنت.. أصبحت الآن مثل قرن البـازلاء الجاف.. تخشخش الحبات بداخله.. تهرأ الجلد علـى جمجمتك كورقة بالية (**وقفة**) لقد حاولتُ كثيـرا ــ ــ حتى في السنوات القليلة الأخيرة.. كنت أعـد لـك أطعمة مغذية سهلة المضغ.. لكنك كنت تدفع الصينية

بعيدا.. كنت تفعل ذلك متعمدا.. أليس كذلك؟! **(وقفة)** عندما مضيتَ، وتركتني الممرضات معك، لأصـلي كما خيل لهن، دخلت الفراش إلى جـوارك.. أجـل، أجل.. رقدت بجوارك.. كانت أشعة الشمس تتسـلل عبر النافذة، دافئة، لكنك أنت كنت باردا كالثلج..

(روزي تدخل، تحمل لوحا خشبيا مستديرا وبطارية تحركها في أنحاء الغرفة حتى يسقط الضـوء علـى وجـه دوريس، دوريس تبكي).

روزي: نانا؟!

دوريس: دقيقة واحدة.. سأرتدي قبعتي وقفازي.

روزي: نانا؟ بسرعة. ماذا تفعلين؟!

(صوت بوق السيارة في الخارج).

دوريس: هل ينتظروننا؟

روزي: **(برقة)** لم يكن معك قفاز.. أوه نانا.

(روزي تتجه نحو دوريس.. لحظة تردد تستغرق أقل مـن الثانية)

دوريس: لا.. تقبليني.

روزي: بل سأقبلك.. (**روزي تقبـل دوريـس.. ودوريـس تمسح على شعر روزي**).

دوريس: شعر جميل.. شعري رمادي عنيق..

(روزي تمسك لوحا خشبيا).

روزي: انظري يا نانا.. انظري ماذا وجدت في حجرة النوم الاحتياطية.

روزي: ما هذا؟!

دوريس: لعبة السوليتير. كانت ملك أمي.. أعطتها لي. إنهـا لعبة. كنت أمارسها في الأمسيات بينما يقـرأ جـاك الصحف.. يجب أن تُخرجي كل البلي مـن ثقـوب اللوح بحيث لا يتبقى إلا واحدة في وسط اللوح.

(صوت النفير مرة ثانية).

روزي: هل يمكن أن نأخذها معنا؟

دوريس: نعم.. إذا أردت يا روزي.

روزي: ستعلميني كيف ألعبها؟

دوريس: إذا حضرت لزيارتي.. ضعي غطاء الرأس.. الثلج يتساقط الآن.

(روزي تأخذ لوحة السوليتير والبطارية وتحرك الضوء في أنحاء الحجرة مرة أخيرة.. عندما تتحركان للخروج يرتفع صوت الرياح ويتزايد تساقط الجليد..).

(إظلام).

استراحة

الفصل الثالث

المشهد الأول

(الفناء الخلفي لمنزل دوريس في "ألودهام" أوائل أبريل ١٩٨٧ دوريس في السابعة والثمانين ترتدي "أوفارول" منقوشًا بالورود. مارجريت في السادس والخمسين ترتدي زيا عمليا وقورا، عليه مريلة اقترضتها من دوريس.. تتبادلان الحديث وهما تخرجان من باب المطبخ في الخلفية. دوريس ترشد مارجريت التي تحمل صينية عليها أصص صغيرة فيها زهور حمراء قانية (زهور نبات إبرة الراعي) دوريس تحمل بساطًا صغيرا تضعه بجوار حوض لزراعة الزهور وجوال سماد. تركعان على البساط).

دوريس: انظري يا عزيزتي.. كل هذا من نبات واحد أحضرته معي من "تشيدل هلم".

مارجريت: احتفظت بنباتاتي في المطبخ طوال الشتاء ولكنها لم تزدهر على هذا النحو.

دوريس: أوه عليك أن تنزعي كل الأوراق حتى لا يتبقى إلا السيقان الجافة، وفجأة ستجدينها تورق من جديد..

مارجريت: ستكون جميلة هنا.

دوريس: وصلني كارت من روزي.. يبدو أنها هي وجـاكي تستمتعان بوقتهما.

مارجريت: نعم. البيت موحش بدونها.

(وقفة.. مارجريت تواصل زرع النبات في الحوض).

دوريس: تبدين أنحف من العادة.. هل تأكلين جيدا؟!

مارجريت: ماذا تقصدين؟

دوريس: اتركي فراغًا بين الجذور.. حسنًا.. أعني حضورك هكذا من لندن فجأة وفي يوم الثلاثاء؟!

مارجريت: ألا أستطع أن أحضر لزيارة عابرة دون..

دوريس: إنك عادة مشغولة جدا في ذلك المكتـب.. ولـيس لديك وقت للحضور والزيارة.

مارجريت: أجل.. حسنًا لقد أخذت اليوم إجازة!!

دوريس: لا داعي للحدة يا عزيزتي..

(وقفة.. مارجريت تحفر حفرة).

مارجريت: لقد غيرت هذا الفناء الخلفي تماما.. هذه التعريشة جميلة فعلاً.

دوريس: نعم.. إنني فخورة بالفعل.. إنها خمس سنوات فقط

منذ أن انتقلت إلى هنا. لا بد أن "تشيدل هالم" تبـدو الآن جنة من الزهور.. لم يزهر الياسمين هنا كمـا ينبغي، لكن فصل الربيع كان فظيعا..

ماربجريت: جميل. **(وقفة)** أقصد.. آسفة.. أجل كـان ربيعـا مرعبا حقًا..

دوريس: كيف حال أحواض الزهور عندك؟

ماربجريت: مم (**تغمغم ما يعني أنها بخير**).

دوريس: حدث هذا العصر ما لم أكن أتخيله.

ماربجريت: فعلاً. (**تلتقط ورقة نبات تحملق فيها**).

دوريس: مارجريت.. أنت لا تسمعين كلمـة واحـدة ممـا أقول.. هل تسمعيني؟!

ماربجريت: بالطبع.

دوريس: مارجريت.. ماذا بك؟ ما المشكلة؟

ماربجريت: ماذا تعنين؟.. أي مشكلة؟

دوريس: أنت منزعجة من شيء ما.

ماربجريت: قد أكون منزعجة لأنك تتهميني بذلك..

دوريس: (**برقة**) أنا لا أتهمك.. لا تستائي..

مارجريت: هذا غير معقول يا أمي.. لقـد بـذلت مجهـودا لأستطيع الحضور هنا فـي زيـارة وديـة، لكنـك تتصورين أنه لا بد من وجود مشكلة.. ألـيس مـن حقي أن أتبادل حديثًا عاديا مع أمي؟

دوريس: لا أعرف يا عزيزتي.

مارجريت: ماذا تعنين بأنك لا تعرفين؟ **(وقفة)** ثم لا تنادينني "يا عزيزتي" هكذا.

دوريس: القطارات القادمة من لندن في هذا الوقت من اليوم أسعارها غالية جدا.

مارجريت: أترين؟ أنت لا تستطيعين أن تتحدثي معـي دون أن تقحمي أمور الاقتصاد والتدبير المنزلي.

دوريس: **(وقفة.. برقة)** ما الأمر يا عزيزتي؟ إنه "كن" أليس كذلك؟ **(صمت)**.. هل استغنوا عن خدماته في العمل؟ **(صمت)**.

مارجريت: **(وقفة)** لا أعرف..

دوريس: ماذا تعنين بأنك لا تعرفين؟!

مارجريت: لم أر كن منذ أسبوع. أمي **(وقفة)** لا أظنها امرأة

أخرى.. إنه ليس هذا النوع من الرجال، وقـد كنـا دائما سعداء.. أعرف أن ذلك يحدث في هذه الأيـام في زيجة من كل ثلاث زيجات ولكنك.. من الصعب أن تتخيلي نفسك جزءا من إحصائية أليس كـذلك؟! **(وقفة)** مامي ما زلت أريده.

دوريس: أبوك.. انتهت "رغبته في" منذ سنوات طويلة.. لـم يكن هذا مبررا للطلاق في أيامنا.. تصورت أنني إذا ثابرت على حبـه.. أردت ـ أن أكـون مرغوبـة. **(وقفة)** في الليلة السابقة لوفاته تعانقنا.. أمسك يـدي وقال إنه يحبني في تلك الليلة أكثر مـن أي وقـت سابق.. صدقته.. كثيرا ما أسأل نفسي هل كان الأمر يستحق كل هذه المعاناة؟.. **(وقفة)** لقـد اسـتثمرت حياتك بطريقة أفضل.. أعني العمل وما إلى ذلك..

مارجريت: بالضبط.. إنها غلطتي.. لقد أحبنـي يـا أمـي.. ولكنه لم يقبل أن يكون له شريك في..

دوريس: أي شريك؟

مارجريت: العمل.. أن أعمل وأرعى روزي.. حسـنًا كـان يجب أن أعمل. الحياة في لندن تكلف كثيـرا هـذه

الأيام.. **(وقفة)** لكن كن تزوج ربـة بيـت لا أمـا عاملة..

دوريس: لقد توقعت الكثير.. مثلي.. وجاكي تتوقع الأكثـر. **(وقفة)** جاء أبي يوما بعد أن انتقلنا إلى شـقتنا فـي شارع "جوبيلي" رضيت أمي أن تعود إليه بـالطبع.. رأيت الكدمات على جسـدها وهـي تسـتحم أمـام المدفأة.. قالت إنها آثار أحضانه.. قالت إنه يحبهـا جدا ويضمها بعنف. **(وقفة)**.

عندما أفكر في جاك أقول لنفسي إنني كنت محظوظة حقًا.

(**دوريس تضع ورقة نبات غبرة الراعي داخـل الحفـرة التي حفرتها مارجريت. مارجريت تساوي التراب حولها)**.

دوريس: تعالي معي إلى البيت يا عزيزتي.. عنـدي شـيء أريد أن أعطيه لك **(وقفة)** لم تري أبدا صورة أمي.. أليس كذلك؟

مارجريت: **(كذبا)** لا.

(مارجريت تقف وتساعد دوريس في النهـوض. دوريـس تتأبط ذراع مارجريت بينما تمضيان).

المشهد الثاني

(حي كرويدن – في لندن في أوائل أبريل ١٩٨٧ – بعد أربعة أيام من المشهد السابق – صباح يوم مشمس مشرق في غرفة مكتب مارجريت.. ضوضـاء المـرور بالخـارج مسموعة بالغرفة. مكتب وتليفون وآلة كاتبة، وأصيص بـه زهور حمراء وصورة فوتوغرافية داخل إطار.. مارجريـت في السادسة والخمسين. جاكي في الرابعة والثلاثين. روزي في الخامسة عشرة والنصف من عمرها. مارجريت تجلس. تفتح غطاء الآلة الكاتبة. ترتدي رداء عمليا كما في المشهد السابق. تدخل روزي ومعها طائرة ورقية برتقالية ورزمـة خطابات تضعها على مكتب مارجريت روزي ترتدي ملابس ملونة على الموضة تلائم الإجازة).

روزي: بوستة الصباح يا مسز ميتكاف..

مارجريت: روزي! بحق السماء ماذا تفعلين هنا؟!

(روزي تقبل مارجريت وتحرك الطائرة لتحلق وتدور في الفضاء أعلى المكتب).

روزي: انظري! أليست جميلة!!

مارجريت: هل ذهبت للمنزل؟

روزي: لا.. حضرنا مباشرة من مطـار جاتويـك..قطعنـا الطريق كله بتاكسي.. تخيلي!! لكن جاكي تقول إنـه يجب أن تفعلي مثل هذه الأشياء عند الضرورة.

مارجريت: (**تلمس شعرها**) هل هي الأخرى هنا؟

روزي: نعم ولكنها ذهبت إلى الحمام في الدور الثالث لترتدي ثوبا مناسبا لتاجرة في التحف الفنيـة.. لا تريـد أن تريها في هيئة مزرية.

مارجريت: هل ستتوجه مباشرة للعمل؟

روزي: ستحضر اجتماعا ما مع مجلـس مدينـة مانشسـتر بخصوص صالة العرض التي تزمع افتتاحها.

(روزي تحرك الطائرة)

مارجريت: ولكنكما كنتما على سفر طوال الليل!!

روزي: وماذا في هذا؟

مارجريت: الأفضل أن تخفي هذه الطائرة قبل أن يصل مستر "ريس" في التاسعة.

روزي: ألا تعجبك؟ الإيطاليون بشر من طراز خاص.

مارجريت: كيف وجدت مدينة البندقية **(فينيسيا)**؟

روزي: رائعة! **(تقول بالإيطالية)**.. هـل كانـت المركونـة "الفتوتشيني" طيبـة؟ **(Fettucive alla Casa va Bene?)** كان الطعام رائعا ولكن أبي كان سيكرهه.

مارجريت: مؤكد.

روزي: لا أصدق أنهما أسبوعان فقط.. كيف قضيت وقتك؟ أرجو ألا تكوني أمضيته في تنظيف حجرتي؟

مارجريت: زرت جدتك.

روزي: أرسلت لها بطاقة عليها صورة الشاطئ الذي لعبنـا فيه بهذه الطائرة. كذلك أحضرنا بعض النبيـذ مـن نوع "الشيانتي" لأبي ولكنك لن تخمني أبدا هديتك..!! هل تذكر أبي أن يروي الطماطم التي أزرعها.

مارجريت: **(وقفـة)** دادي رحل لمدة أسبوع. ما أكثر شـيء أعجبك في فينيسيا؟

روزي: أوه الكرنفال بالطبع.. سهرنا طوال الليل. وارتـدى الجميع أقنعة على شكل الطيور، حينـذاك شـاهدت الطائرات الورقية. ثم تناولنا الإفطار في ميدان سان ماركو، ووقع رجل في غرام جاكي، وبالتالي أخذت

أحماق في القناة وطلبت قدحا آخر من "الكابوتشـينو" وتظاهرت أنني أنتظر الجندول.. ثـم اتضـح أنـه أعجب بي أنا، وغضبت منه جاكي وعنفتـه باللغـة الإيطالية واضطررنا للرحيل.

مارجريت: أرجو ألا تكوني قد سهرت لوقت متأخر كل ليلة.

روزي: أوه طبعا يا ماما.. لم أفعل.. أعني أن جاكي كانـت لطيفة جدا، كان تحاول بشدة أن تقلدك.

مارجريت: تقلدني؟!

روزي: نعم.. لكنها لا تبدو لي إطلاقًـا مثـل أم. **(وقفـة)** أتعرفين يا ماما أحيانًا يجب أن تدعي السذاجة قلـيلاً لمجرد أن تشعريها بالارتياح.. إنها تحتاج..

مارجريت: ماذا تحتاج؟!

روزي: لا أعرف.. من الصعب أن أوضح. (**تفكر**) إنها قلقة للغاية.. تبحث دائما عن شيء تفعله.. لقد قضينا يوما بأكمله ننتقل بين المعارض، لكنها فشلت في العثـور على اللوحة التي تريدها. بعد أن ابتعت هذه الطائرة ذهبنا لهذا الشاطئ الرائع، جرينـا لأميـال (**تحـرك الطائرة في الفضاء**) كنا نصـرخ بسـبب الريـاح،

ونجحت جاكي أن تجعل الطائرة تحلق فـي دائـرة رائعة في السماء.. أوه يا ماما، كان يوما رائعا..هل يمكن أن تتوقفي دقيقة عن فتح الخطابات..

مارجريت: إنني في العمل.

روزي: نعم ولكن يجب أن أقول لك شيئًا.. أوه يا ماما إنـه لا يصدق!!

مارجريت: ماذا يا عزيزتي؟

روزي: حسنًا، لقد طلبت من جـاكي.. لـم أتصـور أنهـا ستوافق.. أريـد أن أذهـب وأعـيش معهـا فـي "مانشستر".

مارجريت: (**وقفة طويلة**) وماذا عن امتحاناتك؟!

روزي: أوه لن أذهب بالطبع قبل الصيف.. على أي حـال، جاكي تقول إنه يجب مناقشة الأمر معك ومـع دادي أولاً. (**وقفة**) ماما..؟!

مارجريت: ليس لديك أية فكرة. جاكي لا تسـتطيع الطهـي، وستنسى أن تغسل ملابسك.

روزي: أعرف أنها عديمة الخبرة في معظم الأشياء.. إنهـا

ليست مثلك.. **(وقفة)** إنها تحتـاج إلـى.. **(وقفـة)** سأعود إليكما وأزوركما كثيرا.

مارجريت: كلما توفرت أجرة المواصلات.

روزي: أوه.. جاكي ستدفع.. تقول إننا سنزوركما معا، كمـا أنها تأتي إلى لندن طول الوقت على أية حال..

مارجريت: حقًا؟

روزي: (**تقاطعها**) لقد وعدت!! ألا تذكرين؟!

لقد وعدتني.. قلـت بعـد امتحانـاتي أسـتطيع أن أفعـل ما أريد..

مارجيت: (**وقفة طويلة**) نعم لقد فعلت (**تستدير بعيدا خشـية أن تبكي**) يجب أن أكتب خطابا.. روزي هل يمكـن أن تنتظري بالخارج دقيقة..

(روزي تخرج وهي تحـرك الطـائرة. جـاكي وروزي تتقابلان في الممر المؤدي لمكتب مارجريت. جاكي ترتـدي ثوبا منقوشًا بالزهور وتحمل محفظة جلدية مصقولة علـى الطراز الصيني وطائرة ورقية زرقاء).

روزي: لا تدخلي.. (**تحملق في جاكي**) لقد أفسدت كل شيء

الآن يا سيادة المديرة.. كان يجب أن تـذهبي إلـى العمل في ذلك الثوب التركوازي.

جاكي: إنه ثوب للشاطئ.

روزي: كان يناسبك أكثر.

جاكي: ولكنه اجتماع هام للغاية.

روزي: وهذا أدعى أن تجعليهم يرونك على حقيقتك.

جاكي: لا أستطيع أن أبدأ الآن.

روزي: بل تستطيعين، إذا كنت تريدين ذلك حقًا.. تعالي إلى الخارج وطيري هذه الطائرة معي.

جاكي: أريد أن أرى مامي.

روزي: إنها مشغولة.

جاكي: سأجلس في مكتبها وأستعد لاجتماعي.

روزي: أرأيت!! قد تحولت لسيدة أعمال مرة أخرى!

اكي: اهدئي.. لست في البيت الآن..

روزي: مامي ليست مثلك وهي في العمـل (**تخـرج وهـي تحرك الطائرة في الهواء**).

(جاكي تدخل المكتب).

جاكي: مامي! آسفة!! ألم تصلك الرسالة؟

وصل التأخير إلى اثنتي عشرة ساعة في نهاية الأمر، كـان المطار أشبه بالفرن.

مارجريت: روزي في حالة استثارة مرعبة.

جاكي: أعرف يا مامي.. لم أستطع أن أجعلها تنام.. كانـت رائعة طوال الإجازة، لا داعي لأن تقلقي. إنها عاقلة جدا بالنسبة لسن الخامسة عشرة.. كان تـرفض أن تدعني أسبح بعيدا.

مارجريت: ستكون متعبة في أول أيام الدراسة.

جاكي: ما زالت أمامها ثلاثة أيام.

مارجريت: ولكن يجب غسل كل ملابسها.

جاكي: كنت أود أن أفعل لولا أنني..

مارجريت: يجب أن تعودي لمانشستر لحضور الاجتماع.

جاكي: **(وقفة)** روزي تستطيع غسل ملابسها.. لقد غسـلت كل ملابسنا في إحدى الأمسيات وثبتت حـبلاً فـي الشرفة لتعليقها..

مارجريت: معك، الموضوع مغامرة.. **(وقفة)** يجب أن تري

حجرة نومها، إنها مثل مخزن الكراكيب.. ملابس.. صمغ.. رسوم.

جاكي: إنها فنانة.. كانت دائما تكتب الشعر في المطعم.

مارجريت: رأسها ممتلئ بالأفكار المجنونة.. (**تختبر جاكي**).

جاكي: (**وقفة. في حذر**) حقًا؟!.. (**لا رد من مارجريت**) إنها فقط نتيجة الحيوية والطاقة أليس كذلك؟

مارجريت: حسنًا.. بالطبع معك..

جاكي: إنها تتحدث عنك كثيرا..

مارجريت: عن أي شيء؟

جاكي: أوه إنما أعني عملك.. أرادت أن تريني المكان.

مارجريت: حقًا؟!

جاكي: لم تخبريني أنك حصلت على ترقية في العام الماضي (**تنظر من فوق كتف مارجريت إلى الخطابات التـي تفتحها**).

مارجريت: ليست شيئًا عظيما كما تتصورين.

جاكي: أنت تعرفين جيدا أنه لا يمكنني القيام بعملـك هـذا.. كتابتي على الآلة الكاتبة فظيعة.. هل يجب أن تردي

على كل هذه الخطابات؟

مارجريت: مستر "ريس" يملي علي، ثم أمضي بقية الصـباح في تصـحيح أخطائـه فـي القواعـد، وإلا فـإن الميكروويف الإنجليزي لن يجد له سوقًا للتصـدير.. آه من هؤلاء الخريجين الصغار.

جاكي: أرجو أن يكون مرتبك مناسبا، فأنت التي تقومين بكل العمل.

مارجريت: إنني مجرد مساعدة.

جاكي: لا تقولي مجرد.

مارجريت: أوه كنت محظوظة، فإن سـرعتي علـى الآلـة الكاتبة عادية.. ولكـن سـاعدتني معرفتـي بلغـة الاختزال التي لا تتعلمها معظم الفتيات هذه الأيام.

جاكي: إنني واثقة أنك حصلت على العمل لمؤهلات أخرى.

مارجريت: (**وقفة.. مبتهجة**) كلمة مامي في هذا المكان تبدو غريبة، حين تؤدين عملاً يعاملـك النـاس بطريقـة مختلفة.

جاكي: المهم هو كيف تعاملين أنت نفسك.

مارجريت: (وقفة) تبدين متألقة يا عزيزتي.

جاكي: السباحة وهواء البحر. (بهدوء) قليـل مـن الشـمس يا مامي سيفيدك أنت أيضا.

مارجريت: (**بهدوء**) جلست في الحديقة في عطلة الأسـبوع، شعرت.. شعرت بالراحة.. لقد خففت العبء عنـي حين أخذت روزي هذين الأسبوعين.

جاكي: (وقفة) أرجو أن تكوني قد ذهبت في الموعد؟! إنهـا سيدة لطيفة، أليس كذلك؟

مارجريت: كل ما في حجرة الانتظار يبدو باهظ الثمن.

جاكي: مامي لقد طلبت منـك أن تـري الأخصـائية، لا أن تتأملي ورق الحائط.. ماذا قالت لك؟

مارجريت: أوه لا شيء تقريبا..

جاكي: هل قامت ببعض الفحوص والتحاليل؟

مارجريت: لا.

جاكي: لا؟!

مارجريت: قالت إنني بخير. أعراض سن اليأس غالبا.

جاكي: (وقفة) حقًا؟

مارجريت: (وقفة) ماذا تعنين؟!

جاكي: حسنًا **(وقفة)** هذه أخبار رائعة. (**تضحك**) أوه مـامي. لقد أجرت تاكسي من المطار إلى هنا..

مارجريت: (وقفـة) الآن تسـتطيعين أن تلحقـي بقطـارك لمانشستر.. أليس كذلك؟

جاكي: ماما.. في إجازة البنوك في مايو.. تعـالي عنـدي.. وحدك وسا...

مارجريت: نطير طائرات ورقية؟

جاكي: (**تعطيها طائرتها الزرقاء**) أوه نعـم.. روزي وأنـا اشترينا لك طائرة.. قالت إن دادي سـيعلمك كيـف تطيرينها ولكني قلت إنك خبيرة.. هـل تـذكرين.. عندما كنت تأخذيني إلى حـدائق ريتشـمند لنطيـر الطائرات الورقية، وفي إحدى المرات اشتبكت فـي فروع شجرة الكستناء وأسقطت كل الثمار..

مارجريت: تصورت أنك نسيت تلك الفتاة الصغيرة.

جاكي: وأنا أيضا.. لكن روزي رفضت أن تنساها.. ستحتفظ بطائرات ورقية في مكتبها أو في أي مكـان تعمـل فيه... **(وقفة)** كنت أرتدي الجونلة والسترة في بداية

عملي. (**تنحني وتلتقط الصورة الفوتوغرافية**) هـل هذه صورة لمقاطعة "كورنوول"؟ أوه.. هل يمكن أن أحصل على نسخة منها؟ ألا تبدو روزي جميلة؟

مارجريت: **(وقفة)** روزي قالت لي يا جاكي..

جاكي: (**مرعوبة**) لم أكن أنوي..

مارجريت: لا.. توقعت أن تخبرني أنك تريدين روزي وأنت تهرولين مسرعة للحاق بموعد سابق أو لعلك كنـت ستبلغيني بالتليفون..

جاكي:... تحتاجين لبعض الوقت لتقرري.. في الصيف..

مارجريت: إنه ليس قراري.. بل قرار روزي وقـد اتخذتـه بالفعل.. **(وقفة)** كنت أعرف أنها ستقول ذلـك ذات يوم.. تماما كما يحدث في قصص الأطفال الخيالية.

جاكي: ألم تقولي لها؟!

مارجريت: بالطبع لا.. ما زالت تعتقد أنك أختها الكبرى ولذا يبدو لها الأمر ساحرا..

جاكي: كنا نجري بطول ذلك الشاطئ تغمرنا أشعة الشمس.. فكرت.. كيف ضاع مني كل هذا؟

مارجريت: سنوات وسنوات وسنوات ضيعتها يـا جـاكي.. أعياد الميلاد وأول رجل من الـثلج وتعلـم قيـادة الدراجة وظهور أول سنّة أمامية.. لن تسـتطيعي أن تستعيدي كل هذا.

جاكي: سأعوضها.. بطريقة ما..

مارجريت: لن تستطيعي.. إنها سنواتي أنا..

جاكي: من المؤكد أنها تتذكر.. زياراتي؟!

مارجريت: أجل الهدايا والنزهات.. بين الحين والآخر.. لـم يخدعها ذلك أبدا.. لكني أنا تركتك تصـدقين أنهـا تكفي.. أنني أنا أمها.. أنا التي سهرت بجوار فراشها عندما كانت تمرض، ولم أصرخ في وجهها عنـدما حطمت على مدى السنوات أجمل الأواني الفخاريـة التي أمتلكها.

جاكي: مامي..

مارجريت: (**وقفة طويلة.. ببرود**) ما موعد قطارك؟!

جاكي: العاشرة إلا الربع.. لا.. أستطيع أن آخذ قطار الحادية عشرة إلا الربع.

مارجريت: لا داعي لأن تتخلفي عن اجتماعك.

جاكي: هذا سيمنحنا ساعة أخرى.. كنت أتمنى لو لم نكن في المكتب. (**في رعب مفاجئ**) أين ذهبت روزي؟!

مارجريت: هل ستلحقين بقطارك أم ستبقين هنا؟! لا يمكنـك فعل الشيئين معا..

(وقفة. جاكي تبدو معذبة).

مارجريت: سأطلب لك تاكسي.. (**مارجريـت تـدير قـرص التليفون.. تنتظر الخط مشغول**).

جاكي: (**بهدوء**) أنت تعرفين يا مامي.. أنني لم أكن لأحقـق مشروع صالة العـرض أو أي شـيء آخـر دون مساعدتك. لم أكن لأحقق شيئًا من ذلك بدونك.. فمن المستحيل أن تكوني أُما ثم تلغي احتفال الكريسماس لأن عليك أن تكوني في نيويورك في نفس الوقت.

(مارجريت تنجح في الاتصال التليفوني).

مارجريت: تاكسي إلى محطة إيست كرويدون من فضـلك.. حـالاً. المـدخل الأمـامي لشـركة الميكروويـف البريطانية. (**تضع السماعة**).

جاكي: تعالي وامكثي معي فترة.. علميني كيف أدير المنزل وأكون أُما وكيف أزين حجرة روزي بالطريقة التي تحبها.

مارجريت: لا يا جاكي.. سأكتفي بوضع بطاقة حول عنقهـا فيها اسمك وعنوانك وأرسلها لك بالبريد السـريع.. **(تدير وجهها عن جاكي وتتشاغل بأوراقهـا)** لقـد تخطت التاسعة.. ترى أين ذهب مستر "ريس"؟

(جاكي تجري خارج الغرفة).

مارجريت: **(تنفجر باكية. يرن جرس التليفون)** هالو؟ هالو. نعم سأحضر على الفور. **(تضع السـماعة)** أوه يـا إلهي، لقد لطخت "الماسكارا" كل الرسـائل. **(تلـتقط نوتة استعدادا للذهاب)** سيبدو الأمر غريبا. عـدت للعزوبية مرة أخرى. **(تهدئ نفسها)** سـأنام لوقـت متأخر. **(تتردد ثم تدير قـرص التليفـون)** هـالو.. معرض مانشستر للفن؟! نعم أريد أن أترك رسـالة لجاكي ميتكاف.. قولي فقط **(وقفة)** إجازة البنوك في مايو تناسبني.

(تضع السماعة وتخرج من المكتب. إظلام).

المشهد الثالث

(الخرابة التي تلعب فيها الفتيات.. مواء وعويل قطـط. الظلام يغلف المكان بصورة شبه كاملة. نلمح فـي الظـلام بعض الوجوه والأيدي).

جاكي: شفاه مشقوقة وعين وطواط.

روزي: قطرة ندى مسمومة وذيل قط.

جاكي: نضعها في قبعة قرد.

دوريس: ما هي قبعة القرد؟

جاكي: شش..

روزي: لا يمكنك استخدام شفاه مشقوقة.

جاكي: شش..

دوريس: لماذا؟

روزي: لأنها شيء حقيقي.. تولدين به.. رأيت سيدة شـفتها مشقوقة كشفة الأرنب في محل البصريات.

دوريس: وما شكلها؟

جاكي: شش.. لا أستطيع التركيز.. هذا معمل. **(تُقلب خليطًا**

من أغصان الشجر في وعاء).

روزي: شكلها مثل شق في الفم يصل إلى الأنف.

دوريس: بشع.

روزي: الناس تولد به.. وهو يعني أيضا نقصا في المخ.

جاكي: كفي عن الكلام.

دوريس: هيا نلقي نظرة على هذه السيدة.

دوريس: محل البصريات مغلاق.

جاكي: (**في لهجة غامضة**) لم يكن عندها هـذا الشـقّ مـن قبل.. لقد أصابها ونما...

روزي: حقًا؟!

جاكي: ربما تسببنا نحن فيه. **(وقفة).**

روزي: كيف نستطيع..

دوريس: أتظنين أننا لا نستطيع؟

جاكي: (**بتفاخر**) أستطيع أن أخبركم باسمها.

روزي: لا أصدق.. هيا.. أخبرينا..

جاكي: مسز ورسلي.

دوريس: هذا صحيح!

جاكي: أترين؟.. إنه الدليل على قوتنا.

دوريس: أية قوة؟!

جاكي: في الأرض.

روزي: وماذا يحدث للناس عندما يموتون؟

جاكي: يتعفنون.. الديدان تدخل أنوفهم وتخرج من عيونهم.

دوريس: لا (**تبدأ في البكاء**) لا أريد أن أفعل ذلك.

جاكي: فات الوقت.

روزي: لا أريد أن أفعل ذلك.

جاكي: فات الوقت.

روزي: لا أريد أن أفعل هذا بماما!

جاكي: فات الوقت.. كانت فكرتها..

دوريس: لا!

روزي: لا لم تكن فكرتي.. إنها فكرتك أنت..

دوريس: أوقفيها!

روزي: أوقفي اللعنة!

دوريس: أعيديها للوراء!

جاكي: لا يمكنك إعادة حياة أحد للوراء

روزي: سأقول لها.. تعـالي.. (**تشـد دوريـس وتجريـان للخارج**).

دوريس: لم أفعل أنا هذا!

جاكي: ستكون ميتة عندما تصلان.

(**يرتفع مواء القطط وعويلها. ظل مارجريت يظهـر أعلـى خشبة المسرح**).

جاكي: لم أقصد أن أفعل ذلك.. لا تتركاني وحدي.. (**تجري للخارج**)..

المشهد الرابع

(مارجريت ترتدي لباس المرضـى فـي المستشـفى.. شعرها ناحل وقد تراجع للخلف. وجهها هزيـل شـاحب.. الزمن أواخر مايو ١٩٨٧.. إنها تحت تأثير المخدر.. لقـد أصبحت صوتًا فقط).

مارجريت: أعرف أن الباب هنا، في مكان ما.. ليتنـي فقـط أجده.. الباب المؤدي للحديقة.. ها هو الباب.. إنـه الحمام! أي رياح باردة تمر من خلالـه.. آه.. هـا هو.. البانيو الأبيض المصقول بأرجلـه الحديديـة.. يبعث قشعريرة البرودة في اللحم العاري حتى فـي الصيف.. حقق أبي ما تمناه واغتنى.. لكن كان علينا رغم ذلك أن نقتصد في استخدام المـاء السـاخن.. الحياة في هذا المنزل سلسلة من التضـحيات.. كـل شيء يقدم قربانًا لدروس البيانو.. مصاريف التعليم.. مصا.. ريف.. ولكن (**تهمس كمن يدبر مؤامرة**) إذا أردت البكاء.. عندما تحتاج أن تبكي.. تذهب للحمام وتغلق عليك الباب.. عندما تشـد السـدادة، تشـفط

البلاعة الماء بصوت عال فيعرفون أنـك هنـا.. لا خصوصية في هذا المنزل الكبير.. ما اسم والـدي.. اسمهما عصي وحجـارة.. عنـدما أنجـب أطفـالاً سأسميهم سكر وتوابـل وكـل الأشـياء الحلـوة.. سأعطيهم كل ما يريدون وسيحبونني.. (**وقفـة**)... أمي؟.. مامي ماذا يحدث عنـدما نمـوت.. ليـتهم يتوقفون عن فتح الباب.. البرد شديد.. إذا واصـلت البحث سأجد الحديقة.. إنني واثقة من هذا..

(تخفت الأضواء عليها.. صوت رضيع يبكي.. ثم بكـاء طفل.. تظلم الإضاءة تدريجيا).

(إظلام).

المشهد الخامس

(حديقة منزل كن ومارجريت في ضاحية رينز بارك في لندن. آخر مايو ١٩٨٧ في الصباح الباكر.. بعد ساعتين من المشهد الرابع.. روزي تجلس على أرجوحة تحت شجرة الكرز.. تحمل الراديو الترانزستور الأحمر وترتدي أحد بلوفرات كن - أكبر من مقاسها بكثير - وبنطلون جينز.. جاكي تعبر الحديقة عدوا... تبدو في هيئة مزرية ويتصبب منها العرق.. تحمل حقيبة أوراقها وترتدي زيا مناسبا للعمل.. كلتاهما كانت ساهرة طوال الليل...).

الراديو: ازداد اختناق المرور في المنطقة الشمالية وما زالت الشاحنة المقلوبة تسد نفق "بلاك ورك".. الساعة تقترب من الثامنة. وصباح جميل من أيام مايو.. على الطريق إلى إيوستون أرى فتاة جميلة تقود سيارة "ميني" زرقاء.. وأهدي إليها أغنية من أغاني فرقة "البيتلز" (**نسمع أغنية كل ما تحتاجينه هو الحب**).

جاكي: روزي!!

(صمت. روزي تظل في مكانها تستمع إلى الراديو لأطول فترة ممكنة قبل أن ترد، وتتحمل جاكي هذا).

روزي: أرجو أن تنجحي في مشـروعاتك يـا جـاكي.. أن تحققي نجاحا مبهرا جدا...

جاكي: روزي! هل أنت بخير يا روزي؟! أين دادي؟

روزي: أرجو أن يكون عدد كبير من الناس قد حضروا حفل الافتتاح وبهرهم معرضك..

جاكي: لم أتأخر سوى اثنتي عشرة ساعة فقـط.. لـم أكـن لأعود لمانشستر لو أنني تصورت.. بعـد مكالمـة دادي ليلة أمس، لم يكن هناك أي طائرات.. أخـذت أول طائرة هذا الصباح.. لو أنني..

روزي: إذا كان يهمك أن تعرفي، فقد ماتت فـي السادسـة والثلث ليلة أمس. كان أبي معها.. قالوا إن التـدهور كان سريعا قرب النهاية..لم يكن مجرد سرطان فـي المعدة، فقد انتشر في أماكن أخرى.

جاكي: **(جاكي تحاول احتضان روزي التي تمنعها).**

ليتني كنت هنا معك..

(روزي تستدير مبتعدة).

روزي: هل بعت عددا كبيرا من لوحاتك؟

جاكي: روزي..

روزي: هل حدث؟

جاكي: لم أبع شيئًا.. ألغيت الافتتاح.

روزي: لا أصدقك.. لا يمكنك أن تفعلي شيئًا كهذا..

(صمت).

جاكي: مـاذا نفعـل الآن؟ سأسـتدعي "تاكسـي" لنـذهب للمستشفى.. هل يجب أن نأخـذ أشـياء ـ شـهادة ميلادها مثلاً؟! أنا لا أعرف..

روزي: دادي قام بكل هذا.. كان رائعا.. تماما مثلما كان قبل الانفصال.. كان يعرف أين تحتفظ ماما بالصـندوق الذي يضم كل متعلقات العائلة.. انظري.. قال إنـه يمكنني الاحتفاظ بهذه (**تمد يدها بصورة**) هذه مامـا تحملني أمام الباب الأمامي بعد وصولي مباشرة.. و (**تضع الأوراق على الحشائش**) وهذه شهادة مـيلاد ماما.. وهذه شهادة ميلادي.

(صمت).

جاكي: لا.

روزي: والآن.. أنا أعرف..

جاكي: (**في لهفة**) كنت سأقول لك.. بعـد خمسـة أشـهر.. عندما تبلغين السادسة عشرة. مامي طلبت أن ننتظر لما بعد امتحاناتك كي لا نسبب لك توترا و..

(روزي تحمل مجموعة من الصور. ترمـي الواحـدة تلـو الأخرى على الأرض، إلا واحدة تضعها في جيبها).

روزي: ١٩٧٢ عيد ميلادي الأول، ١٩٧٣ عيـد مـيلادي الثاني.. كريسماس ١٩٧٥. ١٩٧٦ كنت في أمريكا الجنوبية.. ١٩٧٩ مع كعكة عيـد المـيلاد.. ١٩٨٢ عندما أخلينا بيت جدي وجـدتي.. وإجازتنـا فـي فينيسيا. (**وقفة**) خذيهم.. خذيهم كلهم.

جاكي: روزي.. الآن يجب أن تساعد كل منا الأخرى..

روزي: لماذا لا تذهبين وتجـرعين الخمـر حتـى الثمالـة أو تفعلين ما يفعله أصدقاؤك من الفنانين عادة حـين يرغبون في إظهار مشاعرهم.

جاكي: إنما أردت أن تحصلي على قرص لم يكن بإمكـاني أبدا أن أمنحها لك..

روزي: لا غير صحيح.. لقـد أردت حياتـك أنـت أكثـر مما أردت حياتي!!

جاكي: لا!!

روزي: لو كنت أمي بالفعل لما استطعت أن تتخلي عني.

جاكي: كيف تجرئين! (**تندفع نحو روزي لتصـفعها لكنهـا لا تقدر**) إنك محور كل شيء أفعله (**وقفة قصـيرة**) عاملتني ماما كما لو كنت طفلة سقطت على الأرض وجرحت ركبتها... ساعدتني على النهوض وقالـت ستكونين بخير، لن يترك الجرح أثـرا.. أرادت أن تحول الأمر كله لصالح الجميع. (**بهدوء**) هي التـي أرادت أن تحتفظ بالأمر سـرا... (**بغضـب**) كنـت أريدك يا روزي.. لأول مرة في حيـاتي اعتنيـت بنفسي.. امتنعت عن الخمر والمخدرات.. مارسـت الرياضة.. ذهبت للطبيب.. (**وقفة**) قال "إنها فتاة".

(تبتسم وهي تنطق الكلمة الأخيرة).

بعد أن أخذتك مامي حاولت أن أفقد الذاكرة. (**وقفـة. تبـذل**

مجهودا لتواصل جراهام.. أبوك (**صمت**) لم يستطع حضور ميلادك.. كان عليه أن يكون في ليفربـول. كان متزوجا (**في لهجة تأكيد**) لكنه كـان يحبنـي.. ويحبك.. يجب أن تصدقي هذا (**وقفـة**) قـال إنـه سيترك زوجته ولكني كنت أعرف أنه لـن يفعـل.. كان لديه طفلان، أصغرهما عمـره أربـع سـنوات فقط.. اتفقنـا علـى الانفصـال. أردت أن أرعـاك بنفسي.. أرسل مالا. (**وقفة**) اصطحبتك ذات يوم إلى "لايم بارك"، وهناك رأيتهم سويا عبر البحيرة.. كان يشتري لهم الآيس كريم وكانت زوجته تلتقط صورة. أعتقد أنهم الآن يعيشون في مدينة ليدز.. رأيت اسمه في صحيفة الجارديان في العام الماضـي.. كانـت مقالة عن صوره الفوتوغرافية (**وقفة**) كان أول شتاء بعد ميلادك باردا.. كان التيـار الكهربـائي ينقطـع بصورة دائمة عن كل العمارات العالية، ولم أسـتطع تدفئة الغرفة. كنت أعرف أن منزله في "ديـدزبري" به مدفأة رائعة مفتوحة بها نيـران حقيقيـة. كانـت المدفآت المفتوحة موضـة آنـذاك.. حملتـك فـي

الأتوبيس واتجهنا إلـى حيـث الحـدائق الواسـعة والمطبخ المصنوع من خشب الصنوبر لنهرب مـن برودة الحوائط الإسمنتية. ضغطت علـى الجـرس (**تتوقف**) فتح الباب رجل آسيوي.. قال آسف.. لقـد انتقلوا إلى مسكن آخر.. عندما عدنا إلى "موسـايد" كان الظلام قد حل وكان المصعد لا يعمل (**تتوقـف**) كانت تلك هي الليلة التي طلبت فيها مامي (**تواصـل الحديث بصعوبة**) لتأخذك (**وقفة**) لقد حاولت!.. لكني فشلت يا روزي. (**وقفة**) عندما تفشـلين أول مـرة يصبح أي نجاح بلا طعم.. (**وقفة**).. بعد أن رحلت.. ظللت لأسبوع كامل أستيقظ ليلاً لأرضعك، فأكتشف أنني وحدي في شقة خاوية.. بعدها عدت لمدرسـة الفنون. تصورت ساندرا وهيو أنني تجـردت مـن مشاعري الإنسانية. أذكر الكتب التي ظهرت في ذلك الشتاء ـ "كيف تنجح الأم العاملة الوحيدة" ـ قصص خيالية! (**وقفة**) ساندرا وهيـو لهمـا الآن أطفـال.. العديد من أصدقائي تزوجوا وأنجبوا.. (**وقفـة**) الآن أستطيع أن أمنحك كل شيء يا روزي!

روزي: (**وقفة**) كنت دائما أكرهك ولكنني لم أعـرف أبـدا لماذا.. (**تشير للأرجوحـة**) اجلسي على الأرجوحة.. سأذهب وأعيش مع جدتي في "أولدهام".. أقصد مـع جدتي الكبيرة.. جدتك.. سمح لي دادي بذلك..

جاكي: (**بتردد**) إنني خائفة.

روزي: (**تشير للأرجوحة**) اجلسي على الأرجوحـة وألقـي برأسك للوراء وانظري لأعلى من خـلال أغصـان شجرة الكرز.. ستبدو لك السماء وكأنها تسقط. كانت ماما تجلس هنا وهي تحملني.. كنت أتظـاهر أننـي نائمة. (**تنهض**) لن أنجب أطفالاً أبدا.. (**تتجه نحـو المنزل**).

جاكي: قد يحدث..

(روزي تسمعها ولكنها تواصل السير بعيدا.. جاكي تتجـه للأرجوحة.. تخفت الأضواء إلى إظلام كامل).

المشهد السادس

(أولدهام.. الخرابة. مارجريت تـدخل، تحـاول السـير بتوازن على رصيف متصدع).

مارجريت: ملك النهر الذهبي.. **(تشير إلى خط وهمي)** أنـا الملك.

جاكي: **(تدخل وهي تجري)** أيها الفلاح.. أيهـا المـزارع ـ أتسمح لي أن أعبر نهرك الذهبي كي أحمـل لأبـي عشاءه؟

(جاكي تجري لتعبر الخط.. مارجريت تطاردها وتمسكها).

مارجريت: يجب أن تثبتي شجاعتك..

جاكي: ذهبت إلى عرين الأولاد..

مارجريت: ثم؟

جاكي: طلبوا مني أن أقتلك.

مارجريت: فشلت.

جاكي: حقًا؟!

مارجريت: أجل.

(وقفة قصيرة).

جاكي: لن يلعب الآخرون معي بعد الآن.

مارجريت: هل أقول لك؟

جاكي: ماذا؟

مارجريت: يمكنك أن تأتي معي.. إلى مخبئي السري.

(مارجريت تمسك بيد جاكي.. تمضيان عدوا..).

المشهد السابع

(أولدهام.. سبتمبر ١٩٨٧ - الفضـاء الخلفـي لبيـت دوريس. صوت أطفال يترامى من بعيد.. يوجد مقعدان مـن مقاعد الحديقة الطويلة التي تطوى ومقعد بيانو من المشهد الأول عليه لعبة السوليتير التي كانت في المشـهد الثـاني. يوجد أصيص من نبات إبر الراعي وطائرة خضراء. روزي تأخذ حمام شمس. ترتدي شورت وتي شيرت طبعتهما هـي نفسها. تضع على رأسها سماعة "الووكمان" التـي تحـول بينها وبين الضوضاء الخارجية. تهمهم بأغنية.. "فلنحـتفظ بالسنين" وهي منهمكة في لعبة السوليتير).

(دوريس تظهر في الخلفية حاملة ذيل طائرة.. تنادي).

دوريس: هل هذا ما تريدين؟

روزي: (**تغمغم**) "فلنحتفظ بالسنين"... (**دوريس تقترب منها**).

دوريس: روزي؟! هل تسمعيني **(تربت على كتف روزي)**.

روزي: آسفة، (**تخلع السماعات**).

دوريس: أنت تصرخين ثانية يا عزيزتي.. سيظن الجيـران أنني مصابة بالصمم.. (**ترفع أمامها ذيل الطائرة**).

روزي: يبدو رائعا! شكرا. (**تلتقط الطائرة**) هنا.. ثبتيه أسفل الطائرة.

دوريس: (**تربط الذيل في الطائرة**) يحتاج لغرزة..

روزي: (**ترفع الطائرة لأعلى**) ما رأيك؟

دوريس: (**وقفة**) كنت أفضل النوع الأزرق.

روزي: حسنًا، لقد طلبوا خمسين وبالتالي ليس من حقـي أن أشكو (**تضع الطائرة على الأرض**) صـنعت عشـرا هذا الصباح.

دوريس: خمنت ذلك من منظر الحجرة وقطع الخيط المتناثرة في كل مكان.

روزي: لست مسئولة عن إعادة ترتيبها.. اجلسي يا دوريس واستمتعي بالشمس..

دوريس: (**تجلس**) أتمنى شراء منضدة للحديقـة.. منضـدة بيضاء لها شمسية، لكنها غالية الثمن، أليس كذلك؟!

روزي: (**بحزم**) محتمل أن نستطيع شراء واحدة عندما أبيـع المجموعة القادمة.. يجب أن نغطي نفقاتنا أولاً..

دوريس: لا يجب أن تشغلي رأسك بالعمل في عيد مـيلادك.

(**وقفة**) أنت تماما مثل أمك!!

روزي: هل رأيت هديتها؟

دوريس: مسز "واو" رأتني وأنا أحملها للداخل. لـم يسـتطع ساعي البريد أن يضعها في صندوق الخطابات.

روزي: إنها إحدى لوحاتها..

دوريس: وضعتها فوق المدفأة..

روزي: ما رأيك فيها؟

دوريس: (**وقفة**) أعجبني الإطار الذهبي.. يبدو غاليا..

روزي: نانا! لقد رسمت هذه اللوحة خصيصا من أجلي.

(فترة سكون.. روزي تعاود التركيز في لعبتها).

روزي: وعدتني أن تعلميني اليوم كيف أحل لغز هذه اللعبة..

دوريس: اكتشفيه بنفسك. (**تتأمل روزي للحظـة**) تـذكري.. ممنوع الغش.. استغرق الأمر سنوات طويلة لتصـل أمي إلى الحل.. علمتني إياه ولكنها جعلتني أقسم ألا أكشفه لأحد... لم أطلع عليه حتى جاك، رغم أنه من المفروض ألا يكون بين الأزواج أسرار.

روزي: اسمعيني.. إنني أحاول منذ أسبوع.. ولكني فشلت.

دوريس: أسبوع واحد ليس زمنًا طويلاً!!

(روزي تدرس لوحة السوليتير).

روزي: هذه الشمس تبعث البهجة في النفس.. أليس كذلك؟

(ترتدي نظارة شمسية عاكسة).

روزي: ترى ماذا أفعل بعد ذلك؟ ما هي الحركة التالية فـي رأيك؟

دوريس: ما رأيك أنت؟!

روزي: (**تضحك**) أوه دوريس، أزيحي نظارتي الشمسية.

دوريس: إنها نظارتي أنا.. اشتريتها قبل أن أغـادر المجـر مباشرة، عندما ذهبت لشراء الآيس كريم.

روزي: افتُتح محل باكستاني جديد.. إنه أرخص من متجـر "كويك سيف" **(متجر الاقتصاد السريع)**.

دوريس: عاد جاك يوما للمنزل في المساء ووجدني جالسـة في الظلام.. قلت له إنني أقتصد.. قال شيء جميـل وسيساهم في هذا أنك تركت نور البهـو مضـاء!! (**وقفة**) لا يمكن أن تكسبي مهما فعلت.

روزي: بل يمكن.. انظري.. قفـزة مزدوجـة.. هـل هـذا

مسموح به؟!

دوريس: نعم.. أتعرفين؟! أفكر أن أخلع جـوربي لتكتسـب ساقي اللون البرونزي.. (**تمد يـديها برقـة أسـفل الجونلة وتحل رباط الجـورب**) حسنًا، قد أكون فـي سن الملكة الأم ولكني أشتري كل أشيائي الخاصـة الصغيرة من أحسن محل..

روزي: همم.. (**تبعد بلية أخرى**).

دوريس: أتعرفين يا روزي.. لـن تجـدي شخصـا يهـتم بالمظاهر مثل الإنسان الذي ارتفع من الحضيض.

روزي: هل عدت "للقذف والتشهير"؟ في هذه المرة تعرضين بالعائلة المالكة أليس كذلك؟

دوريس: لا.. في الحقيقة كنت أشير إلى زوجي الراحل. لـم يكن جاك ليغفر أبدا ألا تهـتم المـرأة بالمظـاهر. (**وقفة**) ومع ذلك ربما أنك فتحت الموضـوع، نعـم كانت الملكة الأم امرأة عادية قبل الزواج.

روزي: آه.. قفزة ثلاثية.. رائعة.. بنت كلب.

دوريس: هل من الضروري أن يهبط المرء بلغتـه ويفسـد إيقاع هذه الظهيرة الناعمة بمثـل هـذه التعبيـرات

الفجة؟!

روزي: كفي عن محاولة التظاهر بالأرستقراطية يا دوريس. سروالك الداخلي ظاهر.

دوريس: حقًا؟.. على أية حال لا أظن أن الملكة الأم تغسل ملابسها بنفسها.. (**تميل بجسدها للوراء وتغمض عينيها**) (**دوريس تضع السماعات على أذنيها وتهمهم.. فترة هدوء..**).

دوريس: أظن أن هذه اللعبة قد استولت عليك تماما.. ولذا فلن أسمع صوتك حتى عيد الميلاد بعد القادم.

روزي: (**تغني برقة.. تحرك البلي**) آه!!

دوريس: (**تفتح عينيها**) هذا بالإضافة إلى هذه السماعات الإلكترونية التي ترتدينها ليل نهار.

روزي: (**تدرس رقعة السوليتير**)... همم...

دوريس: في أيامي كان أفراد العائلة يمارسون فن الحديث..

روزي: آه! (**تحرك بلية أخرى**).

دوريس: (**تراقب روزي بحب**) أمك لم تصل إلى الحل، رغم أنها حاولت..

روزي: (**تخلع السماعات**) هل تتحدثين إلي؟!

(تتمطى) همم.. الجو حار كما لو كنا داخل بالونـة زرقـاء (**تتطلع للأمام**) السهول لا يعلوها الضـباب اليـوم.. كان يجب أن نذهب إلى نصب ووترلو..

دوريس: (**تتطلع إلى السهول بدورها**) لا أدري مـن هـم الأشرار الذين فكروا في بناء هذه الأبـراج العاليـة لتحجب المنظر عنا. إنها خطيئة لا تغتفر.

روزي: المكان هنا رائع يا دوريس. (**وقفـة**) كـن اتصـل ليهنئني بعيد ميلادي.. طلبت منه أن يضـع اليـوم بعض الزهور على قبر مارجريت.

دوريس: (**وقفة**) تصوري.. عشت أنا وجاك في هذا الشارع نفسه منذ ستين عاما. نكافح ونقتصد لنـوفر لابنتنـا فرصة أفضل لتبدأ حياتها.. تفعلين كل ما تتصورينه الأفضل لابنتك، ولكنك تدركين فجأة أن كل هذا لـم يكن ما تريده هي أو حتى تحتاجه..

روزي: تذكري ما قالته جاكي بعد موت مارجريت.. يجـب ألا نعيش في الماضي..

دوريس: حسنًا لم يعد هناك مستقبل.. فأنا محاصرة هنا مـع

حفيدتي في قارب في مهب الريح..

روزي: نانا..

دوريس: (**تواصل الحديث**) مضطرة لأن أعمـل بالقطعـة.. طوال اليوم أربط قصاقيص الورق الملون في خيوط طويلة..

روزي: هل تريدين بالفعل منضدة الحديقة؟

دوريس: تتصورين أن بإمكانك رشوة جدتك؟!

روزي: نعم..

دوريس: (**وقفة**) كم طائرة قلت إنك تريدين؟!

روزي: خمسين.. على نهاية الأسبوع.. يمكـن أن نصـنعها معا ونحن نجلس هنا.

دوريس: "حملة إنتاج الطائرات".. مـن كـان يتصـور أن تتكسبي من صنع الطائرات.. (روزي تحرك بليـه أخرى).. من سيشتري الطائرات هذه المرة؟

روزي: جمعية السلام الأخضر (**جرين بيس**).

دوريس: اتصل مرة أخرى ذلك الرجل من جمعية تحريـر الحيوان..

روزي: أنا لا أتعامل مع الهيئات التي تلجأ للعنف. (**وقفـة**) ماذا قلت له؟

دوريس: إنه مختل سياسيا..

روزي: تعبير جيد.

دوريس: سمعت فتاة تقوله في الفصل المسائي.

روزي: دعيني أخمن.. تريشيا؟!

دوريس: لا.. فتاة جديدة في فصل الأدب النسائي. إنها تعيش في مجتمع الأبراج هناك.. قابلتها في مكتب الخدمات الاجتماعية مع طفليها الصغيرين.. أتعرفين؟ تبـدو للوهلة الأولى من النوع الذي لا يفتح كتابا.. ولكـن هذا يثبت أنه لا يمكن الحكم على الأشياء بـالمظهر الخارجي فقط.. كان جاك مخطئًا.. (**وقفة**) ومع ذلك فكم أتمنى ألا أراك في تلك الأسمال القـذرة.. إنـك تبدين.. مثل.. ضحية..

روزي: أنا صنعت هذا الـ "تي شيرت" بنفسي لكنه تمـزق أثناء المسيرة الأخيرة التي اشتركت فيها. من يدري؟ ربما يعثر عليه شخص ما في غرفة تخزين الأشياء القديمة هنا.. ويتذكر.. (**وقفة**) يتذكرني..

دوريس: الحمد .. على الأقل لم تصابي بجرح. (**وقفة**).

روزي: (**تحرك بلية أخرى**).. انظري! هذه بليـة سـحرية، عندما تنظرين إليها في الشمس ترين داخلها نـافورة متجمدة..

دوريس: يخيل إلي وكأنك بالأمس فقط كنت تحاولين دفعهـا داخل أنفك وأنت طفلة.. (**وقفـة**). سـأذهب لأعـد الشاي.. هل يمكن أن تناوليني حذائي..

روزي: سأعده أنا..

دوريس: لا إنه دوري أنا..

روزي: هل أحضرت لي كعكة عيد الميلاد؟

دوريس: نعم.

روزي: أحبك يا دوريس..

دوريس: لم أسمع هذه الجملة منذ وقت طويل.. (**وقفة**) لقـد استمر زواجنا أنا وجاك واحدا وستين عاما. لا أظن أن كلانا كان يحب الآخر كثيرا.. (**وقفـة**) عنـدي خطاب لك.. ها هو..

روزي: ليس عليه عنوان!!

دوريس: إنه من أمك.. احتفظت بـه لـك فـي صـندوق الذكريات مع خطابـات جـاك وكتـاب التـدريبات المدرسية لمارجريت ورسومات جاكي وهـي فتـاة صغيرة. (**وقفة**) بعد أن أخذتك مارجريـت للنـدن، حضرت جاكي لتراني.. تركـت بعـض ملابسـك وطلبت مني أن أعطيك هذه الرسالة عندما تبلغـين السادسة عشرة.. عيد ميلاد سـعيد.. (**تقبـل روزي وتتجه لداخل الكوخ**).

(**روزي تلتقط الخطاب.. تفتحه وتقرأ..**).

روزي: لا أعرف إذا كنت ستحبينني بقدر ما أحبك، ولكـن يوما ما ستفهمين لماذا فعلت بك هذا.. وأغلب الظن أن ذلك لن يكون قبل أن تستقلي بحياتـك.. (**روزي تلقي الخطاب جانبا.. بعد لحظة تلتقطه ثانية.. تركز انتباهها على رقعة السوليتير وتكمل اللعبة بـبعض الحركات النهائية بحيث لا يتبقى سوى بلية واحـدة في الثقب الأوسط**).

روزي: (**مهللة**) سوليتير.. (**تصحيح**).. نانا.. نانـا.. خمنـي ما حدث.. لقد اكتشـفت السـر. اكتشـفته وحـدي

بنفسي.. نانا؟! سأثبت لك.. تعالى وانظري.. سألعبها من جديد لكي أتذكر دائما.. أين أنت يا نانا؟ (**صمت**)

أوه...

لا يهم..

(روزي تضع السماعات وتهمهم بهدوء وهي تعيـد البـاقي للرقعة.. جاكي تظهر في خلفية خشبة المسرح وهي ترتدي نفس زي المشـهد الخـامس فـي الفصـل الثالث.. مارجريت تظهر هي الأخرى مرتدية ملابس المشهد الثاني في الفصل الثالث.. الطائرة الزرقـاء تحلق فوق رأس مارجريت..).

المشهد الثامن

(تدخل دوريس وهي ترتدي ثوبا منقوشًا موديل ١٩٢٠ نفس الثوب الذي أخرجته جاكي من الصندوق في الفصـل الثاني.. دوريس تغطي رأسها بقبعة مـن القـش مزينـة بالورود).

دوريس:أمي! أمي! خمني ماذا حدث!.. طوال طريق عودتي في القطار.. لم أستطع أن أتمالك نفسي.. لا أعـرف ماذا ظن الركاب بي.. لكني لـم أسـتطع التظـاهر بالهدوء والوقار كفتـاة محترمـة.. أمـي.. تعـالي وانظري.. هل أبدو مختلفة؟! مؤكد.. أشعر كما لـو كنت قد ابتلعت أحد الألعاب النارية.. أوه، كان يوما رائعا.. رائعا.. خرجنا في نزهة.. وصلنا إلى نصب ووترلو التذكاري وجلسنا تحت الشـمس.. تناولنـا البيض والجرجير، لكنه لم يستطع الانتظـار حتـى نتناول كعكة الفاكهة!! شعرت فجأة بخجل شديد.. لم أملك إلا أن أهرب بعيني بعيدا عنـه وهـو يطلـب مني.. أخذت أحملق وأحملق في المفرش.. مربعات

زرقاء وصفراء.. في أحد الأركان كانت نملة تكافح لتحمل قطعة من ورق الجرجير.. أعتقد أن مثل هذه الأشياء تظل محفورة في الذاكرة طوال العمر.. لـم أتصور قط أن يكون الأمر على هـذه الصـورة... (**وقفة**).. بعدها جرينا وجرينا.. تحـدثنا.. وضـعنا خططًا.. شعرت وكأنني نبات بـري.. شـيطاني!! (**تضحك**) أمي؟ أكلنا كعكة الفاكهة التي أعددتها لنـا ونحن في القطار. وضع جاك ورقة كـي لا يسـقط الفتات على قطيفة المقاعد.. لكنه جلس بعد ذلك على ثمرة فراولة.. و.. آه.. أنا أيضا لطخت ثوبي بقعـة من أثر الجلوس على الحشائش.. لكن جاك يقول إنه سيبتاع لي ثوبا جديدا.. و.. أي... أوه، حصلت على ترقية هذا الصباح.. أصبحت رئيس قسم الأطفـال.. استدعتني "مس باتا رورث" لمكتبها.. سقط قلبي في قدمي.. ظننت أنها ستفصلني لأن هذا الثوب أقصـر من اللازم! جاك كان فخورا بي عندما أخبرته ولكنه يقول إنني لن أحتاج للعمل بعد أن.. عنـدما.. أوه.. بالطبع سيطلب يدي منك أولاً.. إنـه ينتظـر فـي

الحجرة الأمامية.. رفعت الستائر ليرى الجيران.. ما يحدث.. أوه.. و.. (**تخفت الإضاءة تدريجيا**) شاهدت باقة زهور العرس التي أريدها تمامـا.. باقـة مـن الزهور البيضاء الصغيرة.. شاهدتها في نافذة متجر "أميلتون".

.. أوه يا أمي.. إنني في غايـة السـعادة.. منتهـى السعادة.. أعتقد أن هذه هي البداية الحقيقيـة لحياتي..

(**تخفت الإضاءة ويظلم المسرح ما عدا بقعة ضوء تسلط على دوريس ثم تنطفئ بصورة مفاجئة..**).

النهاية

إرشادات مسرحية
(قواعد لعبة السوليتير).

السوليتير لعبة مكونة من لوح خشبي مستدير به ٣٣ ثقبا متصلة ببعضها من الداخل، يوضع فيها البلي عـدا الثقـب الأوسط.. تتلخص اللعبة في جمع البلي ووصول بلية للثقـب المركزي من خلال ضرب البلي ببعضه في كل الاتجاهـات عدا الاتجاه الأفقي.. والبلية التي يتم ضربها ببليـة أخـرى ترفع من رقعة السوليتير..

في المشهد السابع من الفصل الثالث لن تحتاج روزي إلا إلـى ١١ بلية على الرقعة لأداء المشهد مع دوريس. رقعة السوليتير لا تحمل أرقاما على عكس الرسم التوضـيحي الـذي تـم ترقيمـه للإيضاح للقارئ الأجنبي. في الرسم يوجد البلي في الثقوب رقم ٥ و ٩ و ١١ و ١٥ و ١٧ و ١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ توجد عشر حركات. البلية التي يتم ضربها تُرفع عن الرقعة بينما تستقر البلية الضاربة في ثقب جديد.

١- البلية في الثقب ٢١ تقفز فوق البلية في الثقـب ٢٢ وتسقط في الثقب ٢٣.

٢- البلية في الثقب ٢٧ تقفز فوق البلية فـي ثقـب ٢٦ وتسقط في الثقب ٢٣.

٣- البلية في الثقب ٢٤ تقفز فوق البلية ٢٣ وتسقط فـي الثقب ٢٢.

٤- البلية ٢٢ تقفز فوق البلية ١٥ وتسقط في الثقب ٨.

٥- البلية في الثقب ٨ تقفز فوق البلية ٩ وتسـقط فـي الثقب ١٠.

٦- البلية في الثقب ١٠ تقفز فوق البلية فـي ثقـب ١١ وتسقط في الثقب ١٢.

٧- البلية في الثقب ١٢ تقفز فوق البلية ١٩ وتسقط فـي الثقب ٢٦.

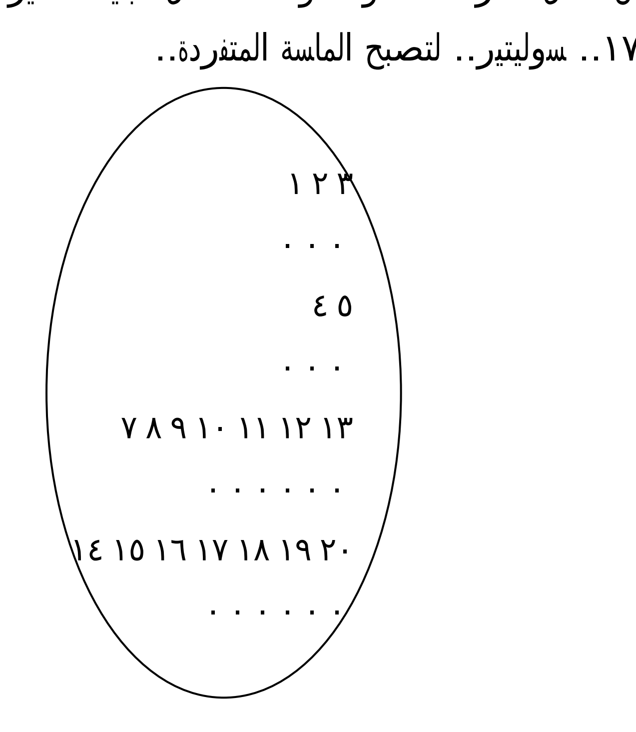
٨- البلية في الثقب ٢٦ تقفز فوق البلية ٢٥ وتسقط فـي الثقب ٢٤.

٩- البلية ٢٤ تقفز فوق البلية ١٧ وتسقط في الثقب ١٠.

١٠- البلية ٥ تقفز فوق البلية ١٠ وتسقط في الثقب ١٧.

ويلاحظ أن البلية ٢٤ (**في الحركة الثالثة**) تسـتمر فـي القفز خلال الـ ٦ حركات التالية، وبالتـالي فعنـدما تقـول

روزي قفزة مزدوجة أو قفزة ثلاثية، تلعب الحركات مـن ٣ إلى ٧ في صورة متتالية.. يمكن للممثلة التي تقـوم بـدور روزي أن تتباطأ في جمع البلي لتطيل زمن الحركة. كـذلك يلاحظ أنه يمكن التعامل بمرونة مع الإرشادات المسـرحية، وإن كان يجب ملاحظة عدم ترك أكثر من ٤ بليـات علـى الرقعة المستديرة عندما تترك دوريس روزي لتقرأ الخطاب في المشهد رقم ٧ من الفصل الثلاث بحيث تسـتطيع روزي أن تكمل الحركات ٨ و ٩ و ١٠ لتصل البلية الأخيرة للثقب ١٧.. سوليتير.. لتصبح الماسة المتفردة..



الساحرات

تأليف

كاريل تشرشل

مقدمة المترجمة

ولدت كاريل تشرشل في لندن في عام ١٩٣٨ لأبوين من الطبقة المتوسطة، وعاشت لمدة سبع سنوات في مونتريـال، ثم عادت لإنجلترا والتحقت بكلية مارجريت في أكسـفورد. كتبت أول مسرحياتها في سن مبكرة، وقدمت أول مسرحيتين لها: **في الدور السفلي نستمتع بأوقاتنا، وميتة سهلة** علـى خشبة أحد المسارح المحلية، وفي عام ١٩٦٢ قدم البرنـامج الثالث بالإذاعة البريطانية مسرحيتها **النمل** التي عكست الظلم الذي يواجه الفرد في المجتمع. وبعد ذلك توالـت أعمالهـا المسرحية من خلال البرنامج الثالث، فقدمت مسرحية **مريض الحب** عام ٦٢، ومسرحية **التوءمان المتمـاثلان** عـام ٦٨، ومسرحية **لا يوجد أوكسجين كـاف** عـام ٧١، وعرضـت مسرحيتها **الملاك** في مسرح الرويال كورت عام ٧٢، وفـي نفس العام قدمت من خلال الإذاعة مسرحية **مـرض شـربر العصبي وماضي هنري** والتي عكست الدمار الذي يهدد حياة الطبقة البرجوازية المتوسطة، وفي عام ٧٥ قدمت مسـرحية **الاعتراض على الجنس** التي صورت خلالها إحبـاط نسـاء الطبقة المتوسطة، ومحاولاتهن للخروج من أسر الضـغوط

الجنسية والسياسية التي ترهق أرواحهن.. وتوالـت أعمـال كاريل تشرشل لتتكشف لحظات الإدراك ولتسهم في تكـوين رؤية جديدة للمرأة والعالم.

ومن بين أعمال كاريل تشرشل المتميزة مسـرحية **القـط توم أو الساحرات** ـ وبقدر الألم الموجع والمـرارة اللـذين يتسربان لنفس المشاهد قطرة قطـرة مـع تـوالي مشـاهد المسرحية، بقدر حجم ذهوله وتفتح إدراكه واستيعابه لحقائق بسيطة غابت عنه في خضم المسلمات والصـور النمطيـة التقليدية التي يختزنها العقل دون مناقشة أو تفكير.. فـالمرأة المختلفة سواء بسبب الفقر أو لمجرد ممارستها حق الـرفض والاختيار موصومة ومرفوضة.. إنهـا السـاحرة الشـريرة مصدر الشر والخطيئة، تدينها قريناتها من النساء المحبطات قبل الرجال.. الكل منكفئ على ذاته وإحباطاته، عاجز أن يمد بصره لخارج ذاته، محتضن ألمه، رافض أن يواجه الحقيقـة أو أن يسعى لتغيير واقعه، مستسلم لفكرة أن القوى الشـريرة والشيطان هما المسئولان عن مأساته أيا كانت.. ولأن دوامة القهر تلف الجميع بصورة أو بأخرى، لا تجد طاقـة الشـر والإحباط منفذا لها أو هدفًا خيرا من امـرأة فقيـرة وحيـدة

أو فتاة مختلفة وإن كانت من طبقة أفضل.. في مثـل هـذا العالم كان لا بد لأليس وبيتي وإلين وحتى سوزن أن يوصمن بأنهن مـن أتبـاع الشـيطان وأنهـن سـاحرات، وكـان لا بد أن يتم حرقهن..

وهنا يجدر بالذكر أنني عندما قرأت مسرحية **القط تـوم** لأول مرة انتابني الذهول.. ففي نفس الفترة كانـت أحاديـث الجن والسحرة وليمة يومية على صفحات بعـض الجرائـد المصرية.. بل إن الممارسات التي كتبت عنها كاريل تشرشل كادت تتطابق مع ما كان القارئ يطالعه يوميا مـن أسـاليب المشعوذين لإخراج الجن من جسد المرضى!!

إن مسرحية **القط توم** (التي اخترت لها عنوان الساحرات عند نقلها للعربية) وبغض النظر عن الحـوادث التاريخيـة والأسماء الأجنبية، ستظل حكاية كل يـوم فـي أي مجتمـع استمرأ الحياة في ظل منظومة القهر، ورفض أن يعمل العقل أو أن يتخذ موقفًا للخروج من الحلقة المفرغـة، مكتفيـا أن يبحث في كل يوم عن ضـحية جديـدة قـد تكـون رجـلاً أو امرأة..

ولعل من المصادفات الغريبة أن ترجمة مسـرحية **القـط**

فينيجار أو (**الساحرات**) كما أطلقت عليهـا، تمـت بـنفس الأسلوب الذي كتبت به كاريل تشرشل عملها، فلقـد قـدمت الكاتبة المسودة الأولى لمسرحيتها لفرقة مونسترس المسرحية في أوائل صيف عام ٧٦، وبعد ثلاثة أشـهر وفـي أثنـاء البروفات وقبل الافتتاح، أضافت كاريل تشرشل للمسـرحية عدة مشاهد وأغنيات وشخصية الفتاة الثرية بيتـي، وكانـت المصادفة أن المشـاهد التـي أضـافتها كاريـل تشرشـل لمسرحيتها في المرة الثانية هي نفس المشاهد والأغنيات التي اكتشفت عقب انتهائي من ترجمة النص في المرة الأولى أنها ناقصة.

ورغم أن النص في صورته الأولى كان أشـبه بحدوتـة وقعت أو تخيلت المؤلفة أحداثها، فثمة شيء بين سطوره كان يؤكد أن هناك ما هو أكثر من ذلك، فلقد شعرت أن المؤلفـة لا تهدف إلى استعادة حدوتة من الماضي أو سـرد وسـائل تعذيب الساحرات أو حتى إدانة فترة فـي التـاريخ، بقـدر ما حاولت أن تؤكد من خلال هذه الدراما - التي من المؤكد أنها تكررت أكثر من مرة وإن اختلفـت تفاصـيلها - أنـه ما أشبه اليوم بالبارحة، وعندما وقع بين يدي النص الكامـل

للعمل تأكد ظني، خاصة عندما عرفت أن المؤلفـة أصـرت على أن يؤدي الأغاني كورس يرتدي ملابس معاصرة لتكون رسالتها أكثر وضوحا، فحدوتة **أليس وجوان وإلين وبيتـي** وكل الشخصيات ما زالت مستمرة وإن اختلفت الأزمنة.

ففي فترات الانحطاط تُستلب ذات الإنسان، ليتحول إلـى مجرد مجموعة من الوظائف أو الأرقام دل كل واحد منهـا على دور محدد، وتتحول فردية الإنسان وطموحاته ورغباته الحقيقية وحتى أحلامه إلى أدلة إدانة ضده، ويصبح عليه أن يتناساها أو يقمعها داخل ذاته ليعيش في أمان في ظل الأطر الاجتماعية والثقافية والاقتصـادية المفروضـة، وتـدريجيا يتحول الإنسان على مجرد ترس في منظومة فاسدة لا تتعفف أن تسخر العلم والفكر وحتى الدين لخدمة أهدافها.

في ظل هذا الإطار الفاسد الذي يفقد فيه الإنسـان ذاتـه وحلمه، يصبح البديل الوحيد أمامه لإفراغ شـحناته النفسـية وغضبه المكبوت إما الإيمان بالدجل والشعوذة، أو تمثل دور حامي حمى القيم السائدة، أو دور ممثل الادعاء الذي يـدين الآخرين. أما محاولة الخروج عـن الأدوار فهـي مغـامرة مجنونة غير مسموح بها، ومن يجرؤ عليها يكون مصـيره

التكفير أو القتل.

ولقد اختارت المؤلفة لأحداث مسرحيتها أرضا مـا، فـي زمن أقرب ما يكون للعصور الوسطى، حيث سـاد الجهـل وفُرغ الدين من جوهره، ليصبح مجرد قشرة زائفـة تبـرر العفن وتمنطقه لصالح طبقة ما، فتُحاصر أفكار البشر وتُقتل قبل ميلادها ويفقدون إنسانيتهم تماما. وفي هذا الإطار، نرى بطلات كاريل تشرشل مجموعة من النساء تتنازعهن الرغبة فيما بين الخروج عن الأدوار المألوفة، وما بين الحفاظ عليها ليضمن لأنفسهن مكانًا على الأرض... مجموعة من النسـاء أحلامهن مكبلة ومرهونة بمساعدة الآخرين، فخلاص ألـيس أن يحملها الغريب بعيدا، والأم تترحم على أيـام زوج كـان يضربها، وسوزن التي يقتلها الإحساس بالذنب لمجرد أنهـا شعرت في لحظة ما أنها تود أن تكف عن الإنجاب بعـد أن تعرضت للموت في الولادة الأخيرة، يقتلها إحساسها بالـذنب قبل أن يقتلها باكر ـ الذي يقنعها أن موتهـا هـو طريـق الخلاص، ثم بيتي وميرجيري وجاك الذين يلجئـون جميعـا للساحرة لا ليعرفوا الحقيقة ولكن ليوهموا أنفسهم بها.

ورغم أن النص يمثل واحدا من أهم النصوص في بدايـة

الحركة النسائية في السبعينيات في إنجلترا، فإنني أتصور أن الرجل هنا، وعلى عكس ما تصور بعض المشـاهدين عنـد العرض الأول للمسرحية، هو الآخر ضحية. فالرجل نفسـه وإن كان أداة متسلطة تفرض من خلالها الأدوار، إلا أنه هو نفسه ضحية للأطر المفروضة التـي تحولـه إلـى فريسـة للازدواجية والتناقض ما بين القول والفعل، فهو يحلم بامرأة ويتزوج بأخرى، ويستجدي المرأة الحلم ليستأسد على الزوجة التعسة الممرورة، لتتحول العلاقة بينهما إلى مجرد مؤسسـة مادية هدفها الحصول على مزيـد مـن الأرض والماشـية، وعندما لا يتحقق الحلم يستسلم جاك لألعاب العقـل وحيلـه، ويشعر بالعجز ويلقي التبعة على أليس، ليجد لنفسه مبـررا للالتزام بدوره كترس في آلةٍ تسحق أليس وجوان وسـوزن، ولا تنجو منها بيتي ـ التي قصدوا دمهـا ـ إلا بالرضـوخ وقبول الزواج.

ويلاحظ أن أدوار الطبيب وباكر والمنادي وجاك قد قـام بها ممثل واحد.

بقيت كلمة أخيرة، وهي أنني أعترف أنني عندما شرعت في ترجمة هذا النص توقف القلم في يدي بعد عدة أسـطر،

وكأنما استيقظ في نفسي فجأة رقيب يحذرني من كم الأسـئلة التي تكتنف نصا بهذه الصورة، ومع ذلك فإن كـم الأسـئلة والقضايا التي يطرحها هذا النص، والتي تتعامل مع حقيقـة الإنسان ومشروعية الحلم وحرية التفكير والمصـير المـؤلم الذي ما زال يواجه كل من يجـرؤ علـى رفـض الأدوار المفروضة وإن كانت غير منطقية، كل هذه الأسباب كانـت كفيلة أن تقنع الرقيب الداخلي أن يصمت ولو إلى حين، بأمل أن يدرك القارئ الشحنة الانفعالية والقضية الإنسـانية التـي فجرتها الكاتبة، والتي أتصور أنها ولو لم تقصد فقد عبـرت فيها عن قضية الإنسان المقهور عموما، لا قضـية الرجـل والمرأة فقط.

سناء صليحة

مقدمة المؤلفة

تعرفت إلى فرقة "مونسترس ريجيمانـت" Monstrous Regiment في ربيع عام ١٩٧٦، كانت البداية عندما التقيت بكريس باولر التي قدمتني لباقي أفراد الفرقة، ورغـم أنـي لا أستطيع أن أتذكر كيف ولدت فكرة مسرحية **القط فينيجار** فإنني أذكر جيدا أنه في أحد لقاءاتي مع أفراد الفرقة قالوا لي إنهم يريدون أن يقدموا مسرحية عن الساحرات، وكنت فـي نفس الفترة قد انتهيت من قراءة كتـاب بـاربرا إيرنـرتش وديردر إنجليش عن الساحرات والقابلات والممرضات، وفي لقاء تالٍ قدم لي أعضاء الفرقة قائمة بالكتب التـي قرءوهـا حول هذا الموضوع ودعوني لأحضـر بروفـات مسـرحية "**حثالة المجتمع**" التي كانوا على وشك تقديمها، ولقد تركـت تلك المقابلات المتعددة مع أعضاء الفرقة أكبر الأثـر فـي نفسي، حتى أنها غيرت من أسلوبي في العمل.

فعندما التقيت بفرقة موسترس ريجيمانت كـان عمـري الأدبي يساوي نصف سنوات عمري الحقيقي ـ فقـد بـدأت رحلتي مع الأدب وأنا ما زلت بعد طالبة منذ ثمانيـة عشـر

عاما، وخلال تلك السنوات قدمت كثيرا من الأعمال الدرامية والإذاعية التي لم يكن مسموحا لأحد، أيا كان، أن يطلع عليها أو يناقش أفكارها قبل أن تظهر في صورتها النهائية، ظـل هذا أسلوبي لسنوات طويلة، حتى التقيت بفرقة مونسـترس، لأكتشف من خلالهم أسلوبا جديدا للكتابة، تتولد فيه الأفكـار من خلال المناقشات الجماعية التي تحدد في النهاية الصورة التي سيظهر عليها العمل.

وأعترف أن أسلوب العمل الجديد وفكرة التعاون مع فرقة نسائية متجولة جمهورها أكبر وأكثر تنوعـا مـن جمـاهير المسارح المغلقة، كل ذلـك أثـار حماسـي، خاصـة وأن المناقشات بيننا أثبتت أن نقاط التقابل في الأفكار والمشـاعر أكثر بكثير من أوجه الخلاف.

ورغم أنني كنت في ذلك الحين أكتب مسـرحية "**النـور يشرق في باكنجهامشير**" لفرقة مسرحية أخرى تحمست لهـا لأسباب مختلفة، فإنني وفي ذروة حماسي ـ تعهدت لجماعة مونسترس أن أقدم لهم العمل الذي يريدونه عن الساحرات.

وبالرغم من أن الانهماك في عملين أدبيين مختلفين في آن واحد يعد مشكلة حقيقية يشوبها كثير من المحـاذير، أقلهـا

تداخل الأفكار والشخصيات، فإن التداخل بين مسرحية "**القط فينيجار**" ومسرحية "**النور يشرق**" أثرى المسرحية الأولى.

كانت مسرحية "**النور يشرق في باكنجهامشـير**" تـدور حول الثورة الإنجليزية عام ١٦٤٠، وبالتالي فقد عكفت على دراسة أوجه الحياة في تلك الفترة سواء من الناحية السياسية أو الدينية أو الاجتماعية في نفس الوقت كنت أطالع بعـض الكتب التي نصحني أفراد فرقة مونسترس أن أقرأها قبل أن أبدأ في كتابة العمل الخاص بها، وعندما انتهيت مـن ذلـك تبلور في ذهني ما أريد أن أكتب عنه بالفعل، فلم يعد محور مسرحية **القط فينيجار** الساحرات أو السحر، بـل السـيدات اللاتي اتهمن بكونهن ساحرات، حيث أدركت أن السحر إنما وجد في كل العصور كوسيلة لمقاومة الاضطهاد، إنه وهـم لجأ إليه المعذبون، وأن الساحرات كن مجرد كـبش فـداء. أدركت لأول مرة العلاقة ما بين الصـورة السـلبية للمـرأة وما بين صورة الساحرات في العصور الوسطى، واكتشـفت أن كل السيدات اللاتي تمت إدانتهن في تلك الفترة كن علـى هامش المجتمع، فهن عجائز فقيرات وغير متزوجـات، إن أسلوب العلاج بالأعشاب الذي كانت تتـولاه المـرأة غالبـا

اختفى في تلك الفترة بظهور الأطباء المحترفين الذين وصفوا تقاليد العلاج بالأعشاب بالشعوذة وربطوها بالسحر، وهكـذا بدأت معالم المسرحية تتضح في ذهني.

الأحداث ليست مأخوذة من واقعة تاريخية محددة، الزمان: القرن السابع عشر الذي شهد نهاية عصر السحر في إنجلترا وبداية عصر حافل بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية التي لـم يدفع ثمنها سوى الفقراء.

وبالمناسبة، فإن تقارير محاكم اسكس التي تعطي صـورة واضحة عن بشاعة عملية تعذيب الساحرات لم تفارق مخيلتي طوال فترة العمل، وهكذا اتضحت لي الرؤية تماما، أدركت أنني أريد أن أكتب مسرحية عن الساحرات بدون ساحرات، مسرحية عن الشر والهستريا والفقـر والإذلال والاضـطهاد وعن السيدات اللاتي اتهمن بالسحر.

وعرضت أفكاري على عضوات الفريق، وكتبت المسودة الأولى للمسرحية في ثلاثة أيام، وكانت تضم على ما أعتقـد أغنية أو اثنتين فقط، وقدمتها للفرقة التي رحبت بها وتركتني لأكمل مسرحية "**النور يشرق**" التي استغرق إعدادها ثلاثـة أشهر وافتتح بها مهرجان أدنبرة عام ١٩٧٦. وفـي شـهر

سبتمبر عدت مرة أخرى لفرقة مونسترس التي كانت تقـوم ببروفاتها على المسرحية، وفي تلك الفترة أضـفت للـنص شخصية "بيتي" لأعبر بها عن نموذج آخر مختلف عن أليس وجوان، فهي فتاة ثرية تتعرض للقهر لمجرد الاعتراض على الزواج من شخص لا تريده.

وأثناء البروفات قالت جيليان حنا (التي قامت بدور أليس) إن طفل أليس الذي ذكر في أول المسرحية لم يظهر له أثـر بعد ذلك رغم تطور الأحداث، وعلى الفور اتخـذت ركنًـا وجلست لأكتب مشهد باكر وأليس الذي ينتهي بسؤاله لها إذا ما كان الطفل ابن الشيطان..

لقد شعرت في تلك الفترة أن العمل يسطر نفسه بنفسـه، ولقد أفادني أسلوب العمل مع فرقة مونسترس حيث خلصني من الإحساس بالخجل والخوف وغير من أسلوب عملي، بعد أن أدركت أن المناقشات تسهل عملية الكتابة وتجعلها أكثـر إتقانًا. وبالمناسبة، ففي هذه المرحلة مارست وللمرة الأولـى تجربة التأليف المشترك مع هيلين جلافين التي كانـت تعـد موسيقى الأغاني، فأضفنا مقطوعات أخرى.

كلمة أخيرة:

عندما نشرت مسرحية **القط توم** "فينجيار" لأول مرة فـي مجلة المسرح ربع السنوية quarterly Theatre لم تتضـم أي إرشادات مسرحية، فأنا أفضل ألا أضـمن مسـرحياتي إلا القليل جدا منها، حيث إنني أحرص على متابعـة العمـل أثناء فترة البروفات، ومع ذلك فقد أدركت خطأ فكرتي عندما عرضت المسرحية في سان فرانسيسكو وجامعة سميث فـي ماشوسيت، وأدركت أني يجب أن أضيفها كي لا يحـدث أي لبس، فالكورس الذي يؤدي الأغاني يجب ألا يكون جزءا من الحدث، وبالتالي يجب أن يكون مختلفًـا عـن الشخصـيات المؤدية للأدوار الأساسية في المسرحية، ويجب أن يرتـدي أفراده ثيابا معاصرة.

الملحوظة الثانية:

إن مشهد الوخز بالدبابيس يجب أن يظهر كمشـهد إذلال لا تعذيب، وأن يدرك المشاهد من خلاله أن باكر ليس مجرد شخص مجنون سادي النزعة، بل شخصا يؤدي مهمة كـأي متخصص.

وأخيرا، فمن الضروري أن تلعـب سـيدتان شخصـيتي كارمر وسيبرنجر، ويلاحظ أنه في عرض فرقة مونسـترس قامت بالدورين الممثلتان اللتان لعبتا دور إلين وجوان وهمـا ترتديان ملابس الرجال.

والنكات وبعض الجمل الافتتاحية ارتجلها الممثلون، بينما باقي المشهد من كتاب كل من كارمر وسبرنجر.

كاريل تشرشل

كلمة فرقة كتيبة الرعب

"مونسترس رجيمانت"

مسرحية **القط فينيجار** هي العمل الثـاني لفرقـة كتيبـة الرعب "مونسترس ريجيمانت"، ولدت الفكرة قبـل ظهـور المسرحية بعام كامل وإن لم تكن واضحة تماما آنذاك، فقـد تنوعت قراءات أعضاء الفريق في الموضـوع، ورغـم أن الفكرة لم تكن تبلورت بعد في أذهاننا، فإننا اتفقنا جميعا على أننا لا نريد أن نقدم الرؤية التقليدية للساحرة التي تصـورها كشمطاء عجوز أو غانية، وفي أثناء إعدادنا لمسرحية "**حثالة المجتمع**" التقينا بكاريل تشرشل، ولحسن الحظ تلاقت أفكارنا فتعاقدنا معها على الفور.

وخلال فترة وجيزة قدمت لنا المسودة الأولـى لعملهـا، كانت كلماتها القليلة تزخر بالسخرية والمشاعر الحقيقية التي تعبر عن المرأة، لم تكن نحتاج لإعادة صـياغة أو تعـديل، ولكننا قررنا أننا نحتاج لشخصـية أخـرى، تبـرز أشـكال الضغوط التي يمكن أن يمارسها المجتمع الضيق حتى علـى الفتاة الثرية، ويسلبها من خلالها حقها في تقريـر مصـيرها

لتصبح هي الأخرى ضحية لا فـرق بينهـا وبـين ألـيس أو سوزن.

كان العمل مع كاريل تشرشل أول احتكاك حقيقي لنا مـع كاتبة، إذ أننا لم نمض وقتًا كافيا مع الكاتبة كليـر لوكـاهم مؤلفة المسرحية الأولى للفرقة ـ التي كانـت تعـيش فـي ليفربول ـ وبالتالي حدت التزاماتها الأسرية من الوقت الذي تمضيه معنا أثناء البروفات. كان التعاون مع كاريل تشرشل تجربة عمر بالنسبة لنا جميعا، فقـد اسـتطاعت أن تشـعل حماسنا، وأتاحت لنا الفرصة لنتحدث بصراحة عن السـيدات المقهورات، وعندما قررنا إضافة شخصية بيتي ناقشنا مـع كاريل ما تريد أن تقوله الشخصية والمشاهد التـي نحتـاج إليها، وبينما نحن نؤدي البروفة، جلست كاريل فـي هـدوء لتكتب المشاهد الإضافية التي بدت طبيعية وغير دخيلة على العمل، وفي نهاية اليوم كان العمل قد اكتمل.

وفي أثناء البروفات قررنا أن نضيف عددا من الأغـاني، وأن تُؤدى بطريقة معاصرة وبآلات حديثـة، وقـد قامـت بالتلحين هيلين جلافين. لقد كان هدفنا من هـذا العـرض أن نلقي حجرا في البركة الساكنة، وأن نبتعد عن صورة المرأة

النموذج لنقدم المرأة الحقيقية بكل مشاعرها الخفية، وبالطبع كانت النتيجة مجموعة مـن ردود أفعـال مثيـرة، فبقـدر ما أزعجت المسرحية الرجال أثارت النساء، وشعر الـبعض أن الأغاني تمسهم بصورة أو بأخرى، والحقيقة أننا لم نسـع قطعا لأي إهانة أو إدانة، كل ما في الأمر أننا لم نكن نريـد أن نفصلهم عن الموضوع وأن نضع بيننا وبيـنهم حـاجزا تاريخيا.

لذلك فقد اتهمنا البعض بأننا نستثير عوامل الحقـد بـين الرجل والمرأة، واعتبر البعض المشهد الأول مشهدا فاضحا، ومع ذلك ورغم ردود الفعل مستنكرة لأفكار المسرحية، فقـد نوه النقاد بالنص، حيث وصفه تد شاليه ناقد صحيفة التـايمز بأنه صورة مختلفة عن الصـور المألوفـة الموروثـة مـن الأساطير.

بقيت ملحوظتان بخصوص هذا العمل: الأولى أننـا فـي مشهد وخز أليس بالدبابيس استخدمنا دما حقيقيـا، وكانـت النتيجة أن بعض المشاهدين فقدوا الوعي. أمـا الملحوظـة الثانية، فهي أننا في مشهد الشنق لم نستخدم عـرائس، بـل وقفت كل من جوان وأليس بشكل يوحي أنهمـا مشـنوقتان

بالفعل، ومع ذلك فقد ظن المشاهدون أنهما عروســتان فلــم يلقوا بالاً إليهما طوال المشهد، الأمر الذي أثار ثائرتهما!!

القط فينيجار
أو الساحرات

المشهد الأول

(طريق جانبي).

الرجل: أأكون الشيطان؟

أليس: ماذا يا حبيبي؟

الرجل: أنا الشيطان. يقولون رجل متشـح بالسـواد، هكـذا يقولون دائما، قابلني في الظلام رجل متشح بالسـواد ودفعني بين الأشجار وأجبرني على أشياء قـذرة، لا يصح الحديث عنها.

أليس: لقد رأيت رجالاً يرتدون الأسود وليسـوا شـياطين، وإلا كان القساوسة ورجال الطبقة الراقية شياطين.

الرجل: وماذا عن عيني.. ألا تتقدان بلهب محرق؟

أليس: إنهما براقتان بما فيه الكفاية.

الرجل: أليس جسدي خشنًا غزير الشعر؟

أليس: لا أحب الرجل الناعم جدا.

الرجل: ألست باردا كالثلج؟

اليس: بل مأوى في برد نوفمبر.

الرجل: ألم أسقط عليك كحجر حتى كدت أزهق أنفاسك؟ ألـم يرعبك حجمي المهول؟

أليس: إنه معقول، لا يختلف عن أحجام الرجال الآخرين.

الرجل: ألم أؤلمك؟ هل تقصدين أنني لم أؤلمك؟

أليس: ليس من الضروري أن تكون الشيطان لتفعل ما فعلته، فقد أوذيت من رجال من قبل.. والآن دعني فأنـت تؤلم كتفي..

الرجل: ما هذا؟ ألم تري قدمي؟

أليس: إنك لم تخلع حذاءك قط.. اخلـع حـذاءك إذا كانـت قدماك مشقوقتين كالشيطان.

الرجل: إذا أتيت معي ومنحتني جسدك وروحك فلن تحتاجي أبدا لأي شيء في هذا العالم.

أليس: كلام رجاله؟!

الرجل: وهل أقوله كشيطان؟

ألـيس: إذا كنت تعني ما تقوله فسأذهب معك. لا أحد ممـن يعرفوني هنا سيتزوجني، ولا أمـل فـي أن أحقـق ثروة.. بالمناسبة لدي طفل، وليكن في علمك أنني لن

أتركه..

الرجل: له أب؟!

أليس: لا.. لم يكن له أبدا..

الرجل: إذن فأنت تعتقدين أن ما فعلناه ليس خطيئة؟

أليس: حتى لو كان.. لا يهمني..

الرجل: لا تقولي هذا..

أليس: لو أنك عشت هنا لقلت أسوأ من ذلك.. ما من مرة شعرت فيها بالسعادة إلا قال أحدهم إنها خطيئة.

الرجل: البعض في لندن يقولون إنه لا يوجد شيء اسمه الخطيئة. لكل إنسان دينه الخاص تقريبا أو لا دين على الإطلاق، وسيدات يتحدثن بصراحة.. يدخن ويرسلن اللعنات في الحانة، ويقلن إن الجسد ليس خطيئة، فهن شخصيا آلهة، والآلهة لا تخطئ. يجتمع الرجال والنساء ويقولون إنها الجنة وإنهم طاولوا السماء وإن ما يفعلونه ليس بخطيئة.. أعتقد أن هناك بوادر تغير..

أليس: كم أود أن أذهب إلى لندن وأستمع إليهم.

الرجل: ولكني أعتقد أن قليلين جدا من وجـدوا الخـلاص، وأنني ملعون للأبد.. وبالتالي وإذا كنـت فـي كـل الأحوال ملعونًا فالأفضل أن أرتكب خطيئة تسـتحق اللعنة.. ولكني خائف من الموت.. أخـاف عـذاب الآخرة. كم أتمنى أن أعترف بأخطائي لتحترق مـع الشموع.

أليس: هل تأخذني معك للندن؟ لا شيء لي هنا سوى أمـي ولسوف أتركها.

الرجل: أتعتقدين أني مبعوث الشيطان إليك؟ أشعر أحيانًـا أن الشيطان تملكني، ثم ما ألبث أن أقول لنفسي إنـه لا يوجد شيء اسمه الشيطان..

أليس: لن أترك هذا المكان أبدا إذا لم تأخذني معك.

الرجل: هل ستفعلين كل ما آمرك به وتطيعيني كمـا تطيـع الساحرة سيدها الشيطان..

أليس: سأقوم بكل ما تقوم به الزوجـة لزوجهـا وسـيدها، وأعتقد أن هذا يكفي سواء كنت رجلاً أم شيطانًا.

الرجل: وهل ستفعلين كل ما تفعلـه السـاحرات لإرضـاء الشيطان؟

أليس: سأفعل كل ما يسعدك.. ألم أُرضك الآن؟

الرجل: شاهدت في اسكوتلانده ساحرة تُحرق..

أليس: حقًا؟ ساحرة حقيقية؟ هل كانت ساحرة حقيقية؟

الرجل: لقد أُحرقت بالفعل بالكامل.

أليس: وهل انطلقت من جسدها الأرواح مثل الخفافيش السوداء؟ هل أظلمت السماء بفعل الشيطان؟ لقد سمعت الكثير من قصص الساحرات وسمعت عن سيدة في قرية مجاورة، يدعي البعض أنها ساحرة وينكر آخرون، ومع ذلك فلم يرها أحد.. هل كانت تطير بعصاها في الليل؟ هل رأيتها تطير؟

الرجل: رأيتها تُحرق.

أليس: احك لي إذًا.. ماذا قالت؟

الرجل: لم تك تستطيع أن تتكلم على ما أعتقد، فقد استجوبوها.. هناك أكثر من وسيلة لحملها على الاعتراف، كسحق الرأس بالحبال مثلاً. جاءت إلى مكان الحرق في عربة وأخرجها الرجال.. كانت مصلوبة على وتد وترتدي حذاء لسحق العظام. ثم وضعوا الحطب حولها وأشعلوا النار مثل الألعاب

النارية..

أليس: أوه.. إنني أرتجف.. أبسط الأشياء تجعلني أبكي..

الرجل: لقد ارتجفت فعلاً.

أليس: أتمنى أن أرى كل هذا، ولكنني قد أخفي وجهي.. هل أخفيت وجهك؟

الرجل: لا.. لقد رأيت كل شيء..

أليس: إذن أعجبك المنظر؟!

الرجل: محتمل.

أليس: هل ستأخذني معك إلى لندن.. إلـى اسـكوتلانده؟!.. لا شيء يحدث هنا.

الرجل: آخذك معي؟

أليس: أرجوك.. لن أزعجك.

الرجل: عاهرة.. أأحمل معي عاهرة؟

أليس: لست بعاهرة.

الرجل: من أنت إذن؟ أي صفة تطلقينها على نفسك.. لسـت زوجة ولا أرملة، لست عذراء.. قولي صفتك.

أليس: لن تذهب.. ابق قليلاً..

الرجل: لقد بقيت أطول من اللازم، أشـعر بـالبرد.. بـرد الشيطان. حان وقت العودة إلى النيران الدافئة هه.

أليس: ابق معي.

الرجل: هلا أفسحت الطريق.

أليس: أرجوك..

الرجل: ابعدي..

(يدفعها فتسقط على الأرض).

اليس: اذهب إلى الجحيم.. إلى الشيطان أيها الشيطان.

الرجل: تلعنينني.. أستطيع أن ألاحقك بلعناتي..

أليس: شيطان غبي.. أنت غبي.. ابن حرام.. عليك اللعنـة يا شيطان.

الرجل: اذهبي إلى الشيطان.. عاهرة.. عـاهرة.. شـيطانة ملعونة.. مومس.. ساحرة.

أليس: عد.. لن ألعنك.. ألا تلعن أنت!! كنا أصـدقاء منـذ قليل.

الرجل: إذًا كان من المفروض أن تحسني سلوكك..

أليس: هل سأراك ثانية؟

الرجل: إلا إذا رأيتك أنا أولاً.

أليس: ولكن هل سأراك ثانية؟ كيف أعثر عليك؟

الرجل: يمكنك أن تستدعيني.

أليس: كيف؟ أين؟ كيف أستدعيك؟

الرجل: لديك قاموس اللعنـات.. مـا عليـك إلا أن تنـادي الشيطان.

أليس: لا تمزح.. أنت لست الشيطان.. ما اسمك؟

الرجل: لوسيفر.. أليس هذا اسمه.. وبليزباب (*) .

أليس: لا.. ما اسمك؟

الرجل: كان اسمي حبيبي وروحي، إلى أن دعوتني شيطانًا.

أليس: لن أدعوك شيطانًا.. عد.. ما اسمك؟

الرجل: لا حاجة لك أن تعرفيه فلن تريني ثانية..

---

* لوسيفر اسم من أسماء الشيطان يدل علـى النـور، وبليزبـاب أو بعل الذباب اسم آخر للشيطان يدل على الجحيم.

المشهد الثاني

(منزل جاك ومارجيري).

جاك: وادي النهر هو ما يجب الحصول عليه.

مارجيري: فكرت في الحقل الطويل أعلى التل؟

جاك: لا، وادي النهر أفضل للماشية.

مارجيري: والقمح يا جاك.. تصور حقـلاً طـويلاً ممتلئـا بالقمح.

جاك: عانى صاحبه من قلة المحصول لمدة عامين.. ولهـذا لا يستطيع دفع الإيجار.

مارجيري: لا، ولكنه لا يملك ماشية.. أما نحن فسنكون فـي حال طيبة.

جاك: إذا امتلكنا كلا الحقلين.

مارجيري: هل نستطيع؟ الاثنان؟

جاك: كلما امتلكنا أكثر ازدادت مقدرتنا..

مارجيري: وسنصلي أن يرسل لنا أشعة الشمس.

جاك: من هناك بجانب النهر؟

مارجير: إنها أليس.. أليست هي؟... تتجول.

جاك: إنني مندهش كيف تسدد الأم نوكس الإيجار.

مارجيري: إيجار كوخ ليس بالشيء الكثير.

جاك: لطالما تساءلت متى نراهم يطردون.

مـارجيري: لا أدري لماذا يتركونها تبقى هنا.. لو أننا جميعا عشنا مثلها لتدهور حال المقاطعة، وأليس..

جاك: لا يمكنك لوم أليس..

مارجيري: بل تستطيع لومها ولا عجب، فإنها تفعل بالضبط ما هو متوقع من فتاة ربتها جوان نوكس.

جاك: إذا أجرنا الحقلين سنضطر لاستئجار رجل ليساعدنا في الحصاد.

مارجيري: نستأجر رجلاً؟

جاك: هذه ليست أليس.

مارجرير: هل معقول أن تكون مس بيتي قد خرجت وحـدها مرة أخرى؟

جاك: لا أرضى أن أكون أباها حتى لو امتلكت كل أرضه..

مارجيري: إنها فكرة طيبة.. استأجر رجلا..

جاك: إنها قادمة إلينا.

مارجيري: ماذا سنفعل؟

جاك: نعاملها باحترام.

مارجيري: لا، ليس هذا ما أقصد.. أعني هـل سنصـحبها للمنزل؟ ليس من المفروض أن تخرج.. يقولون إنها ما زالت سجينة في غرفتها.

جاك: لن آسف لرؤيتها.

مارجيري: أحب أن أراها.. كانت دائما رقيقة.. عندما كنـت أجلسها في حجري لم أشعر أبدا بأن لها عظاما مدببة مثلنا.. كان من الممكـن أن أظـل جالسـة طـوال الظهيرة هكذا لمجرد أن أشم رائحة شعرها. ولكنهـا لم تعد طفلة الآن.. لم يعد الوصول إليها ممكنًـا إلا بصعوبة.. إنها تواجه مشاكل في البيت ولا يجب أن نساعدها على الخطأ.

جاك: لا يمكننا أن نمنعها إذا دخلت.. هل نستطيع؟

(ينتظران وبعد لحظة تدخل بيتي).

مارجيري: مس بيتي.. يا للروعة!

بيتي: جئت لأراكِ وأنتِ تحلبين الأبقار.

جاك: لقد انتهينا للتو يا آنسة.. الأبقار بالداخل.

بيتي: هل الوقت متأخر لهذه الدرجة؟

مارجيري: تريدين العودة للبيت قبل حلول الظلام؟

بيتي: لا.. لا أريد.. أريد أن أبقى بالخارج في الظلام.. ليس الوقت متأخرا.. إنه الظلام أثناء ساعات النهار.. كان يمكن أن أبقى خارج البيت لساعات أخرى لو كنا في الصيف..

جاك: إذا كنت تريدين مشاهدة المزرعة يا مس بيتي فاطلبي من والدك أن يصطحبك صباح أحد الأيام وهو يتفقد الضيعة.

بيتي: لا يسمح لي أن أذهب حيثما أريد.

جاك: عندي أعمال مع والدك.

مارجيري: سنأخذ وادي النهر للماشية.

جاك: والحقل الطويل أعلى التل.

بيتي: كنت ألعب هنا طوال اليوم.. لم يختلـف أي شـيء.. أمازلت تحتفظين بقدح بيتي؟

مارجيري: هذا صحيح.. كان لها قدحها الخاص.

بيتي: في أحد الأيام حلبت لبن البقرة الحمراء ودخـل رذاذ اللبن في عيني.

جاك: لقد ماتت البقرة الحمراء.. ولكن لدينا الآن أربع بقرات جدد لم تشاهديها بعد.

مارجيري: ماتت في الأسـبوع الماضـي.. نفقـت بقرتـان أو ثلاث في الحظيرة.

بيتي: ليتها لم تمت.

جاك: لا يهم أن نفقد واحدة فأحوالنا في تحسن.

مارجيري: ولقد سمعت أن أحوالك أنتِ الأخرى في تحسن..

بيتي: ماذا؟

جاك: سمعت أنك ستتركيننا لأشياء أفضل.

بيتي: لا.

مارجيري: بالأمس فقط كنت أقول إن ميس بيتي الصـغيرة التي عرفناها هنا ستصبح "ليـدي" عنـدها منزلهـا الخاص و..

بيتي: إنهم يسجنوني.. عندما قلت لهم إنني لـن أتزوجـه

حبسوني.. ألا تعرفين ذلك؟

مارجيري: سمعت شيئًا من هذا القبيل.

بيتي: هربت من النافذة.

مارجيري: أليس من الأفضل لك يا بيتـي أن تتزوجيـه وأن تكوني سعيدة؟ الجميع يتمنون ذلك.. الجميع يحبـون الزواج.

بيتي: مارجيري.. هل أستطيع البقاء هنا الليلة؟

مارجيري: سيقلقون عليك.

بيتي: هل أستطيع؟ أرجوك.

جاك: لن يفيدك هذا يا آنسة.

بيتي: في طريقي إلى هنا تسلقت شجرة.. رأيـت الضـيعة كلها.. رأيت الضفة الأخرى من النهـر.. أردت أن أقفز وأطير..

مارجيري: هلا تركت جاك يصطحبك الآن للمنزل يا آنسة.. لقد حل الظلام.

المشهد الثالث

(في بيت جان).

جوان: أليس؟

أليس: لا داعي لأن تستيقظي يا أمي.

جوان: ستصابين بالبرد لبقائك بالخارج طوال الليل في هـذا الجو.

أليس: إذا كنت ستستيقظين لمجرد الندب فلا داعي.

جوان: مع من كنتِ؟

أليس: هل استيقظ؟

جوان: لا، لم يصدر أي صوت.

أليس: نومه الآن أفضل، قلت الأحلام المزعجة.

جوان: تعالي يا طفلتي.. يوجد بقية الحساء..

أليس: لا أستطيع أن آكل.

جوان: تبقين بالخارج حتـى منتصـف الليـل ومـع ذلـك لا تستمتعين بوقتك.. إذن ابقي مع الطفل.. اجلسـي بجوار المدفأة وحدك حيث لا تجدين من تتحدثين إليه

سوى القط العجوز فينيجار، أما أنا فسأنطلق للخارج.

أليس: أنتِ تخرجين؟

جوان: أمر مضحك، أليس كذلك؟! ما فائدة الخروج لمثلي؟

أليس: سأبقى بالمنزل إذا كنت تريدين هذا.

جوان: إلى أين أذهب؟ من يريد امرأة عجوزا مثلي؟

أليس: هل تريدين أن أمضي وقتًا أطول معك؟

جوان: امرأة عجوز تتجول في البرد.

أليس: هل تريدين بعض الحساء يا أمي؟

جوان: مع من كنت هذه المرة؟ شخص أعرفه؟

أليس: أوه يا أمي.. إنني أشمئز من نفسي.

جوان: لو أن لكل واحدة منا رجلاً لكان حالنا أفضل.

أليس: لم يكن حالك أفضل يا أمي.. لطالما قلت لـي إنـك سعدت بموته، تذكري كيف كان يضربك..

جوان: أول شيء كنا سنحصل على طعام أكثر..

لا أحد يغني

قبلت امرأة عجوزا.. عجوزا.

جعلتني أرتجف

قالت

سنوات العمر تقتل

حبك للحب

لا أحد يغني عن هذا، لكنه يحدث طول الوقت

قد أسعد بالتغيير حتى بسن اليأس

لكن أشعر أني لست أنا

لو كان لوجودك قيمة

هل ترغب أن ينزع جلدك

لا أحد يغني عن هذا لكنه يحدث طول الوقت

من يرغب في تجاعيد وكراميش

حين يتشقق جلدك ويجفف

ويقولون معزين إنها هرموناتك

حين تبكين وتبكين وتبكين

لا أحد يغني عن هذا لكنه يحدث طول الوقت

وبصوت غاضب مهزوم

همست..

لم يرني أحد..

في أول أعوامي

أعماهم حسني وجمالي

والآن

أعمتهم أعوامي..

لا أحد يغني عن هذا

لكنه يحدث طول الوقت

المشهد الرابع

(في مخزن جاك وماجيري ـ ميرجيري تخض اللبن).

جاك: أسرعي لتنتهي من صنع الزبد يا امرأة.

مارجيري: الزبد لا يظهر.

جاك: لدينا أعمال أخرى

مارجيري: الزبد لا يظهر.

جاك: أنت لا تخضين اللبن.. تجلسين للثرثرة فقط.

مارجيري: مع من أتحدث؟

جاك: سمعت صوتك الآن.

مارجيري: إنها الأم نوكس.

جاك: تتسكع كالعادة.

مارجيري: ابنتها ليست أفضل حالاً.

جاك: هل كانت ابنتها هنا؟ لا.

مارجيري: قلت للأم نوكس أن تقف في وجهها.

جاك: قلتي لها.

مارجيري: قلت لها.

جاك: انتهي الآن من صنع الزبد وكفي عن الثرثرة.

(يخرج جاك - ميرجيري تخفـق الزبـد وتغنـي بصـوت منخفض).

مارجيري: اظهر يا زبد.. اظهر يا زبد، فجـوني بالبـاب، ينتظر الكعكة بالزبد، ينتظر الكعكة بالزبد.. اظهر يا زبد اظهر يا زبد.. جوني بالباب ينتظر.

(تتوقف عن الغناء عندما تشعر بدخول جـوان نـوكس التي تقف خلفها).

جوان: كنت مارة بالصدفة.

مارجيري: ثانية.

جـوان: هل يمكن أن تقرضيني قليلاً من الخميرة.. تصوري ليس عندي خميرة.. لم يعد عندي ولا ذرة، ولـيس لدي خبز في المنزل ولقد فكرت.. فكرت أن أخبـز الآن وأن أخمر قليلاً من البيرة. ولكني عندما ذهبت لأحضر خميرة لم أجد شيئًا منها. من كان يتصـور هذا؟ ولا ذرة خميرة.

مارجيري: ستكونين في حال أفضل بدون البيرة.

جوان: وعندما مررت ببيتك فكرت في قليل من الخميرة.

مارجيري: لتسكري.. يجب أن تخجلي من نفسك.

جوان: لأخبز رغيفين صغيرين.

مارجيري: ليس عندي خميرة.

جوان: رغيفان صغيران لن يحتاجا لكثير من الخميرة.. سيدة موسرة مثلك لها رجل وحقل جميل وخمس بقـرات وثلاثة خنازير والكثير من التفاح الذي تصـنع منـه خمورا جيدة - وليباركك الـرب ألـف مـرة يـا مارجيري - لن تحرم جارة من رغيف صغير.. هه بحق العشرة القديمة يا مارجيري.. أتعرفين.. عندي دقيقي.. أنا لا أطلب دقيقًا.

مارجيري: لقد أعطيتك خميرة في الأسبوع الماضي.

جوان: قطعة صغيرة جدا من الخميـرة وسـيباركك الـرب لعطفك على جارتك العجوز الفقيرة..

مارجيري: لست محتاجة إلى هذه الدرجة يا جوان نوكس.

جوان: لو لم أكن محتاجة لأكلات.. لاسترحت وما أزعجتك.. بعض الناس موسرون أغنى مني.. أنا لا أملك شيئًا.

مارجيري: كل المال الذي يأتيك تشربين به.

جوان: لو أن عندك متاعبي يا مـارجيري لعرفـت أهميـة الكأس، ولكن وبما أنه ليس لديك متاعب والحمد ، فكوني امرأة طيبة وأقرضيني قليلاً من الخميرة.

مارجيري: ليس عندي خميرة.

جوان: إنني أعرفك يا مارجيري.

مارجيري: ما الذي تعرفينه؟

جوان: أعرف أن لديك خميرة.. عيناي عجـوزان ولكنـي أستطيع أن أقرأ ما بـداخلك.. أنـت امـرأة بـاردة وتزدادين سوءا وستموتين هنا وحيدة بلا صـديق.. ولكنك إذا أعطيـت الخميـرة لجيرانـك الطيبـين فسيباركك كل واحد منهم.

مارجيري: ليس لدي خميرة.

جوان: ولكنك لا تعطين أحدا، فيقولون يا لها من امرأة بخيلة ممرورة، ويلعنونك.

مارجيري: لا أحد يلعنني.. والآن اخرجي مـن هنـا أيتهـا العجوز القذرة.. تأتين إلي يوما بعد يـوم ورائحـة

الخمر تفوح منك لتتسولي، ولا أستبعد أنك تسرقينني أيضا.

جوان: ما كان يجب أن تقولي هذا.

مارجيري: ويدخل قطك الكبير القبـيح ليسـرق الكريمـة.. اخرجي من معملي.

جوان: ستندمين على حديثك معي بهذه الصورة.. لقد كنـت دائما صديقتك يا مارجيري ولكن من الآن ستعرفين أنني لم أعد..

مارجريري: لدي عمل يجب أن أفرغ منه.. والآن اخرجـي فإنني أصنع زبدي..

جوان: اللعنة على زبدك.

مارجيري: ممكن تخرجي؟

جوان: فلتذهبي للشيطان أنتِ وزوجك وحقولـك وبقراتـك وزبدك وخميرتـك وبيرتـك وخبـزك وعصـيرك ووجهك البارد..

مارجيري: امشي.

(تخرج جوان وتخفق مارجيري الزبد).

مارجيري: اظهر يا زبد.. اظهر يا زبد فجوني بالباب ينتظر الكعكة بالزبد.. اظهر يا زبد اظهر يا زبد.. لا يظهر هذا الزبد لا يظهر، لا يظهر.. لقد مللت..

(يدخل جاك).

جاك: ما الأمر؟ أنت امرأة كسول.. أتعرفين هذا؟ الأحـوال سيئة بما فيه الكفاية.. العجل الأسود الصغير يبـدو مريضا..

مارجيري: الزبد لا يظهر.. لعنته الأم نوكس.

جاك: كسول وقحة.. اشتغلي..

مارجيري: اظهر يا زبد.. اظهر يا زبد.. اظهر يـا زبـد.. اظهر يا زبد.. اظهر يا زبد. جـاءت الأم نـوكس تتسول وتقترض.. ما زال لديها ساطانيتي الكبيـرة التي أعطيتها فيها بعـض البـيض عنـدما كانـت محتاجة.. ثم تدعي أنني عاملتها بخشونة. لقد كنـت جارة طيبة لهذه المرأة لدرجة العبط لسنوات طويلـة وبلا مقابل.. سنستعيد الساطانية منها.. جـاك هـل تسمعني؟ اذهب إلى الأم نوكس وأحضر سـاطانيتي وسنسخن حدوة حصان لدرجة الاحمرار ونضعها في

اللبن ليظهر الزبد..

المشهد الخامس

(خارج منزل جوان).

(أليس وسوزن تجلسان على الأرض).

سوزن: لا تتحدثي عن الرجال طول الوقت.

أليس: كان يعرف ما يفعله.

سوزن: (**بتهكم**) ستعرفين ما كان يفعله خلال بضعة أشهر.

اليس: لا.. هذا لا يحدث أبدا.. فالمرأة المـاكرة. وضـعت بداخلي تعويذة.

سوزن: (**في قلق**) يبدو أن الأمر بالنسبة لي يحتاج لأكثر من تعويذة.

أليس: مرة أخرى؟ هل يعرف؟!

سوزن: إنه يريده.. عرفت في تلك الليلة.. فقد قال فلنأمل أن يسفر هذا عن طفل جميل.

أليس: وماذا قلت أنت؟!

سوزن: ليأخذه الشيطان.

أليس: وماذا كان رده؟

سوزن: إنه لا يحب أن أستخدم هذه الألفاظ.

أليس: ولكن رضيعك لم يكمل عاما.

سوزن: تأخرت أسبوعين تقريبا.

أليس: ولكن الرضيع لم يفطم.

سزون: لم يكن الطفل قد فطم عندما حملت في الرضيع.

أليس: يمكنك أن تذهبي للمرأة الماكرة.

سوزن: لماذا؟

أليس: إنها قابلة جيدة.

سوزن: لا أريد قابلة فعندي أمي، على أية حال لا أريـد أن أفكر في الأمر.. (**نبرة ثقيلة**) كدت أموت في المرة الأخيرة.. استغرقت الولادة يومين..

أليس: اذهبي وقابلي المرأة الماكرة.. مجرد زيارة.

سوزن: لماذا؟

أليس: لتتأكدي.

سوزن: أنا متأكدة.

أليس: تستطيع أن تعطيك تعويذة.

سوزن: يقولون إن ألم المرأة يكفر ذنوبها، عندما شكوت لـه

قال إنني يجب أن أفكر في حواء التي جلبت الخطيئة للعالم، وإنني بسببها أحمل.. يجب أن أتـذكر كيـف تغوي النساء الرجال، وأنه على المرأة أن تكفر عن ذنوبها بالآلام، وبالتالي فإن أي محاولة لتفادي الألـم مخالفة لمشيئة الرب.

أليس: إنني أكره جسدي.

سوزن: لا تقولي هذا.. الرب خلقه.

أليس: دم كل شهر ولا خلاص منه إلا بأعراض مرضـية، وانتفاخ لا يمكن التخاص منـه إلا بـآلام الـولادة.. ولا مخرج من هذا كله إلا أن نصبح عجائز وهـذا أسوأ.. إنني لا أتحمل منظـر أمـي وهـي تغيـر ملابسها.. لو كنت رجلاً لذهبت إلى المدينة.. إلـى الشمال ولما عدت أبدا لآخر فتاة بين الأشجار.

سوزن: (**في لهجة مرحة**) يمكنك زيارة المرأة الماكرة.

أليس: لماذا؟

سوزن: للحصول على تعويذة.

أليس: لماذا؟

سزن: حجاب محبة يعيده.

أليس: لا أريده أن يعود.

سوزن: هل كان جميلاً.. أجمل من أي شخص هنا لتحزنـي كل هذا الحزن..

أليس: كانت الدنيا مظلمة.. لن أعرفه لو قابلته مرة أخرى.

سوزن: ليس المهم مظهره.. بل مخبره؟

أليس: أؤكد لك أنني تغلبت على ذلك الآن.. أستطيع أن أسير عبر ذلك الحقل ثانية وأن أصـادفه هنـاك بـنفس الطريقة ولا أشعر بشيء. أريد رجلاً أجـده عنـدما أحتاج إليه.. في أي وقت، لا مجـرد وغـد أقابلـه بالصدفة في ليلة ما إذا ما أسعدني الحظ.

سوزن: كنت تقولين دائما إنك لا تريدين أن تتزوجي.

أليس: لا أريد أن أتزوج.. انظري لنفسـك، مـن تريـد أن تصبح مثلك؟

سوزن: (**تهم بالنهوض وتقول في عنف**) إنه لا يضربني.

أليس: لا يضربك!!

سوزن: ماذا بي؟! أفضل منك.

أليس: ثلاثـة أطفـال ومرتـان أو ثـلاث إجهـاض، ثـم يا للروعة.. هو لا يضربك.

سوزن: لن يتزوجك أحد هنا لأنهم يعرفونك.. لهذا تقـولين إنك لا تريدين أن تتزوجي.. لن يطلبك أحد للـزواج لأنهم يعرفونك هنا.

(تبتعدان عن بعضهما ويقترب جاك الـذي ظهـر فـي الخلفية منذ برهة نحو أليس).

جاك: لم أحضر هنا من أجلك.

أليس: لم يخطر هذا ببالي قط.

جاك: كان من المفروض أن يخطر لك.

أليس: لماذا؟

جاك: تعلمين لماذا.

أليس: جئت لترى أمي، أليس كذلك؟

جاك: في عمل.. نعم لهذا جئت..

أليس: إنها بمكان ما هنا.. سأناديها.

جاك: لا داعي للعجلة.. انتظري قليلاً، فنحن لا نجد فرصـة لنتحدث قط.

أليس: ليس هناك ما نتحدث عنه.

جاك: لقد نسيت.. أحضرت لك شيئًا.

(يعطيها تفاحتين).

أليس: أشكرك.. وبعد؟!

جاك: لست وسيما للغاية.. هل هذا هو السبب؟

أليس: لا أريد متاعب.

جاك: لن يعرف أحد.

أليس: إذا قلت إنك لست وسيما بدرجة كافية.. هل تذهب؟!

جاك: أليس يجب أن تقبلي.. عندي أحلام.

أليس: وزوجة..

جاك: لم أعد أصلح لزوجتي. لم أعد أستطيع منذ ثلاثة أشهر. لا أستعيد نفسي إلا عندما أحلم بك أو أتحدث معك.

أليس: أمي.. شخص يريد مقابلتك.

جاك: أليس.. ارحميني.

أليس: هل تسمعينني.. ستخرج لمقابلتك.

(أليس تتراجع للخلفية وتظهر جوان).

جوان: ما الخبر؟

جك: جئت لأستعيد السلطانية.

جوان: سلطانية؟! سلطانية؟!

جاك: سلطانية زوجتي التي أعطتك فيها البيض أيتها العجوز ناكرة الجميل.

جوان: جئت تطلب السلطانية؟! هل تتصور أنني لن أردهـا؟ أتعتقد أني سرقتها؟ متى احتفظت بأي شـيء ولـم أرده؟ خذ سلطانيتك.. سأحضرها لك فقد تنفعك..

جاك: أحضريها إذن عليك اللعنة وبسرعة وإلا عرفت مذاق يدي..

(تخرج).

أليس: لماذا تعاملها بهذه الطريقة؟

جاك: لا تتحدثي معي.. دعيني آخذ السلطانية وأرحل.

أليس: ولا تعد مرة أخرى.

جاك: أليس، سأكون رفيقًا بك.. لسـت فقيـرا أسـتطيع أن أمنحك أشياء لطفلك.

أليس: اذهب للجحيم.

(جوان تعود).

جوان: هاك سلطانيتك يا جاك، خذها على الحذاء.. امـش.. عد لمنزلك وأتمنى أن تجد هناك متاعب أكثـر مـن متاعبي هنا.

جاك: سأدق عنقك إذا نطقت كلمة أخرى.

جوان: ابعد يدك عني، شُلت يدك.

أليس: عد لمنزلك يا رجل.. اذهب للجحيم.

(يخرج جاك).

جوان: إلى الجحيم.. لم أحب هذا الرجل قط.. ولا زوجته.

أليس: لا تفكري فيهما.. إنهمـا لا يسـتحقان أن تضـيعي وقتك.. اذهبي واجلسي بجوار النار.. اذهبي.. ادخلي لتشعري بالدفء.

(تخرج جوان وتقترب سوزن من أليس).

أليس: الجميع يكرهون أمي ولهذا.. لا أحد يريدني.

سوزن: آسفة لما قلته يا أليس.

أليس: ستذهبين إذن لزيارة المرأة الماكرة.

سوزن: وهل ستذهبين أنت من أجل حجاب المحبة؟

أليس: أهو.. شيء نفعله. أليس كـذلك؟ هـذا أفضـل مـن الانتظار.. انتظار أن يحدث شيء.. لو أن لدي رقية لجعلته يظهر أمامي الآن.. سأفعل أي شيء.. هـل ستأتين؟

(أليس تعطي سوزن تفاحة).

سوزن: سأصحبك.. ولكن فقط لأشكو متاعبي.. لا ضرر في ذلك..

"أيها الطبيب"

أيها الطبيب..

قل لي.. عالجني

ما الذي ألم بي..

نفسي..

أعرف أنني حزينة

وقد أكون مريضة

أو شريرة

أرجوك خلصني وبسرعة

أيها الطبيب.

المشهد السادس

(بيت صاحب الضيعة - بيتي مقيدة إلى مقعد والطبيب على وشك أن يبدأ فصد الدم من ذراعها).

بيتي: لماذا قيدوني؟ قيدوني ليفصدوا دمي؟ لماذا يفصد دمي؟ لأني كنت أصرخ، ولماذا أصرخ؟ لأني شريرة، ولماذا أنا شريرة؟ لأني كنت سعيدة، ولماذا كنت سعيدة؟ لأني هربت بنفسي بعيدا عنهم، ولماذا كنت أصرخ؟ لأني شريرة ولماذا أنا شريرة؟ لأني مقيدة ولماذا قيدوني؟ لأني كنت سعيدة؟ ولماذا كنت سعيدة؟ لأني كنت أصرخ..

الطبيب: الهستيريا هي ضعف المرأة.. إن كلمة Hysteron اليونانية تعني الرحم... إن الدم الزائد يؤدي لاضطراب الهرمونات والغازات السامة التي تتكون داخليا كل شهر تصل للمخ، وتؤدي لسلوكيات مختلفة تماما عن طبيعة المريضة ومشاعرها الحقيقية. بعد أن يفصد الدم يجب أن تتطهري.. الليلة ستعانين من القروح وقريبا جدا ستصبحين في حالة

طيبة لتتزوجي..

"أيها الطبيب"

أيها الطبيب

إلى أين تأخذ جلدي

أين تضع عظامي

أغلقت عيني واستسلمت

ولكن قلبي ما زال يهيم بعيدا

لماذا تسجن عقلي في زجاجة

لماذا تعود بي للوراء لتعكس كل الأشياء

لا تنظر إلي بعينيك المعدنيتين

لا تقطعني أشلاء قبل موتي

قف.. أعدني

قف.. أعدني

أعد إلي جسدي

إلى من تعطي رحمي

لمن تكشف أنفاسي

قل لي بماذا همست للممرضة

أيا ما كان عندي

أنت تزيده سوءا

ما زلت في كامل وعيـي ومـع ذلـك لا أسـتطيع الصراخ

لماذا لا أستطيع أن أرى ما تخرجه

لا تنظر إلي بعينيك المعدنيتين

لا تحولني لأشلاء قبل موتي

قف.. أعدني

قف.. أعدني

أعد لي جسدي

أوه أيها الطبيب

قل لي.. عالجني

ما الذي ألم بي..

نفسي..

أعرف أنني حزينة

وقد أكون مريضة

أو شريرة

أرجوك خلصني وبسرعة

أيها الطبيب

ما الخطأ أن أكون نفسي؟

ماذا ألم بي؟

أريد أن أرى نفسي

أريد أن أرى ما بداخلي

أعد لي رأسي

سأقوم قلبي

دعني أترك الفراش الآن

أتمنى أن أرى نفسي

أعد لي جسدي

لأرى نفسي

أعد لي جسدي

لأرى نفسي.

المشهد السابع

(في صومعة غلال جاك ومارجيري).

مارجيري: جاك.. جاك تعال بسرعة..

جاك: ماذا تريدين الآن؟!

مارجيري: العجول.. هل رأيت العجول؟

جاك: ما الذي تدبره تلك المرأة الآن؟

مارجيري: العجول ترتعد وتنبعث منها رائحة نتنـة فظيعـة تجعل من المستحيل أن تقترب منها.. كما انتفخـت بطونها

(جاك يخرج) لا فائدة من الجري، لن تستطيع أن تفعل شيئًا، سيموتون كالبقرة الحمراء.. أنت لا تحبني.. اللعنـة على هذه الحياة العفنة، العجـول تعفنـت وترتعـد هناك.. لا فائدة من ذهابك يا جـاك.. الأفضـل أن تتوقف لترسل لعناتك، كل شيء يضـيع.. آه.. مـا هذا؟.. من هناك؟! اخرج أيها الوحش. اخرج (**تلقي بفردة حذائها**) جاك.. جاك..

جاك: كفي عن الضوضاء.

مارجيري: إنه قط الأم نوكس العجوز الكريه.. سأقتل هـذا القط لو أمسكته. ينشر الروائح النتنـة فـي معملـي النظيف ويسرق الكريمة، أين ذهب؟

جاك: دعيه.

مارجيري: ما رأيك في موضوع العجول إذن؟ لا يمكـن أن نفعل شيئًا.. أليس كذلك؟ ماذا نسـتطيع أن نفعـل!! لا شيء.. لا شيء نفعله.. ولكن مستحيل ألا نفعـل شيئًا.. أوه.. أوه..

جاك: ما الأمر الآن؟

مارجيري: جاك.

جاك: ماذا؟ لا تخيفيني يا امرأة.

مارجيري: رأسي.. آه معدتي، آه.. جاك أشعر أنني مريضة.

(تجلس على الأرض).

جاك: انهضي يا امرأة.. ليس هذا وقته، هناك ما يجـب أن نفعله.

مارجيري: لا شيء.

جاك: لا شيء.

جاك: إذن استلقي هناك لبرهة فقد تشعرين بتحسن.. أستطيع التحرك بصعوبة.. ما الذي فعلته لأستحق ذلك؟ لماذا أنا؟ لماذا ترتعد عجولي؟ لماذا تمرض زوجتي؟

مارجيري: إنه يزول الآن.

جاك: لماذا أنا؟!

مارجيري: كان ألما فظيعا.. ما زلـت أشـعر بـه.. إننـي أرتجف.. انظر.

جاك: الآخرون يخطئون لكن عقابهم أقل بكثير منا.

مارجيري: يجب أن نصلي للرب.

جاك: نحن نصلي للرب وهو يمطرنا بالأحزان.

مارجيري: من المؤكد أننا نستحق ذلك بشكل مـا، ولكنـي لا أعرف السبب.. إنني أفعل كل ما فـي طـاقتي.. أفعل كل ما في طاقتي يا جاك.. الـرب يعلـم.. ألا أفعل يا جاك؟! الرب يعلم أنني أعمل كل جهدي.

جاك: ألا يخطئ الآخرون؟ هل أنا وحدي الذي أخطئ؟

مارجيري:لست رجلاً شريرا يا جاك..

جاك: مؤكد أنني أسوأ رجل.

مارجيري: لا يا عزيزي.

جاك: وهل يبتلي ا رجلاً صالحا بكل هذا؟ هل يفعل؟ إنهـا خطاياي التي جعلت عجولي هناك ترتعـد وتـتعفن وتنتفخ بطونها.

مارجير: لا تقل هذا.

جاك: خطاياي تتعفن وتنتفخ.

مارجيري: إلا لو كان ما يحدث ليس من فعل الرب.

جاك: كيف أتحمل كل هذا؟

مارجيري: لو لم يكن الرب.

جاك: ماذا؟

مارجيري: وإذا لم يكن الرب، فمن يرسل لنا المتاعب؟

جاك: الشيطان؟

مارجيري: أحد خدامه.. وإذا كنا مسحورين فهذا يفسر الأمر يا جاك..

جاك: مسحورين؟

مارجيري: الزبد لا يظهر.. العجول تنتفخ.. وأنـا أصـاب بالآلام في الرأس.

جاك: إذن هي ليست خطاياي، فالصالحون يسحر لهم.

مارجيري: الصالحون أمثالنا.

جاك: الجميع معرضون لذلك..

مارجيري: الأغنياء يمكنهم إبطال السحر.

جاك: الصالحون هم هدف السحرة.

مارجيري: الشيطان لا يتحمل أن يرانا سعداء.

جاك: هل تعرفين من هي؟

مارجيري: من؟

جاك: الساحرة.. من هي؟

مارجيري: من؟!

جاك: أنت تعرفينها.

مارجيري: لقد صبت لعناتها على الزبد.

جاك: وعلي عندما أخذت السلطانية..

مارجيري: قالت إنني سأندم لأني حدثتها بتلك الطريقة.

جاك: تمنت أن أواجه المتاعب في المنزل.

مارجيري: فليأخذ الشيطان زوجتك وأبقارك.. قالت ذلـك..

وزبدك.. لقد أطلقت لعناتها على العجول.. جعلـتهم يرتعدون وأصابتني في رأسي ومعدتي.

جاك: سأدق عنقها.

مارجيري: لا تتهور، فمن الآن يجب أن نحذرها.

جاك: لست خائفًا من الساحرة العجوز.

مارجيري: يجب عليك.. تستطيع أن تقتلك.

جاك: سأقتلها أولاً.

مارجيري: انتظر يا جاك.. دعنا نواجه المكر بالحيلة.. علينا الآن أن نتخلص من السحر..

جاك: هي لن تفعل لمجرد أن نطلب منها ذلك، ولكنهـا قـد تفعل إذا نالت بعض اللكمات.

مارجيري: لا.. انتظر يا جاك.. نستطيع أن نـتخلص مـن السحر ونقاطعها نهائيا وهذا ما تستحقه.

جاك: ماذا نفعل إذن؟ نحرق شيئًا؟!

مارجيري: هل نحرق حيوانًا حيا؟! أم ندفنه؟!

هذا كفيل بأن يبطل أثر السحر عن باقي الماشية.

جاك: إذن نحرق العجل الأسود.. نحضر قليلاً مـن القـش

والخشب ونضعه في الفناء وفوقه العجل ثم نشعل فيه
النار.

مارجيري: وهل سيسير إليها؟

جاك: وإلا سأحمله..

مارجيري: إن رائحته عفنة.

جاك: تلك رائحة السحر.. سنحرقها.

مارجيري: يجب أن ندعو الرب أن يحفظنا من الشـيطان..
وأن نتضرع له أن يحمينا من السحرة.

جاك: سنصلي للرب لكي يساعدنا ويساعد الآخرين أيضا.

مارجيري: سترى النار وتشم الدخان وستعرف أننا نقاومها..
هذه الساحرة العجوز النتنة لن تستطيع أن تؤذينا.

شيء ما نحرقه.

ماذا نستطيع أن نفعل.. لا شيء

ماذا نفعل في المرض.. في الجوع.. في الموت

لا شيء.. لا شيء، سوى اللعنات.

والندب والبكاء..

فلنبحث عن شيء نحرقه

يرتفع مع الدخان

وتذهب معه متاعبنا

الألم له أسباب

أحيانًا نلقي اللوم على ساحرة

أو على الجنون

فالمذنبون دائما هم الزنوج

أو النساء أو اليهود [٢].

ولكن أيا ما يكون

سنكون سعداء

لو رحلت كل الساحرات

ابحث عن شيء نحرقه

يرتفع مع الدخان

فلنحرق متاعبنا.

---

(٢) نماذج القهر والاضطهاد في العقل الأوروبي ينـدرج تحتهـا اليهود والزنوج والنساء ـ (المترجمة).

المشهد الثامن

(كوخ إلين.. سوزن وإلين تجلسان على الأرض.. تبـدو سوزن خائفة).

إلين: لك أن تقبلي أو ترفضي يا عزيزتـي فـالأمر سـيان بالنسبة لـي.. إذا أردت الـتخلص مـن متاعبـك فستقبلين.. ولكن أنت وحدك تعرفين ما تريدينه.

(سوزن تنظر لإلين وتقول بسرعة).

سوزن: لم أحضر من أجل هذا.

أليس: ولكنك بالطبع حضرت من أجل ذلك.

سوزن: أردت أن أتأكد.

أليس: أنت متأكدة.

سوزن: أردت تعويذة ضد الألم.

إلين: سأحضر لأكون قابلتَك إذا أرسلت لي قرب الموعـد، وسأفعل كل ما في وسعي إذا كـان هـذا كـل مـا تريدين..

إلين: إنها تريد التخلص منه.. حسنًا هل تريدينه؟!!

(سوزن تنظر لأليس).

سوزن: لا أريده.. ولكني **(في نبرة حائرة)** لا أريد التخلص منه. أريد التخلص منه ولكن دون أن أفعل شيئًا.

إلين: إذا لم تكوني مستعدة لأن تفعلي أي شـيء لمسـاعدة نفسك فسيظل الوضع على ما هو عليه.

سوزن: سأصلي للرب.

إلين: إنها ليست خطيئة. إنه مجرد شراب.

سوزن: أوه.. لا أعرف.

إلين: دعيها تذهب للمنزل.. تستطيع أن تعـود إن أرادت.. معك تعويذتك المأمونة يا أليس؟!

مفعولها سيكون أكثر فاعلية لو أنك قابلت الرجل وأعطيتـه جرعة من الدواء الذي سأعطيك إياه.

أليس: لن يحتاج لجرعة إذا قابلته.

إلين: أواثقة أنت أنه ليس معك شيء يخصه؟!

أليس: لم يعطني شيئًا.

إلين: قليل من الشعر أو قطرة دم تفرق.. فهي جـزء منـه ويمكن للقوى أن تستخدمها لاستدعائه.

أليس: في المرة القادمة عندما أقابل حبيبا سأنتزع قليلاً مـن الشعر.. هيا يا سوزن.

إلين: سأعطيك تلك الأعشاب لعلاج جراح قلبك.. اغليها في الماء واشربيها في الليل.. ستجعلك تستغرقين في نوم هادئ وسيقل تفكيرك فيه..

أليس: لا أريد أن يقل تفكيري فيه.

إلين: إذن ستنامين.. ستقابلين رجالاً آخرين إذا لـم تقابليـه هو.. فتاة ذكية مثلك تستطيع أن تفكر فـي أشـياء أخرى.

أليس: مثل؟!

إلين: تعلم حرفة.

أليس: أليس في هذه خطورة؟

إلين: ما الخطر في أعشاب؟!

أليس: ليست مجرد أعشاب.

إلين: ما الخطر في العلاج؟

أليس: ليس مجرد علاج.. هل هو؟!

إلين: هناك قوى ما ولك أن تسخريها إما للعلاج أو الأذى..

استخدميها كما تشائين ولكـن لا خطـر إذا كنـت تستخدمينها في العلاج.. ما الخطر إذن؟

أنت بالذات يمكنك أن تستخدميها فهي مقدرة ليسـت متاحـة للجميع..

أليس: أتعلم الأعشاب؟!

إلين: وكل علوم الحكمة.. خطوة خطوة سأعلمك.

أليس: لم يخطر هذا ببالي قط.

إلين: خذي وقتك، لست متعجلة، فأنا لا أريدك إلا إذا شعرت أن هذا ما تريدينه. لن أطلب منـك أجـرا ولكنـك ستحضرين إلي خلال أيام لتقدمي لي أي شيء فأنـا مضطرة لأن أكسب قوتي.. تسـتطيعين عندئـذ أن تخبريني كيف تسير الأمور مع رجالك الصغير وبما تفكرين فيه.

أليس: نعم سأعود.. طبت مساء. ماذا تنتظرين يا سوزن؟

سوزن: قد آخذ جرعة من الدواء معي، وأفكر عندما أعـود للبيت إن كنت سأتناولها أم لا.

إلين: لا تخافي لن تؤذيك.. ستريحك.

المشهد التاسع

(كوخ إلين).

بيتي: لا أعرف سببا لوجودي هنا.

لقد أخذت بالفعل علاجا بما يكفي، فالطبيب يزورني يوميا.

إلين: أنت تعرفين سبب وجودك هنا.

بيتي: يقول الطبيب إن أمثالك لا يعرفون أي شـيء.. إنـه يعتقد أنه قد شفاني فقد قلت لهم إنني سأتزوج لمجرد أن يطلقوا سراحي، ولكني لن أفعل ذلك أبدا..

إلين: هل تريدين جرعة دواء لتحبي الرجل؟

بيتي: أفضل واحـدة تجعلـه يكرهنـي ليتركنـي وشـأني أو.. تقتله..

إلين: ما يمكن أن أقدمه لك هو أن أساعدك على النوم.. لـن أضره لأجلك، فلا تطلبي ذلك.. نامي وفكري فيمـا تريدين.

بيتي: هل يمكنني أن أعود مرة أخرى.. أحيانًا، فقط لأكـون هنا.. إنني أحب المكان.

إلين: تعالي عندما تشائين.. إنني لا أتقاضى أجـرا ولكنـك ستحضرين هدية صغيرة.

بيتي: سأعطيك أي شيء لو ساعدتني.

إلين: تعالي عندما تحبين.

المشهد العاشر

إلين: لم أقل إنني لا أستطيع أن أفعل شـيئًا، ولكـن إذا لـم أستطع فسيكون السبب أنكما تركتمـاه أكثـر مـن اللازم.

جاك: ساعديني.. لقد قالت لي شُلت يدك وفي اليـوم التـالي تيبست.

مارجيري: نريد أن نتأكد.. لقد تحدثت مع آخرين وعرفـت أنهم هم أيضا يشكون في الأمر.. فلقد لعنت وسـبت اثنين أو ثلاثة.. الأولى فقدت حملاً والأخرى نفقـت دجاجاتها. وعندما كنا نتحدث تذكرت قطها الكبيـر الذي يتسلل دائما إلى معمل ألباني لـيملأه بالعفونـة ويسرق الكريمة.. آه ما هـذا.. صـرخت.. ألـيس كذلك.. فقد كان القط وشعرت بلطمة داخل رأسي.. إنه رسولها المألوف من قبل الشيطان.

جاك: لقد رأيت فأرا يجري من فنائها إلى فنائنـا وطاردتـه بأسنان المذراة، ولكن أسنانها انقلبت وكادت تـدخل في قدمي بسبب سحرها القذر، لقد كان الفـأر أحـد

خدامها.

مارجيري: ومع ذلك فيجب ألا يساق الإنسان وراء ظنونـه بشأن جيرانه، فلقد كانت في وقت ما جارة بحق.. لو أنك أكدت لنا صدق ما قلناه لأمكننا أن نـرد عليهـا وضمائرنا مستريحة.

جاك: لقد صحت فيها عبر السور.. قلت لها سأجعلك تشنقين أيتها العجوز العاهرة.. تُحرقين وتُشـنقين، فلعنتنـي مرة أخرى.

مارجيري: لقد حرقنا عجلاً حيا لننقذ بقية عجولنا، ولكن بعد فوات الأوان.. لو أنني تأكدت أنها هي، لكان الأمـر أسهل.

غلين: لدي مرآة هنا.. مرآة مغبشة.. انظرا للمـرآة مليـا.. مليا لتريا إذا كان سيظهر فيها أي وجه.

(تعطيها المرآة).

مارجيري: هيا يا جاك، لا تخف.

جاك: الأمر لا يعجبني.

مارجيري: هيا، إنه سحر طيب حتى نعرف من الساحرة.

إلـين: انظرا في المرأة وتذكرا كل النكبات التي حلت بكمـا وانتظرا ما تريانه.

مارجيري: ليس شيئًا بعد، أترى شيئًا؟

جاك: لا.

مارجيري: لا شيء بعد.

جاك: كفى ثرثرة.

مارجيري: انظر.

جاك: ماذا؟

مارجيري: هل تحرك شيء في المرآة؟ قلبي يدق بعنف.

جاك: الظلام حالك.

مارجيري: كلا، انظر.

جاك: لقد رأيت شيئًا.

مارجيري: إنها الساحرة.

جاك: إنها هي بكل تأكيد.

مارجيري: إنها هي، أليس كذلك؟ الأم نوكس، أليس كذلك؟

جاك: كانت الأم نوكس في المرآة.

إلين: جميل. لقد حصلتما على ما تريدان.

مارجيري: وهذا يؤكد أنها ساحرة.

إلين: ليس لي أن أقول إنها سـاحرة أو لا، لقـد أعطيتكمـا المرآة، وقد رأيتما ما رأيتما.

جاك: رأينا الأم نوكس.

إلـين: وهذا يعني أنها ساحرة.. وجدتما ما حضرتما لترياه.. هل استرحتما؟!

المشهد الحادي عشر

(كوخ إلين).

جاك: أريد أن أسألك عن شيء خاص.. إنه عن.. (يشير في حرج) لقد انتهى.. لا أستطيع أن أفعل به شيئًا. لـم أعد منذ فترة.. تقبلت ذلك ولكنه الآن غير موجود.. لقد انتهى تماما. لقد سحرت لي فتاة.. إنها ابنة تلـك الساحرة.. ولقد سمعت أن الساحرات يمتلكن أحيانًـا صندوقًا ممتلئًا وأنها تتحرك وتتصلب كما لو كانـت كائنات حية وأن الساحرات تطعمها شعيرا وقشًـا.. قالت ساحرة لرجل في مثل حالتي أن يتسلق شجرة، وهناك سيجد عشًا ممتلئًا بها، يمكن أن يأخذ منه مـا يعجبه ولكن عندما انتقى واحدا كبيرا قالت لـه لا... ليس هذا فإنه ملك قسيس الإبراشيه.. لا أريد واحـدا كبيرا.. أريد أن أسترد ما يخصني من عند الساحرة.

إلين: الأفضل أن تذهب إليها وتطلبه منها بلطف.

جاك: هل هذا كل ما عندك؟ ألا تسـتطيعين أن تجربيهـا أن تعطيه لي؟

إلين: من المؤكد أنه سيعود.. اطلبه من الفتاة بلطف وسترده إليك.. سأعطيك جرعة لتناولها.

جاك: إذا لم تفعل فسأقتلها.

المشهد الثاني عشر

(خارج منزل جاك ومارجيري).

جوان: إنها رائحة عفنة.. لا أعرف كيف تستطيعين البقـاء هنا.. ما هي؟

مارجيري: هل تعرفين سببا لحضورك؟

جوان: مررت بالصدفة.

مارجيري: ولماذا تمرين هنا؟

جوان: ألم أعد أستطيع أن أمر ببابك الآن.. في وقت ما كان بابك دائما مفتوحا في وجهي.

مارجيري: وما هذا؟

جوان: رائحة عفنة.. ما الذي تفعلينه؟ بينما كنت أمر بالقرب من منزلك فكرت أن أحضـر لأراك فأنـا لا أريـد مشاكل بيننا. فكرت أن أحضر لأسوي الأمر بيننا.

مارجيري: حضرت لتزوريني من أجل ذلك!! هذا بول يغلي وتلك ريشتان من دجاجك تحترقان.. تلـك الـروائح العفنة تجتذب الساحرات، وظهورك الآن وفي هـذا الوقت بالذات يثبت أنك سحرت لـي، ولكنـي الآن

سأتخلص من سحرك.. أتعرفين كيف؟!

جوان: حضرت لأراك ولأصلح الأمور بيننا.

مارجيري: بالدم هكذا (**مارجيري تنبش بأظافرها فـي رأس جوان**).

جوان: عليك اللعنة.. ابتعدي.

مارجيري: لن تستطيعي أن تؤذيني الآن، وإذا لم ينـه هـذا مفعول السحر فسأحرق بيتك..

لو كان الجميع يعمل مثلي

لو أن الجميع عملوا بجد مثلي

لو أن قمصان أطفالنا بيضاء

لو كانت كلماتهم مهذبة

لو لم يبق أحد بالخارج حتى وقت متأخر

لكنا أسرة سعيدة

الوطن وطن

لأن الأسرة أسرة

لأن الزوجة تعرف واجباتها تجاه رجلها

أنا أفعل كل ما أستطيع

نعم أفعل كل ما أستطيع

أحاول أن أفعل الصواب

لذلك لن أكون وحيدة أبدا وأخاف الظلام

ولن يطرق أحد بابي في الليل

كل الأشياء المرعبة التي تحدث للأخريات

لن تحدث لي

لا أحد يحب المرأة السليطة

لا أحد يحب المرأة القذرة

ولن يحبك أحد عندما تصبحين عجوزا

إلا لو كنت جدته

لن يحبك أحد إلا إذا تعلمت أن تغلقي فمك

لن يحبك أحد ما لم تساعدي رجالك

آه. تستطيعين.. تستطيعين

أن تكوني أسرة سعيدة

لو أن الجميع يعملون بجد مثلي

أحيانًا ستشعرين بالملل

غالبا ما سيتجاهلونك

ولكنك في أعماق قلبك تدركين

أنك معبودتهم

أوه، في الأسرة السعيدة

ستحققين كل أحلامك

ستخدمين بلادك

لأن الوطن يصبح وطنًا

عندما تكون الأسرة أسرة

والأسرة أسرة

بكل ما تفعله الزوجة

لرجلها

أوه.. أرجوكن

ابذلوا كل جهدكن ولا تخطئن

فبذلك وحده لن تعانين وحشة الليل

ولن تسمعن طرقات غريبة على أبوابكن في الليل

ولن تتعرضن لما تتعرض له

الأخريات من عذاب..

تستطعن

تستطعن

فالوطن وطن

لأن الأسرة أسرة

والأسرة أسرة

بكل ما تفعله الزوجة لرجلها

المشهد الثالث عشر

سوزن: متأكدة أنه هو؟! قلت إنك لن تعرفيه لو قابلته مـرة أخرى.

أليس: عرفته عندما رأيته.

سوزن: على جواده؟! لم تريه عن قرب.

أليس: كنت قريبة بما فيه الكفاية لأقذفه بالطين.. لقد رآني.

سوزن: ولكن لم يبد عليه أنه يعرفك.

أليس: تظاهر بذلك.

سوزن: لم يكن هو.

أليس: بل هو.

سوزن: ألا تعرفين. من السيدة الجميلة التي كانت معه؟

أليس:سأعرفها في المرة القادمة وإذا قابلتها سأفقأ عينيها.

سوزن: ماذا كانت ترتدي؟

أليس: ماذا كانت ترتدي؟ كيف لي أن أعرف.. رداء ثميناً ـا على ما أعتقد جعلها تبدو جميلة.. هل تحـاولين أن تغيظيني؟

سوزن: وهو.. هل ما زال يتشح بالسواد؟

أليس: كان يرتدي جاكت قطيفة زرقاء.

سوزن: قطيفة زرقاء!

أليس: نعم عليك اللعنة.. قلت لك من قبل (**سوزن تبكي**) هل أنت غبية (**صمت**) بحق السماء ما الذي حدث الآن.. هل تبكين؟ المفروض أن أبكي أنا.

سوزن: ليست غلطتك يا أليس. سأبكي بقية عمري.

أليس: كل ما في الأمر أنك ما زلت ضعيفة بسبب الدماء التي فقدتها..

يجب أن تأخذي قسطًا أكبر من الراحة.

سوزن: لا أريد أن يعرف.

أليس: ألا يعرف؟

سوزن: من المحتمل أنه خمن ولكني لم أجرؤ أن أسأله. كان بالخارج طوال ذلك اليوم، وقلت له إنني كنت مريضة وإن كنت لم أخبره بالسبب.

أليس: على أية حال فلقد انتهى الأمر.

سوزن: ليته لم ينته.

أليس: أنت لا تشعرين بالندم الآن؟ (**فـي نبـرة متسـائلة حذرة**).

سوزي: لا أعرف.

أليس: لو كنت تشعرين بالندم فأنت غبية.

سوزن: أنا نادمة.. أنا شريرة.. أنت شريرة (**تبكي**).

أليس: أوه سوزن.. كل ما في الأمر أنـك منهكـة.. لسـت شريرة.. لو أنك احتفظت به لبكيت أكثـر.. طفـل جديد بكل ما يعنيه من جهد رغم كل أعبائك.

سوزن: إنني أحب الأطفال.

أليس: سيكون لديك الكثير منهم.. يا إلهي ستنجبين عديدا من الأطفال ما فائدة البكاء؟

سوزن: كنت تبكين من أجل ذاك الحبيب.

أليس: لم أعد الآن.. قريبا سأقتله.. لو أسـتطيع أن أصـل إليه.. لو أن الأفكار تقتل لذاق الموت..

سوزن: [**تتوقف عن البكاء**] إنني متعبة للغاية يا أليس.

أليس: هل تعتقدين أنه يمكن قتل شخص ما بمجرد التفكير؟

سوزن: ما الذي تفكرين فيه؟

ألـيس: أتمنى أن أمتلك تلك المقدرة.. في تلك الحالة أستطيع أن أسترده أو أضره..

سوزن: (**في خوف**) لا تحاولي هذا.

أليس: المشكلة أنه ليس عندي أي شيء يخصه.. سأضـطر لأن أصنع عروسا.

سوزن: لا تقولي هذا، أوه.. لا يا أليس، إنني متعبة للغاية.

أليس: هل يجب أن تشبهه؟ هل يمكـن أن تمثلـه فعـلاً إذا ما قلت إنها تشبهه؟

سوزن: (**تصرخ محذرة**) أليس!!

أليس: إذا أخذت هذا الطين.. إنه يشبه الطمي.. المفـروض إضافة عنكبوت أو بعض رماد عظام على الأقـل.. لكن الطين يفي بالغرض.. ها هـو شـكل رجـل.. انظري.. هذا رأسه وتلك ذراعاه وها هما الساقان.

سوزن: سأعود للمنزل.. إنني منهكة لا أسـتطيع حتـى أن أتحرك.

أليس: ابقي هنا.. انظري، هذا هو الرجـل. (**ألـيس تقـف وتحملق في التمثال**) نعرفه رغـم أننـا لا نعـرف

اسمه. والآن ها هو الدبوس.. دعينا نرشقه. من أين أبدأ؟! بين ساقيه حتى يصبح بلا نفع لتلك المرأة.

سوزن: أليس!!

أليس: ومرة في الرأس ليجن.. هل أعطيه واحدة في القلب؟ هل أريده أن يموت الآن؟ أم أن يصبح مجرد حطام كي أشفي غليلي..

سوزن: أليس!!

(سوزن تحاول أن تأخذ من أليس تمثال الرجل فيسقط على الأرض ويتحطم).

أليس: انظري.. لقد حطمته..قتلته.

سوزن: لم أفعل.

أليس: تحول لشظايا.. فكري في الرجـل المسـكين.. لقـد تمزق.

سوزن: لم أفعل يا أليس.. لم أفعل.. إنه أنت.

أليس: لو أنني كنت المسئولة لما اكترثت.

سوزن: أليس.. ماذا فعلت.. أوه أليس.. أوه.

أليس: هذا خيال يا غبية.. إنه ليس هو.

سوزن: كيف تعرفين؟

أليس: إنه حفنة طين.

سوزن: ولكنك قلت..

أليس: مجرد كلمات.

سوزن: ولكني رأيتك تفعلين.

أليس: لا.. لم أفعل شيئًا.. إنني لا أفعل قط أي شيء.. قـد يكون الأفضل لو أنني فعلت.

(تجلسان في صمت).

أليس: لا تبكي.

(أليس تحتضن سوزن التي تبكي).

سوزن: تمثال الطين الصغير مثل الرضيع الصـغير الـذي لا حول له ولا قوة وبرغم ذلك سحقناه..

(يدخل جاك).

جاك: ساحرة.

أليس: مخمور؟!

جاك: رديه إلي.

أليس: ما الأمر الآن يا جاك؟!

جاك: رديه إلي.. أنت تعرفين.. لقد أخذتيه مني طوال ثلاثة أشهر.. لم أعد رجلاً منذ ذاك الحين.. لقد سحرتني.. لقد أخذته مني..

أليس: هل جن؟

سوزن: ما الأمر؟

أليس: سوزن مريضة.. هل اك أن تتركنا وشأننا.

جاك: كل من يقترب منك يمرض.. رديه إلي.. هيا.. رديه.

أليس: كيف؟

جاك: قالت لي أن أحدثك بلطف.. كنت سـأفعل يـا ألـيس لو أنك عاملتني برقة.. لم أرد هذا قط.. أرجوك يـا أليس الحلوة الطيبة أن ترديه إلي.

أليس: ما هو؟ كيف أستطيع.

جاك: رديه.

(يطبق بيديه على عنقها).

أليس:عليك اللعنة.

سوزن: ستقتلها.

جاك: رديه.

سوزن: دعها.. ستردە إليك أيا ما كان.. ستقتلها يا جاك.

(جاك يتركها).

جاك: رديه إذن.. هيا..

سوزن: إنها لا تستطيع.. دعها وشأنها.

جاك: رديه.

(أليس تشير إلى مابين فخذيه).

أليس: ها هو.. لقد عاد..

جاك: إنه هو.. لقد عاد.. شكرا يا أليس... لم أصـدق أنـك ساحرة إلا الآن.

(جاك يخرج).

سوزن: أليس!!

(تستدير أليس لتواجهها).

(تدور حول أليس في خطوات حذرة).

أليس: لم يحدث شيء.. إنه مجنون.. آه عنقي يـا سـوزن. لو لم يكن يؤلمني لضحكت.

(سوزن تبتعد عنها عدة خطوات).

سوزن: لا تلمسيني.. لن تلمسني ساحرة.

المشهد الرابع عشر

(ميدان عام).

المنادي: من كان لديه أي شكوك أو أي شكوى ضد امـرأة يظن أنها ساحرة فليذهب إلى دار البلديـة ليعـرض شكواه.. فقد وصل إلى المدينة أشهر مـن يكتشـف الساحرات، ولقد شنقت على يديه أكثر مـن ثلاثـين ساحرة.. هو وحده من يستطيع أن يكتشف إذا كانت المرأة ساحرة أم لا.. من كانت لديه أي شـكوك أو أي شكوك..

مارجيري: قطعت الزبد.

جاك: قتلت العجول.

مارجيري: شعرت بلطمة داخل رأسي.

جاك: شلت يدي.

مارجيري: وبألم في معدتي.

جاك: سحرت جسدي.

مارجيري: عندما غليت البول ظهرت.

جاك: عندما نزفت دماؤها عادت الحياة ليدي.

مارجيري: حرقت كوخها.

جاك: وسوزن.. صديقتها تبـدو وكـأن الأرواح الشـريرة تلبستها.. تصرخ وتبكي طوال الوقت، ولقـد ظلـت يومين لا تنطق بكلمة.

مارجيري: اكتسى رضـيع سـوزن بلـون أزرق والتـوت أطرافه.. ثم مات.

جاك: عندما ألقى عليها أحد الأطفال الحجـارة وقـال إنهـا ساحرة تقيأ دبابيس وقشًا.

مارجيري: تأخذ قطها الكبير البشع إلى فراشها وترسله إلـى الناس بلعناتها.

جاك: الفأر هو خادمها.

مارجيري: وعاصفة ليلة الأمس التي أسقطت شـجرة علـى الشرفة.. كيف هبت رغم السماء الصافية؟!

باكر: أعتقد أن ا قد أرسلني مرة أخرى إلى من يحتاجني.. لا داعي للخوف بعد الآن.. لقد كنتم بالفعل في خطر لكن الشيطان لا يمكن أن يهزم الإيمان.. فلقد دعاني

الرب الرحيم وعلمني طريقة رائعة اكتشفت بها الساحرات، وهي أن أكتشف في جسم الساحرة موضعا فقد حساسيته للألم بفعل الشيطان.. وبالتالي فإذا نغزت هذا الجزء بدبوس لا يظهر الدم ولا تشعر الساحرة بشيء..

(باكر وجودي يأخذان جوان. جودي تشل حركتها، بينما يرفع باكر جونلتها ويبدأ في نغز ساقيها.. جوان تصرخ وتسب طوال ذلك.. باكر وجودي يسبانها.. لحظة قصيرة عنيفة يسود فيها الهرج والمرج والضوضاء..).

جودي: ففي ثانية أيتها الساحرة العجوز.. لا فائدة من استدعائك للشيطان، فهو لن يستطيع لك شيئًا الآن، قوية رغم سنوات عمرك.. إنها قوة الشيطان.. ففي ثانية أيتها العاهرة العجوز العفنة..

باكر: اكتمي صوتك أيتها الساحرة.. كيف نؤدي عملنا بهذه الطريقة؟! آه يا شيطان هنا دم.. وهنا دم.. وهنا دم.. أين موضع الشيطان؟.. ولكننا سنكتشفه.

جوان: عليك اللعنة.. آه، ساعدني أيها المسيح، آه.. آه.. إنك

تؤلمني.. دعني عليك اللعنة.. آه يا ربي الرحيم.. آه أنت شيطان.. آه فليأخذك الشيطان..

باكر: ها هو.. ها هو.. لا دم هنـا.. هـا هـو موضـعه.. ولا قطرة دم تقريبا..

جودي: تلك العجوز الكاذبة.. تصرخ وتدعي أنك تؤلمها..

باكر: ها هي واحدة ستشنق.. خـذي ركنًـا مـا زال لـدينا أخريات.. جودي من فضلك أحضري المرأة الثانية.

(جودي تمسك أليس.. باكر يساعدها. يلقيان بجونلتها على رأسها ويبدأ باكر في نغزها.. تحاول أن تصرخ).

جودي: لماذا يتدفق الدم؟

باكر: الشيطان يمارس ألاعيبه هذه المرة.

جودي: إنها لا تصرخ كثيرا.. إنها لا تشعر..

باكر: ولكني لم أعرف الموضع بعد.. أين هو؟ هنا.. هنـا.. هنا.. لا لم أعرفه بعد.. أوه.. يا له من عمل متعب.. نحي هذه جانبا.. قد نجد من يشهد ضـدها لنعـرف حقيقتها

(ينحيان أليس جانبا).

باكر: إذا كان هنا من يعرف المزيد عن هذه المرأة ويشـك أنها ساحرة فإنني أدعوه باسم الرب أن يـتكلم، وإلا سيحل عليه هو نفسه عقاب السحرة ولعنة أعمـالهم القذرة لأنه أخفى الحقيقة.

سوزن: أعرف شيئًا عنها.

باكر: لا تخجلي يا فتاة.. تكلمي.

أليس: سوزن.. ماذا تفعلين؟ لا تقولي شيئًا ضدي.

سوزن: أبعدها عني.

أليس: ستجعلينهم يشنقونني.

(ترتعد سوزن ويظهر عليها مظاهر خوف هستيري).

مارجيري: هذا من فعل أليس.

أليس: سوزن.. توقفي..

سوزن: أليس.. أليس.. أليس..

باكر: خذوا الساحرة للخارج فقد تهدأ الفتاة (**يأخذون ألـيس للخارج وتهدأ سوزن**).

مارجيري: هل رأيت؟!

جاك: حمدا أن أنقذني منها..

سوزن: لقد قابلتْ الشيطان. قالت لي إنه يبدو مثـل رجـل يتشح بالسواد.. قابلتْه ليلاً وفعلتْ معه أشياء قـذرة.. ومنذ ذلك اليوم تغيرتْ، بل وأرادت أن تقابله مـرة أخرى (**تتوقف**) وأخذتني للمـرأة المـاكرة حيـث أعطياني جرعة كريهة لأتخلص من الجنين.

(في ألم) ولقد ذهب.. قالت المرأة الماكرة إنها تود أن تعلـم أليس سحرها الشرير وإنها هي بالذات تسـتطيع أن تسخر القوى، وإن هذه المقدرة لا يمكن أن يتعلمهـا أي شخص.. ولكنها هي تستطيع لأنها ساحرة.. ثـم أعطتها المرأة الماكرة شيئًا ما لتسـتدعي الشـيطان ولقد حاولت بالفعل أن تستدعيه، وصنعت عروسـا ورشقت فيهـا دبوسـا وحاولـت أن تقنعنـي أنـه الشيطان.. ولكنه لم يكن.. كانت طفلتي الرضـيعة.. في اليوم التالي مرضـت وازرق وجههـا والتـوت أطرافها ثم ماتت.. لا أريد أن أراها..

(**تصرخ وكأنها ترى طفلتها**).

باكر: هؤلاء السيدات الماكرات أسوأ الجميع.. وأنت يا فتاة.. أنت ذهبت إلى هذه المشعوذة وارتكبت جريمة بشعة

بتدمير طفلك في رحمك، ثم كنت معها عندما رشقت الدبوس في العروس، ووافقت علـى مـوت ابنتـك الرضيعة؟!

(تجلس سوزن على الأرض وتشخص ببصرها للأمام).

سوزان: لا لم أفعل.. لم أوافق.. لم أتمن لها أبـدا أي أذى.. حتى عندما كنت أغضب أحيانًا أو ألعنها عند بكائها لم أكن أعني هذا.. لـو أن الكلمـات تعيـدها إلـي لابتلعت لعناتي.

باكر: لن تستطيعي أن تستردي لعناتك.. لقد لعنتهـا حتـى الموت.. والآن وبعد أن قتلت اثنين من أطفالك ماذا فعلت أيضا؟ لا تنظري إلي بدهشة، ستعترفين، أقرب مما تتصورين.. سنرشقك بالدبوس كما فعلـت مـع طفليك..

المشهد الخامس عشر

(جودي تأخذ سوزن وباكر يرفع جونلتها).

جودي: لا يوجد من يفوق باكر في اكتشـاف السـاحرات.. يعرفهن بمجرد النظر وإن كان بالطبع، لديه طـرق أخرى.. إنه يقرأ كل الكتب ويسافر ويقول إن سـبب انتشار أعمال السحر في إنجلترا أن إنجلترا تعامـل السحرة بميوعة، فهم يشنقون ويحرقون في أوروبـا واسكوتلانده.

وإذا نفد صبرهم يحرقونهم أحياء.. أما في إنجلتـرا فهـم يشنقون فقط، كما أن طرق اكتشاف السحرة بدائيـة.. فـي البلاد الأخرى يستخدمون اللواب وأدوات لمط الجسم حتـى يتمزق، أما أكثر الطرق إثارة للألم فهي وضع الساقين حتى الركبتين في أسطوانة تظل تضيق حتى تسحق العظام لتصبح القدمان بلا نفع بعد ذلك، قليلون جدا مـن يسـتمرون فـي الإنكار بعد ذلك.. ولكننا في إنجلترا نفقد تلك الطرق الفعالة.. طرقنا بطيئة وإن كنا نصل للحقيقة في النهاية عندما يتـدخل في الأمر رجل في مهارة هنري باكر.. إنه يحصـل علـى

عشرين شلنًا في المرة، ويصر على أن أحصل أنا الأخـرى على نفس المبلغ.. ونحن نستحقه رغم شكوى بعض النـاس الذين يقولون ماذا.. ندفع ثمن بقرة لنشنق سـاحرة؟ ولكنـي أقول لهم فكروا في الخسائر التي قد تسببها لكم.. بقرة مقتولة بجنيه أو جنيهين.. الحصـان بأربعـة جنيهـات بالإضـافة للخنـــازير والأغنـــام والـــدواجن.. احســـبوها.. ولا تنسوا نفقاتنا في الحان.. بجنيهين فقط تحفظوا مدخراتكم وتتخلصوا من خطر المرض أو الموت المفاجئ.. في الحقيقة أنا راضية عن عملي.. إنه عمل ممتع، نافع.. ومريح.. فمن الأفضل لي أن أكون باحثة عن السحرة، لا مجـرد أرملـة ينتهي بها الأمر لتكون مثل تلك المرأة العجـوز المخبولـة بالرغم من كل تعاويذها.. سأظل في أمان وأنا أحمي سلامة البلاد من أمثالهن.. ويا له من شرف أن أعمل مـع خبيـر عظيم مثل باكر.

المشهد السادس عشر

(كوخ إلين).

بيتي: لن أستطيع زيارتك بعد الآن.. أخشى أن يظنوا أنني ساحرة..

إلين: هل تعنين أنني ساحرة؟

بيتي: يقولون إن الشيطان تلبسني لأني صرخت.. عندما صرخت قالوا إنها صرخة الشيطان الذي تلبسني، وعندما هربت من البيت قالوا إنني خرجت لأقابل الساحرات.. البعض يعرف أنني أحضر لزيارتك..

إلين: لم يجرؤ أحد بعد أن يقولها في وجهي.

بيتي: ولكن الطبيب يقول إنه سينقذني. يقول إنني لست ساحرة.. يقول إنني مريضة.. يقول إنني مريضة وبالتالي فلا يمكن أن أكون ساحرة.. يقول إنه يجعلني أتحسن.. ليتني أتحسن..

إلين: تزوجي يا بيتي.. هذا أسلم.

بيتي: ولكني أريد أن يدعوني وشأني.. أنت تعلمين ذلك.

إلين: يتركونك وشأنك.. لماذا؟ لتكوني مثلي؟ لن أجد طبيبا

ينفي عني لقب الساحرة. إن أفضـل مـا يمكـن أن تفعليه لكي يتركوك وشأنك أن تتزوجي رجلاً غبيـا يحاول أن يكمل صورته بزوجة لا تفعل شيئًا.. فهو يمتلك بيتًا كبيرا وحديقة أزهار وجدولاً صافيا.. كل ما ينقصه سيدة.. سيدة جميلـة لتكتمـل الصـورة.. ويمكنك أنت أن تكوني هذه السيدة.. تجلسين علـى العشب وتغيرين ثيابك وتأمرين بإعداد العشاء.. نعم هذه أفضل فرصك... ما البديل؟! أن تتزوجي رجلاً فقيرا لتكدحي طوال اليوم؟ أم أن تظلي كمـا أنـت فسيعتبرك الجميع غير طبيعة؟! هذا ليس مأمونًـا.. كثير من الفتيات يشعرن بما تشعرين ولكـن لفتـرة لا تطول، وأنت لست من النـوع الـذي يمكـن أن يستمر هكذا..

بيتي: إذا كان هناك ساحرات بالفعل، فمن المحتمـل أنني مسحورة، وإذا بطل مفعول السحر فقد أشفى..

إلين: ستشفين يا عزيزتي وتتزوجين وستحدثين أطفالك عـن الساحرات..

بيتي: ماذا سيحدث؟ هل ستكونين بخير؟

إلين: عودي للمنزل الآن. لا أريدهم أن يجدوك هنا..

(تخرج بيتي).

إلين: أستطيع أن أطلب منهم أن يلقوا بي في الماء.. يعتقدون أن الماء ببركة المسيح يلفظ السـحرة، فـإذا طفـت المرأة تأكدوا أنها ساحرة، وإذا غرقت يتركونها لحال سبيلها.. أستطيع أن أغوص.. أي غبـي يسـتطيع الغوص.. المشكلة هي أن أغـوص دون أن أغـرق وأن يخرجوني في الوقت المناسب.. ولكن ما الداعي أن أطلب منهم أن أصبح شبه غريقة.. لم أفعل شيئًا، سأشرح لهم ما أقوم به.. إنه علاج لا ضـرر منـه وليس للشيطان دخل به.. سأحتفظ بهدوئي وأشـرح لهم..

قانون الطفو

إذا طفوتِ فأنتِ ساحرة

إذا صرخت فأنت ساحرة

وإذا غرقت ستموتين على أي الأحوال

إذا عالجت فأنت ساحرة

إذا لعنت فأنت ساحرة

أيا ما تفعلين محسوب عليك.

الأصابع تشير إليك.. الطرقات على بابك

قد تكونين أما.. طفلة أو مومسا ولكـن إذا شـكوت فأنتِ ساحرة

أو مسحورة..

أي علامة أو اختلاف تعني وتعني..

قوية أنت.. ساحرة

تهاويت.. بمرضه ساحرة

والشروط أن تكوني صغيرة.. غريبة

والأفضل

فقيرة..

الأصابع تشير.. الأيدي على الباب

حضروا من أجلك..

لماذا.. هل تعرفين؟

فإذا كنتِ أيتها الملعونة المسكينة

تصنعين تعويذة

احذري أن تسكبي قطرة واحدة..

تفنني فيها

انكري أنك شريرة

اعترفي أنك مجنونة.

لا تقولي شيئًا

فإنهم في كل الأحوال سيرسلونك للجحيم..

المشهد السابع عشر

(أليس تجلس على الأرض وهي مقيدة، جـودي تأكـل وتتثاءب).

جودي: الأفضل أن تعترفي يا عزيزتي فهو لن يتـرك لـك فرصة للراحة. ستكونين تحت المراقبة ليل نهـار.. لا شيء يهد الجسم مثل قلة النوم، أنا نفسي متعبة.. من مصلحتك أن تعترفي لننقذك من الشـيطان، لـو تركناك ستظلين ملعونة للأبد.. قليل من الألـم الآن ينقذك من عذاب الآخرة.. (**جودي تلاحـظ أن رأس أليس يميل وأنها تكاد تغفو.. تلتقط طبلة وتقرعهـا عدة مرات. باكر يدخل**).

جودي: إنها الليلة الثانية لتلك الساحرة الصغيرة العنيدة.. لقد أنهكتني..

باكر: اذهبي أنتِ يا جودي ونامي.. سأراقبها بنفسي لـبعض الوقت.

جودي: يا لك من رجل يراعي الآخرين يا مستر باكر.. إننا نعرق لنكسب قوتنا (**جودي تخرج**).

باكر: لست رجلاً قاسيا ولكنـي أحـب أن أحصـل علـى الاعترافات التي تهمني.. لقد فعلـت الصـواب ولا أشعر بتأنيب الضمير..

أليس: أين طفلي؟

باكر: في أمان، مع قوم صالحين.

أليس: لكنه يريدني أنا.

باكر: إنه في مكان آمن بعيدا عن الشيطان.. حيث لا يمكـن أن تصلي إليه أبدا..

أليس: أريده.

باكر: لماذا لا تعترفين وتنهين كل هذا؟

أليس: ولكنها ليست الحقيقة.

باكر: خبريني من شيطانك؟ من خدامك؟ لن أدعهم يؤذونك.. الرب سيحميك إذا كفرت عن خطاياك.

أليس: ليس عندي شيء من هذا (**باكر يقرع الطبلـة**) أريـد طفلي.

باكر: إذن كان عليك أن تبقي معه في المنـزل لـيلا، لا أن تسعي وراء الشيطان.

أليس: أريده.

باكر: كيف تتحول الأم إلى ساحرة قذرة وتعـرض طفلهـا للخطر.

أليس: لم أفعل.

باكر: ليلة بعد ليلة.. الجميع يعرفون.

أليس: ولكن ماذا سيحدث له. ليس له غيري.

باكر: مؤكد له أب.. من أبوه؟ تكلمي من أبوه.

أليس: لا أعرف.

باكر: يجب أن تتكلمي.

أليس: لا أعرف.

باكر: يجب أن تعترفي. **(باكر يقرع الطبلة)**.

أليس: أوه، رأسي.. أرجوك كفى، الطنين يملأ أذني.

باكر: سأراقبك.. ستحضر شياطينك لتراك.

أليس: بالطبول؟

(باكر يتوقف فجأة).

باكر: آه.. ما هذا؟ عنكبوت أسود كبير هرب بمجرد أن رأى أحد رجال ا .. هل تستطيعين أن تنكـري أن هـذا

العنكبوت أحد خدامك.

أليس: لا.

باكر: إذن لماذا ظهر.. فسري لي..

أليس: أريد طفلي.

باكر: لماذا؟ ما سر هذا الطفل؟ من أبوه؟ هل هو الشيطان؟

أليس: لا. لا.. لا..

باكر: سأجعله يراني في الصباح.. إذا لم يكن ابن الشـيطان سيشهد عليك (**أليكس تبكي**) سأراقبك.. لقد راقبـت كثيرا من الساحرات وشنقتهن جميعا.. سأمسك هـذا العنكبوت إذا عاد.

المشهد الثامن عشر

(جودي تحلق شعر إبط سوزن).

جودي: ها قد انتهينا من الذراع الثاني ولم تظهر أي علامـة بعد.. الشيطان يخفي علاماته في أي مكان ويفضـل الأماكن غير الظاهرة، ومع ذلك فلقد عرفت ساحرة كانت علامتها الوردية الكبيرة ظاهرة بحيث يستطيع الجميع رؤيتها، فقد كانت على كتفها وعنقها، ورأيت أخرى في الأسبوع الماضي على صدرها نتوء كبير كانت ترضع به خادميها الصغيرين. كـان أحـدهما أسود والآخر أبيض، وكانت تحتفظ بهما في قطعـة صوف في زجاجة.. عندما اعتصرته تـدفقت مـادة بيضاء أشبه باللبن ثم تدفق الدم.. لقد كانت تغذي تلك الكائنات البشعة باللبن والدم، وكانوا يمتصون دمهـا في أماكن حساسة في الليـل.. والآن دعينـا نـرى الأماكن الأخرى لنرى ما فعله الشيطان بها.

(تجبر سوزن أن تستلقي على ظهرها وترفع جونلتهـا. يدخل باكر).

باكر: (**مشيرا إلى جوان**) ما هي علامات الشيطان؟

جودي: لم يكن هناك داع لأن نستمر، فهناك ثلاث علامـات في الأجزاء غير المعشوقة من جسدهما طول الواحدة حوالي بوصة، وهي أشبه بحلمات كبيرة ليمتص منها الشيطان دمها. كذلك يوجد على جانبها آثـار دمـاء ولن تستطيع أن تنكر أنها قطعت ذاك الجـزء مـن لحمها حتى لا أكتشفه.

باكر: تلك الساحرة العجوز النتنة.. لن أنظر بنفسـي.. هـل وجدت شيئًا هنا؟

جودي: إنها نظيفة حتى الآن ولكني سأستمر لاكتشف الخفايا المخجلة في أماكن أخرى.

بـاكر: رغم أن العلامات طريقة مؤكدة لاكتشاف الساحرات، إلا أن عدم وجودها لا يعد دليل بـراءة، فالشـيطان يستطيع محوها.

جوان: فليأخذك الشيطان.

باكر: ستكونين معه بأسرع مما تتوقعين.

جوان: سأسعد لرؤياه.. لقد كنت ساحرة في نظـر الجميـع طوال عشر سنوات، وكان الأطفال يصيحون كلمـا

رأوني: "الساحرة" وفي يـوم سـألت صـبيا لمـاذا تدعوني ساحرة رغم أنني لم أضرك؟ ولكنه جـرى، وقابلت قطًا صغيرا رماديا.. قـال يجـب أن تـأتي معي، وقلت انصرف، قال يجب أن تعطيني جسـدك وروحك لتجدي السعادة.. وفعلت أعطيته دمي فـي كل يوم.. إنه قطي العجوز فينيجار، لقد أصاب ابـن جون بيتر بالكساح منذ عشـر سـنوات.. وعنـدي خادمان غيره، يتسللان إلى فراشي ليلاً ليمتصا دمي، ورغم الألم لا يتركاني.. ولقد طلبت منهما أن يقـتلا ماري جونسون التي أغضبتني وبعدها ماتت. كما أن الجميع يعرفون نوبات المـرض التـي تهـاجم آن وتجعلها تصر على أسنانها، وتحتاج خلالها لنصـف دستة رجال ليمنعوها من إيذاء نفسها.. كل هذا مـن فعلي أنا، فلقد أرسلت إليها عفاريتي الصغيرة.. إنهم أشبه بكائنات سوداء لها أربع أرجل وبدون ذيـل.. كنت أرسلهم ويعودن إلي في الليل ليخبروني أنهـم نفذوا أوامري.. كان جاك محظوظًا فلم أسـحر لـه ليموت، ولا لمارجيري، فقد كانت طيبة معـي فـي

وقت ما.. ولكني قتلت أبقارهما مثلما قتلـت عشـر بقرات في العام الماضـي.. الريـاح والعواصـف تتحرك بأمري وتسقط الأشجار.. ولكنـي الآن فـي السجن حيث فقـدت كـل قسـوتي.. ولـولا ذلـك لاستدعيت الرعد ليذهب بعقلك.

باكر: هل هناك ما يمنعني أن أشنقك؟!!

جوان: أنا حامل..

جودي: من يصدق هذا؟

المشهد التاسع عشر

(ميدان عام. جثتا جوان وإلين معلقتان فـي المشـنقة.. سوزان تصلي).

مارجيري: شكرا للرب أن أنقذنا.. يا إلهي الـرحيم امنحنـا السلام بقوتك، دمرت الأشرار وباركت الصالحين.. ساعدتني في كفاحي ضد الساحرات فسـاعدني فـي كفاحي اليومي.. ساعدني أن أعمل أكثر، وسـيكون حصادنا الطيب لعزتك وتمجيد اسمك.. أيها الـرب بارك زواج مس بيتي وامنحها السعادة وبارك جـاك واحفظه من الشـيطان واجعلـه يحبنـي واعطنـا الأرض.. آمين.

المشهد العشرون

(نفس المنظر).

سوزن: أليس.. كيف تستطيعين النظر لأمك المسكينة.. إنك حتى لا تبكين.

أليس: لم تكن ساحرة.. لم تكن تعرف.

سوزن: أليس. لقد كانت..

أليس: المرأة الماكرة كانت... أعتقد أن هذا كان سبب خوفي منها. (**سوزن تقترب من أليس**).

سوزن: لقد كنتُ ساحرة طوال الوقت ومع ذلك لـم أعـرف (**تسقط على ركبتيها**) لقد قتلت أطفالي.. لـم أقصـد هذا..

لم أدرك أنني شريرة لتك الدرجة

لم أعرف أنني أحمل تلك الوصمة.

إنني شريرة يا أليس. فلندع ا أن يرحمنا.. لو أنهم شـنقونا يا أليس فسينقذون أرواحنا فلا داعي للخوف.. إنهـم يفعلون ذلك ليساعدونا. أوه يا إلهي.. أعـرف الآن أنني كريهة وخاطئة.. لقد كشف لي مستر باكر مدى

بشاعتي.. أنا نادمة.. لم أكن أعـرف ولكنـي الآن عرفت.. اغفر لي ولا تلقني في نار الجحـيم إلـى الأبد.

أليس: لست ساحرة.

سوزن: أليس، أنت تعرفين أنك كذلك. يا رب لا تسمع لها.

أليس: لستُ ساحرة ولكني أتمنى لو أنني كنت.. لو كان في حياتي بقية لتحولت لساحرة بعد كل ما فعلوه، وعندئذ كنت سأصنع رجالاً من الشمع وأذيبهم ببطء على نار هادئة.. كنت سأقتل ماشيتهم وأفسد محاصيلهم وأثير العواصف.. كنت سأحطم سفنهم أينما كانت.. ما كان يجب أن أخاف إلين.. ليتني تعلمت.. آه لـو أننـي قابلت الشيطان الآن، لأعطيته أي شـيء ليعطينـي القوة.. لا طريق أمامنا الآن إلا الشيطان.. لو كنـت أمتلك قوة السحر لأريتهم.

عويل الساحرات

أين ذهبت الساحرات

من هن الساحرات الآن؟

ها نحن..

تعاويذنا اللطيفة

تطوح بحبوب الطيب

لكن الساحرات الآن

معلقات تحت السماء

أو في المحاكم

تدينهم أكاذيب الحكام

ها نحن

ها نحن الساحرات

كن رقيقات

يقدمن تعاويذ الشفاء

كن يائسات

ليس لهن خلاص إلا في النصف الآخر من النار

ساحرات يبكين في المساء

يطفئن أنوار مصابيح الصغار

لكن بيوتكم الآمنة الدافئة

أصابتها عاصفة الساحرة

ها نحن

أين ذهبت الساحرات؟

من هن الساحرات الآن؟

ها نحن.

كن رقيقات

يقدمن تعاويذ الشفاء

كن يائسات

ليس لهن خلاص إلا في النصف الآخر من النار

ها نحن

انظري للمرآة الليلة

ترى هل كانوا سيشنقونك أنت الأخرى

لو أنك عشت في نفس الوقت

اسألي نفسك كم قيد لفوه حوالك اليوم..

من هن الساحرات الآن؟

اسألي نفسك كم قيد لفوه حوالك الآن

ها نحن.

المشهد الحادي والعشرون

سبرنجر: هذا كارمر.

كارمر: وهو سبرنجر.

سبرنجر/ كارمر: أساتذة علم.

كارمر: أصحاب رسالة مقدسة.. نبحث في تاريخ المنشقين.

سبرنجر: لنحارب الأفكار الهدامة.

كارمر: لذلك ألفنا كتابا.

سبرنجر: مطرقة الخبثاء.

كارمر: وبتعبير أدق شاكوش الساحرات.

سبرنجر: مفعوله أكيد.

كامر: في كشف الساحرات.

سبرنجر: وفي تعذيبهن.

كامر: لماذا يزداد عدد السحرة في جنس النساء الضعيف عنه في الرجال؟

سبرنجر: لماذا يزداد عدد السحرة في جنس النساء الضعيف عنه في جنس الرجال؟

كارمر: معظم الشرور سببها المرأة.

سبرنجر: لثلاثة أسباب.. الأول:

كارمر: المرأة أكثر سذاجة من الرجل، وحيث إن الشـيطان يسعى لزعزعة الإيمان يهاجمها أولاً ليحولهـا لأداة له.. الثاني:

سبرنجر: المرأة مخلوق سهل التأثر.. السبب الثالث.

كارمر: المرأة مخلوق ثرثار، لا تسـتطيع أن تخفـي عـن الأخريات ما تعرفه بواسطة فن الشر الذي تتقنه.

سبرنجر: النساء ناقصات عقل وقوة وبالتالي فالأمر لا يثيـر الدهشة.

كارمر: ومن حيث الذكاء يبدون مختلفات عن الرجال.

سبرنجر: مثل الأطفال.

كارمر: نعم.

سبرنجر: ولكن السبب الأساسي.

كارمر: أن المرأة أكثر شهوانية.

سبرنجر: من الرجل.

كارمر: وهذا يبدو في كثير من أوجه شذوذها.

سبرنجر: لقد خلقت من ضلع أعوج.

كارمر: لذلك فهي حيوان ناقص.

سبرنجر: حرمة أي حرام.

كارمر: لذلك لا تستطيع أن تتمسك بإيمانها.

سبرنجر: نقص في الذكاء.

كارمر: مشاعر مضطربة.

سبرنجر: تتملكها شهوة الانتقام.

كارمر: فلا عجب أن يصبحن ساحرات.

كارمر: النساء ضعيفات الذاكرة.

سبرنجر: يتبعن أهواءهن.

كارمر: كل ممالك العالم تقريبا ضاعت بسبب النساء.

سبرنجر: حرب طروادة.. و.. و..

كارمر: كاذبة بالسليقة.

سبرنجر: مغرورة

كارمر: مرة أكثر من الموت.

سبرنجر: ملوثة.

كارمر: رغباتها شهوانية.

سبرنجر: خبيثة نهمة.

كارمر: عندما يمددن أيديهن لمساعدة مخلوق يكون هـدفهن الحقيقي أن يسحرنه.. بمساعدة الشيطان بالطبع.

سبرنجر: الخلاصة:

كامر: كل أعمال السحر.

سبرنجر: سببها شهوة حيوانية.

كارمر: تتملك المرأة.

سبرنجر: نهم.

كارمر: فلا عجب أن يزيد عدد الساحرات النساء عن عـدد السحرة الرجال.

سبرنجر: وشكرا للرب أن حفظ جنس الرجـال مـن هـذه الجريمة البشعة.

"**المرأة الشريرة**"

نساء معلونات

هل هذا ما نريد؟!

هل هن ما تهفو أن تراه؟!

على الشاشة

في حلمك القذر

نساء ملعونات

يهفون للخطيئة..يهفون إلينا

تحلم أن تمتص دماءك مومس

هذا الرجل كان لنا..

لكنه بعد قليل مات..

هل كانت مطيعة.. هل كانت عنيدة؟

هل حاصرتك في المطبخ مومس شمطاء

امرأة الشيطان.. عروس الشيطان

ابنة الشيطان.. نبتة الشيطان..

امرأة الشيطان يصعب إرضاؤها

ألم تشعر قط بالخوف من الفشل؟!

ألا تطلبها امرأتك

ثلاث مرات كل ليلة؟

ألا تتضاءل لحظة أن تكف عن الثناء؟

ولكننا نحن نكسب أموالنا

ونشتري شرابنا

فهل علمتم الآن أنكم مراهقون شبقون

وأن النساء أشرار لأنهن ناركم

امرأة الشيطان.. عروس الشيطان

ابنة الشيطان.. نبتة الشيطان

كانت الساحرات ملعونات فوجب حرقهن

نساء ملعونات

هل هذا ما تريد؟!

هل هن ما تهفو أن تراه في أحلامك المرسومة

هل يصرخن ويصرخن؟!

نساء ملعونات

نساء ملعونات

نساء...

النهاية

فرجينيا

تأليف

إدنا أوبراين

مقدمة المترجمة

"أحدث ما يعرض علـى خشـبة المسـرح الإنجليـزي مسرحية فرجينيا، والمسرحية هي أحدث نـص مسـرحي للكاتبة الأيرلندية إدنا أوبراين.. المسرحية تُعرض الآن في إنجلترا وكان النص قد صدر عـام ١٩٨٠.. وتعـد "إدنـا أوبراين" واحدة من أشهر وأبرز معالم الحياة الأدبية اليـوم في إنجلترا"

السطور السابقة استهل بها الناشر البريطاني تقديمه للنص المسرحي **فرجينيا** في عام ١٩٨٠؛ والتي نقلتهـا المترجمـة للغة العربية في عام ١٩٨٢.

ولقد وصلت "إدنا أوبراين" لهذه المكانة على مدى عشرين عاما قدمت خلالها الكثير من الأعمال الأدبية الناجحة، سواء في مجال المسرح أو الرواية الطويلة أو القصة القصـيرة.. ولقد توج نجاح إدنا أوبراين عام ١٩٧١ عندما حصلت على جائزة يوركشاير الأدبية.

ولدت إدنا أوبراين في ١٥ ديسمبر عام ١٩٣٦ وهي من أصل أيرلندي.

ظهرت موهبتها الأدبية منذ طفولتها، وفـي عـام ١٩٦٠ نشرت أولى مسرحياتها بعنوان **فتيات الريـف**، بعـد ذلـك تتابعت مسرحياتها الناجحة.

فقدمت في عام ١٩٦٢ مسرحية **الفتاة الوحيدة**، وفي عام ١٩٦٤ مسرحية **أغسطس شهر خصيب**، ومسرحية **جـراح السلام**، وفي عام ١٩٧٠ أصدرت مجموعة مسرحيات تحمل اسم **مكان وثني** ثم مسرحية **الليل** (١٩٧٣) مسـرحية **أمـي أيرلندا** (١٩٧٦) ومسرحية **أيام عربية** ١٩٧٧.

وللمؤلفة مجموعتان قصصيتان: الأولى بعنـوان **امـرأة الفضائح** (١٩٧٤) والثانية **مسز رانهات** وقصـص أخـرى (١٩٧٨) ورواية طويلة بعنـوان **جـوني إننـي لا أعرفـك** (١٩٧٧).

وفي عام ١٩٨٠ قدمت الكاتبة مسرحية **الليدي الشـريرة** وهي مسرحية تليفزيونية ومسرحية **فرجينيا**.

وفي مسرحية **فرجينيا** تعرض المؤلفـة لحيـاة الكاتبـة الإنجليزية فرجينيا وولف، التي مـا زال أسـلوب حياتهـا وانتحارها الغريب علامة استفهام وتعجب.

لقد حاولت إدنا أوبراين من خلال مسرحيتها **فرجينيـا** أن

تلقي مزيدا من الضوء على عالم فرجينيا وولـف الـداخلي، ومشاعرها المتقلبة التي أدت بها للانتحار في النهاية، وذلـك من خلال علاقتها بزوجها لينارد وولف وفيتا ساكفيل وسـت وشقيقتها فانيسا وشخصيات أخرى تركـت بصـمتها علـى شخصية فرجينيا، وأهمها والداها الكاتب المشـهور السـير ليزلي ستيفن، الذي كانت تكن له حبا عميقًا وكراهية عظيمة في نفس الوقت.. لقد استعانت إدنا أوبراين في مسـرحياتها بروايات فرجينيا وولف، وخطاباتها ورسـائلها ومـذكراتها وسيرة لينارد وولف الذاتية وسيرة فرجينيا وولف التي كتبها كونتي. وهكذا استطاعت إدنا أوبراين أن تخلـق مـن هـذه المادة الدسمة بالكلمة والصورة تتابعا دراميا، لمسـت فيـه جوهر عبقرية فرجينيا وشخصيتها ومشاعرها المتناقضة تجاه والدها وزوجها لينارد وولف والحياة عموما.

عرضت المسرحية أول مرة في مهرجـان سـتراتفورد بأونتاريو في كنـدا فـي يوليـو ١٩٨٠، وقامـت الممثلـة الإنجليزية العظيمة ماجي سميث بـدور فرجينيـا وقوبلـت المسرحية بحفاوة بالغة.

ومن خلال صفحات المسرحية، سنلاحظ أن إدنا أوبراين

حاولت أن تستوحي أسلوب فرجينيا وولف، فاعتمدت أحيانًـا على أسلوب تيار الوعي لتقدم اللحظات الحاسمة فـي حيـاة فرجينيا وولف - وإن احتفظت بالتسلسـل الزمنـي لهـذه اللحظات - وأحيانًا على الحوار الرشيق الـلاذع، وأحيانًـا على الإيحاء والصورة الشعرية.

ولعل خير تعليق كتب عن هذه المسرحية ذلك الذي كتبـه الروائي كلير كولفن الذي قال: "لقد كتبـت إدنـا أوبـراين مسرحيتها بنفس أسلوب فرجينيا وولف، حتى أننا في كثيـر من الأحيان يختلط علينا الأمر ولا نستطيع أن نفـرق بـين المقتطفات التي تضمنتها المسرحية من كتابات مسز وولـف وما كتبته إدنا أوبراين".

ولعل هذه المسرحية هي أول مسرحية تجمع بين درامـا السيرة الذاتية والدراما النفسية.. فهي تقدم لنا صورة وافيـة لحياة فرجينيا وولف في جميع تفاصيلها العامة والدقيقة، وهي في نفس الوقت تقوم برحلة استكشاف وتحليل في نفس امرأة معذبة وعقل كاتبة عبقرية.

سناء صليحة

فرجينيا وولف

ولدت فرجينيا وولف عام ١٨٨٢، وظهرت أول رواياتها عام ١٩١٩ تحت عنوان **الليل والنهار** ثـم توالـت أعمـال فرجينيا وولف ـ مثل **غرفة جيكوب** (١٩٢٢) **ومسز دالوي** (١٩٢٥) **وإلى المادة** (١٩٢٧) **والأمواج** (١٩٣١) ـ لتعكس أسلوب الكاتبة المميز الذي يهـدف إلـى تصـوير الحيـاة الوجدانية من خلال تيار الوعي وتداعي اللحظات الشـعورية في إطار الزمن النفسي وتجاهل الزمن الواقعي.

ولقد كانت الوحدة وافتقاد التواصل محور معظم أعمـال الكاتبة. كما حملت بعض رواياتها طابعا تعبيريا ذاتيا مثـل رواية **أورلاندو** (١٩٢٨) ورواية **الأعـوام** (١٩٣٧) **وبـين الفصول** (١٩٤١) حيث كانت هذه الروايات ملتصقة التصاقًا مباشرا بتجربتها الشخصية. وتضم قائمة أعمـال فرجينيـا وولف مجموعة كتب ومقالات ومجموعة قصـص قصـيرة بعنوان **الاثنين أو الثلاثاء** (١٩٢١).

الشخصيات

فرجينيا: تبدو أحيانًا امرأة ناضجة وأحيانًا شابة فـي مقتبـل العمر. وتتنوع طريقتها في الحديث ونبرات صوتها تنوعا كبيرا، فهي أحيانًا سريعة ومرحـة وأحيانًـا أخرى متأنية متدبرة، ومـرة ـ أثنـاء العـرض ـ تتحدث كما لو كانت نائمة. وهـي تحـدث نفسـها وتخاطب "الرجل" والمشاهدين فـي تلـك النبـرات المتنوعة. ولكنها عندما تتلو فقرات مـن مؤلفاتهـا يصبح صوتها متأملاً منتشيا حالما.

الرجل: يظهر في البداية عجوزا كوالد فرجينيا يرتدي معطفًا واسعا في أحد جيوبه العديدة كتاب، فهو لا يفـارق الكتاب، ونراه في أحيان كثيرة يغمغم بصوت غيـر مسموع الكلمات التالية.

"وبينما غصت في أعماق بحر شديد الهياج غلبتني أمـواج خليج أعمق".

بعد ذلك يصبح الرجل زوج فرجينيـا "لينـارد وولـف". وتختلف شخصية لينارد في بداية ظهورها عنها في المشاهد

التالية، فهو يظهر في أول الأمر كشـاب ممتلـئ بالحيويـة والقوة يخطو مختالاً واثقًا كأي شاب على وشك أن يعـرض الزواج على فتاته. وفي المشاهد التالية يفقد اعتداده وثباتـه وتكتسب حركاته ونبراته رجفة واضحة.

فيتا: امرأة جريئة مندفعة في السابعة والثلاثـين. مظهرهـا أرستقراطي وسلوكها بوهيمي. وهي تمثل الجانـب الحسي الشهواني الذي يقف على طرف النقيض من شفافية فرجينيا..

المنظر

منظر تجريدي، وهناك عدد من شاشات العرض تظهـر عليها خلال المسرحية لقطات لحي بلومزبري وشوارع لندن ومناظر من الريف.. إلخ.

الفصل الأول

المشهد الأول

الرجل: أسأل نفسي لماذا أحس بهذه النشوة؟ لـم كـل هـذا الخوف؟ ما الذي يملأ نفسي بهذا الخليط الغريب من التوتر والترقب؟

فرجينيا: حلمت أنني أميل فوق حافة القارب وأنني سقطت ـ غصت تحت أمواج البحر ـ كنت ميتة وها أنا الآن أحيا من جديد ـ كان شيئًا فظيعا فظيعا.. تماما مثلما يحدث عند اليقظة من النوم حـين تعلـو أصـوات الطيور وتختلط بأصوات عجـلات المركبـات فـي ثرثرة منغمة غريبة.. تعلو وتعلو ويشعر معها النائم أنه يغدو أقرب وأقرب من شطآن الحيـاة.. ويشـتد لهيب الشمس.. وتعلو الصرخات.. أعلى وأعلـى.. ويحس وكأن حدثًا هائلاً يوشك أن يقع.

الرجل: جيني ـ فرجينيا!

(ترمقه في غضب مكتوم).

فرجينيا: دقائق.. دقائق من وجودي.. هنا.. أسيرة. لن أبقي شيئًا في قاع البحر، انحنى أبي فوق مجلداته..لم يكن

عاشقًا تافها أو متفائلاً سطحيا.. كان واحدا من سلالة العمالقة. كان وحيدا في بحار طوقتها الثلوج.

يجري في عروقي دمان دم أبي.. دقيق متفحص، جسور وقاس - دم بحار.. بل عربة كاملة من البحارة، ودم أمي.. المهذبة الجميلة الخائفة.

كانت زوجته هي أمي: عندما كانت تصب لنا الشاي كان كل شيء يبدو مؤثرا وحيا ومثيرا - الحجرة المزدحمة بالناس.. أطفالها الكثيرون وسقف غرفة الأطفال العالي والأطباق العديدة البريئة من شرائح الخبز بالزبد.

عبرت الحياة وشريط قصير من الزمن أمام عينيها.. أمام أعوامها الخمسين.. نظرت إلى الحياة وفهمتها بوضوح. كان فهمها للحياة شيئًا حقيقيا وخاصا بها وحدها. لم تشرك فيه زوجها أو أطفالها. وحاولت دائما أن تنتصر على الحياة كما حاولت الحياة أن تنتصر عليها وعندما كان الصراع يحتدم كانت تحس بهذا الشيء المسمى بالحياة وكأنه شيء فظيع عدواني يتوخى الفرصة لينقض عليها، عندئذٍ

كانت تقول ملوحة بسيفها "هراء".

نعم لقد أردت أن أستحوذ عليها لنفسي ـ يحـس المرء أحيانًا هذا الإحساس ـ أردت أن أكون وحدي معها لأريها قصصي الصغيرة عن الأرواح الهائمـة التي تبحث عن أجساد ـ كانت تحـب ذلـك. أبـي وزوجته. لم يكونا أبدا شيئًا واحدا. رجل وزوجتـه. من المؤكد أنه شيء غريب.. كل هذا الجماع، زواج وأمومة دونما يقظة ـ هذا لا يكفي.. إنها علاقـات مزدحمة إلى حد ما.. يشع بها التوتر بعض الشـيء وتتطلب قدرا من الشجاعة.. أجل.. ولكنها لا تكفي. كانت تزهو به كما يزهو شخص بقمة جبـل عاليـة لا يزورها إلا ضوء النجوم.. كانـت نبيلـة.. تتقـد حماسا.. أجل.. ولكنها كانت أيضا متواضعة ـ أمي ـ أقولها ـ لا أستطيع إلا أن أرددها.. جملة واحدة تخطر على الذهن.. أو صوتها.. أو ذلك الممشـوق وهو يرقد في التراب أو يخطر في عباءتها الرثـة.. هامتها العالية المنتصبة التـي لا تخطئهـا عـين.. وعيناها تنظران إلى الأمام دائما.. تتعجلنا.. تقـول

هيا.. بسرعة.. لا تجعلوا أباكم ينتظر - أو أراهـا تجلس إلى المنضدة هناك تكتب خطابا - والشمعدان الفضي والمقعد العالي المحفور ودواة الحبر النحاسية المثلثة.. ثم تختفي.. كانـت فـي الطـابق العلـوي وأخذني أخي غير الشقيق جـورج مـاكورث إلـى حجرتها لأقبلها قبلة الوداع وقالت "لا تحني ظهرك يا عزيزتي الصغيرة". كان ذلك في الخامس من مـايو ١٨٩٥. في حوالي الساعة السادسة صـباحا رأيـت الطبيب يرحل. رأيت الحمام يحوم ثم يهدأ.. دثرنـي بالمناشف وسقوني البراندي. كانت الشمس توشك أن تشرق على ما أظن. كانت قد ماتت تـوا.. المـوت دمار.

الرجل: لا.. لا. لا.

فرجينيا: (**بإصرار**) لا. لا.

نهاية المشهد الأول

المشهد الثاني

فرجينيا: تماسكنا أنا وشقيقتي.. استعدنا قوانا. كان هذا أهـم شيء ـ كان أعظم اختبار خضناه ـ أما أبـي فقـد أحنت الصدمة ظهره وأفقدته صوابه وأخذ يردد نفس الشيء مرات ومرات.

الرجل: لم أقل لها أبدا، لم أخبرها أبدا كم أحببتهـا. (**يكـرر نفس الجملة عدة مرات**).

فرجينيا: امتلأ المنزل بالمعزين، نساء، حزن حقيقي، حـزن كاذب. كانـت حـواف ورق الخطابـات السـوداء عريضة جدا حتى إنها لم تترك فراغًا للرسالة. لـم يقل لها إنه أحبها.. نفس القصـة القديمـة.. فـات الوقت.

الرجل: لم أكن شيئًا مثل كارلايل، أليس كذلك؟

فرجينيا: يريد عزاء، ولكن أي عزاء يمكن أن نقدمه؟

الرجل: لقد نسيني الجميع.

فرجينيا: رجل بلا إحساس وأطفال بلا مشاعر.

حتى لو كان على بعد ٥٠ قـدما، وحتـى لـو لـم يـتكلم

أو يراك فهو يملأ المكان ويسـيطر عليـه. كنـت أتظاهر بأني أشرب فنجانًا ما حتـى أهـرب مـن مطالبه. حتى أتجاهل للحظة أطول حاجتـه الملحـة للسيطرة.. افعلي هذا.. افعلي ذاك.. هذه السـيطرة. وكأنه يقول طول الوقت "اخضعي لي".

الكلمات كتبت نفسها، ورقة فوق ورقة، طية فوق أخرى..

توالت على الذهن دونما توقف.

لم يشدني مثله أحد قط، كانت يداه تبدوان جميلتين وكذلك قدماه وصـوته وسـرعته ومزاجـه الحـاد وأطواره الغريبة وعواطفه الجياشة وصراحته أمـام الجميع.

الرجل: كل منا يموت وحيدا.

فرجينيا: وتباعده.

عار أن تقف هناك وأن تكون أخرس جنسـيا ـ قـال هـذا أحدهم.

الرجل: وما الذي قلته؟

فرجينيا: ألا يكفي أنك سحقتني بأعمالك العظيمة وأنـا فـي رحم أمي وجعلتني مخلوقة شاذة. أتريـد منـي الآن وقد كبرت أن أؤكد لك أنك لم تكن سيئًا مثل مسـتر كارلايل؟ يا لها من أنانية.. أنانية يصعب تصورها.

كراهيتي له تكبر داخلي وتزداد حدة وحدة. ولكن هل تمتد لتشمل كل الرجال جميعا؟ الرجال الذين يتصارعون على أجزاء مختلفة من جسدي. كان شديد الأنانية.. شديد البخل. عندما طلبت منه أختي نيسا مصروف المنزل قال لها إنها يجب أن تخجل من نفسها وإنها ستؤدي بنا إلـى الإفلاس. لا عجب أنني عانيت مـن النوبـات العصـبية والقلق.

"الأثواب الحريرية القديمة لا تصنع زهرة فريدة" وإلى جانب كل هذا كان علينا أنا وشـقيقتي أن نخـرج إلـى المجتمع.. نخرج إلى المجتمع دون أن يكـون لـدينا أي شيء.. نخرج إلى هذا العالم الغبي. عالم أثواب السـاتان البيضاء والقفازات الجلدية وبطاقات التـزاور والشـباب الذين يعملون في وزارة الخارجية ولم يسمعوا قـط عـن أفلاطون ولكنهم يجيدون الرقص. وإذا تـألق رجـل أو

امرأة في حفلة راقصة.. وتراقصـا.. وكـان فـي هـذا الكفاية.. تم كل شيء بمنتهى الوضوح.. بمنتهى المهارة.. يا لقدراتها الفائقة!

الرجل: شيء رائع أن تغدو مثلهن ولكن قـدرها أن تكـون مختلفة عن الآخرين. حظها العاثر حرمها من القدرة على المشاركة.

فرجينيا: جاءني إله الحب إيروس طائرا على أجنحة قذرة.. اصطحبني أخي غير الشقيق جورج إلى حفل راقص في بيت ليدي سيلجو.

كان ثوبي مصنوعا من قماش أخضر من محل أثـاث لأن ثمنه كان أرخص ولأن ذلك كان شيئًا غير مـألوف وجريئًا. المركبة تنتظر والطريق يبدو فضيا فـي ضـوء القمر الجديد.

دخلت الحفل وقد ذهب الخجل والتوتر بنصف عقلـي. ظللت أتوثب في القاعة وأناقش شباب وزارة الخارجيـة في فن الخطابة والأوسمة. كنت أرقص وأشـعر بمـدى غرابة أن أكون وحدي مع شخص غريب عني تمامـا.. أتحسس طريقي إليه كمبتدئ يحاول الانزلاق على الجليـد

لأول مرة. ورقص أخي مع كل السيدات وانحنـى لهـن شاكرا ثم اصطحبني إلى المنزل.

صعدت إلى غرفتي وخلعت البروش الـذي أعطـاني إياه. ثم فتح الباب، وفي الظلام دلف شخص إلى الغرفة. صـرخت: "مـن هنـاك؟" وأجـاب جـورج: "لا تخافي.. لا تضيئي المصباح.. آه يا حبيبتي"

ألقى بنفسه على سريري وأخذني بين ذراعيه. وانفجر شيء ما في داخله، تحول إلى أشلاء قد يكون تحفظه.. أو ربما أخلاقه المهذبة أو قواعد السـلوك القويمـة.. تلـك الصفات التي من المفروض أن يتحلى بها رجال الطبقـة المتوسطة. قال: "وإلى جانب كل هذا فأنا أحبك ويجب أن آخذك".

كانت حياتنا منقسمة انقساما بالغ الغرابة.. كان أبي في الغرفة المجاورة يلقنني العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعيـة والقواعد التي تعصم من الخطأ.. كلها نظريات.. نظريات تثير الضجر.

لقد نسيت كل ما تعلمته. فـالعلوم والآداب اليونانيـة. خلقت للرجال بلا شك. وكذلك الأمـور الماليـة وأمـور

الحكم.. العالم ينتمي للرجال.

(**تنظر إلى الرجل**).

أردت عقـلاً.. رجـلاً.. رفيقًـا يمكننـي محاورتـه ومناقشته.. ولكنهم جميعا كانوا من جامعـة كامبريـدج. وكان أخي توبي في جامعة كامبريدج.

لو كانت روح السلام توجد في أي مكان لكـان هـذا المكان هو هذه الحجرات في كامبريدج.. هذه السـاحات والقاعات المربعة.. الألوان تستعمل في زجـاج النافـذة كدقات قلب متوثب.. كل هذه الكتـب ودخـان السـجائر والشراب والمقاعد الوثيرة.. كل هذا التهذيب والتحضر.

الرجل: الذوق والكياسة.

فرجينيا: الحياة الجادة الهادئة.

الرجل: أن تكون وحيدا لا يزعجك أحد.

فرجينيا: (**متجاهلة الرجل**) كان أخي توبي يعرف عددا مـن الشبان الذين يثيـرون الاهتمـام، كـانوا عبـاقرة ومبشرين (**في حماس شديد**) ليتون ستراتش صاحب المقولة الذكية. سيدني تيرنر الذي كان ينـام طـول النهار ويقرأ طول الليل.

وولف.. رجل همجي غريب الأطوار.. ويهودي. كلايف بل.. ملحد... يستخدم عضلاته.. لـم يقنـع بكتابة الشعر بل اصطحب إدنا ماي إلى منزله لتناول الغداء.. اللعنة.. لقد كنا نتضور جوعا فـي البيـت بينما ندرس اليونانية ونقوم بتجليد الكتـب ونجهـز المائدة ونتعامل بأدب مع النساء. مع العمات. نسـاء دموعهن دائما جاهزة لأن تسيل عند كـل مـوت أو إشارة موت.

الرجل:جينا.. أنت عزائي.. كم أنت طيبة معي!

فرجينيا: إذا كان لابد أن تموت، لم لا تفعل؟

(تستدير فرجينيا وكأنها على وشك أن تناديه ليعود ولكنهـا لا تفعل ذلك بل تعبر إلى حيث كـان يقـرأ وتغلـق بعنف الكتاب الذي كان يقرؤه).

فرجينيا: كانت حياته ستقضي تماما على حياتي.. لا كتابة.. لا أصوات طيور تمـزق الهـواء.. لا قصـص.. مستحيل.

كانت القضية هي التخلص من كل الأشياء القديمـة.. أكوام الخطابات.. والصور.. والماضي.. ثم الانتقال إلى

جوردون سكوير. كان رائعا أن تكون الجـدران هادئـة الألوان وأغطية المقاعد زاهية وأن نشرب القهوة بدلاً من الشاي، وكان رائعا أن نتخلى أنا ونيسا عن أثواب الساتان البيضاء ونرتدي أثوابا فاقعة الألوان كما لـو كـان قـد رسمها جوجان. وهكذا بدأت لقاءات الخميس الأدبية. يدق الجرس بعد العشاء ويدلف ستراتش وسيدني تيرنر وولف وكلايف بل - كان كلايف بل خليطًا من شيلي وصاحب أملاك ريفي. أما ليتون ستراتش (**في تبتـل**) سـتراتش.. مفتون بالشاعر بوب.. نحيل جدا حتى أن فخذه لم تكـن أسمن من ذراعي.. ستراتش وهو يقول.

(**في صوت متكاف عميق**).

"هل تسمعين موسيقى الأكوان" ثم يغيب عن الـوعي.. وسيدني تيرنر الذي لا يقول إلا الحقيقة.. الحقيقة المطلقة.

أخفيت علب الثقاب لأن ألوانها تنـافرت مـع ألـوان الحجرة.

كانوا يجلسون في الأركان ويحملقون في الفضاء لفترة طويلة ولا ينطقون بشيء.

"لا"

"كلا. لم أرها"

"لا.. لا أوافقك"

وهكذا حتى يتوصلوا إلى موضوع يثير الاهتمام حقًا مثل الجمال أو إذا كان التآلف العميق يحول الروح إلى رماد.

كل كلمة لها شذاها، والشعر ينتظم العبير المختلف للكلمات في تتابع مترابط. ولكن هل يعتمد الشعر على النسيج أو البنيان؟ يمكن أن أتصور أنني قصة أو أنه قصة أو أنها قصة، ولكن كيف يمكنني أن أمسك بها؟ لست أعني مجرد النظرية والجدل الذي يثار حولها. بل أعني الإمساك بالشيء نفسه.. بكل الأشياء.. الأشياء لا تحصى ولا تعد كلها معا.

هناك عبارات خاصة بوصف القمر.. وعبارات أخرى لوصف مظهر البشر.. كيف ينظرون.. يستديرون ويلقون بأعقاب سجائرهم.

وفجأة يقول ستراتش - بعد أن ظل صامتًا لفترة طويلة - يقول وهو يرمق بقعة على ثوب نيسا: "السائل المنوي.. هذا شيء مؤسف للغاية.. كما يقول هنري

جيمس". "السائل المنوي.. هل يجرؤ أحـد مـنكم علـى قولها؟" وفجأة ضحكنا جميعا وكانت نيسا أكثرنا ضحكًا.

كم كانت جميلة وكم كانت تبدو على أهبة الاسـتعداد وهي تمتطي حصانها العربي - أعني الحيـاة - كانـت الشمس المشرقة وكنت الأصيل - لم نذكر الحب صراحة وعلى أية حال فالفنان العظيم كان يجمـع بـين صـفات الرجل والمرأة معا - كنت أعرف أنه في عصر أفلاطون كان في اليونان أشخاص بمثل هذه الصـفات ولكـن لـم يخطر على بالي قط أن أحدهم سوف يجلس فـي حجـرة الصالون بمنزل رقم ٤٦ في جوردون سكوير - تملـك اليأس من جيمس، وروبرت هجرته حبيبتـه، ومورجـان عجز عن تسيير شئونه.

كان الحب والزواج موضوعا غير جـدير بالاهتمـام ومع ذلك (**تتلو**) "الآنسة بوس والسيد بيل يشعران بأسـهم كيوبيد".

لم أحلم قط أن هذا سيحدث وضعت نيسا ذراعيها فوق رأسها وقالت:

"أرى أننا سوف نتزوج".

شعرت بالأقدار تنقض علينا وتفرقنـا بعـد أن كنـا ملتصقتين التصاقًا حتميا.. بعد أن كنا نحكم العالم بيننا.

(بحدة).

تتزوجين؟ من؟

فرجينيا: **(متقمصة شخصية نيسا)** أي شخص.

فرجينيا: الزواج؟ تتحدثن عن الزواج ولم تمض على وفـاة والدنا سوى فترة وجيزة! النساء قاسيات على النساء. النساء يكرهن النساء. **(مخاطبة نيسا)** هذا لا يليق ـ تتزوجين؟.. من؟

فرجينيا: **(وكأنها نيسا)** كلايف.. مثلاً.

فرجينيا: إنه غير جدير بك. فهو يـأتي بحركـات عصـبية فجائية ويطارد الفتيـات. إن حركاتـه العصـبية لا تفارقه حتى عندما يناقش الشعر الحديث. **(موجهـة الحديث له)** إن لك حساسية رائعة في تذوق الشعر يا مستر بل ولكن تنقصك الشخصية والعمق. **(توجـه الحديث إلى نيسا)** إن وجهه يتورد خجـلاً كشـمس الأصيل بينما يطرف بعينيه كطاحونة هواء. **(تحدث الجمهور)** لم أستطع أن أمنعها. بدأت تضع الـورود

خلاف أذنيها وترتدي العباءة الوردية التي اشـتريناها أثناء ترحالنا في القسطنطينية. وبدأت تقابله كل يوم. وكان لابد أن أحول بينهما لأنها كانت كل شيء لي. كانت أما وأبا وأخا وأختا وحبيبة.

فرجينيا: وهكذا كان علينا أنا وأخي أدريان أن ننتقـل إلـى منزل آخر. وقررت عندئذٍ. أن أجني شيئًا من وراء زواجها.. وهكذا بدأت أنفذ خطتي الصغيرة.

سأفرقهما وأقف بينهما - كانت الغيرة هي الواقـع - الغيـرة التـي تبقـى بعـد انتهـاء كـل العواطـف البشرية - أوه يا كلايف! قلبي يخفق بشدة، إنني عاطفية جـدا، لا أسـتطيع كتابـة روايتـي لأننـي لا أجد القلم المناسب، وكلايف.. إذا خرجنا للتمشية مـرة أخرى هل أرتدي ملابسي الصوفية؟

كان يملأ الأمسيات حيوية ونشاطًا. كنت أشحذ تفكيره وكان يصقل سلوكي. كنا نتحدث طويلاً وفي موضوعات بالغة التنوع.. عن الأفيال في كفت واللسـان المحفـوظ وجان جاك روسو ومدام دي ستايل وهل كان الجو أبـرد في القرن الثامن عشر ولماذا يفتقد الروس لروح الفكاهة.

أما هي فكانت تبقى في البيت لترعى طفلهما. أعتقد أنـه كان يكره ذلك الطفل وأعتقد أنني أيضا كنت أكرهه.. كنا نشترك في ذلك أنا وهو.. كنا نكـره الأطفـال الصـغار وكانت نيسا تحبهم. كانت تصفق فرحـا عنـدما يتجشـأ (**تقولها في تهكم**).

وأما عن أصوات الأطفال الرضع الرائعة وعدم ظهور علامات مرض الحصبة عليهم فأمسك الخشب "كلايـف.. ما أصل تعبير أمسـك الخشـب؟" عندئـذٍ كـان يلـتقط الموسوعة من على الرف ـ وذات يوم قال لي "فرجينيا، ما هي أكثر الأشياء إشراقًا في نظرك؟" فقلت، ورقة شجر يلمع عليها الضوء، وكنت أعني ذلك.

رأتنا نمشي عبر السهول وهو يتأبط ذراعي ـ وفـي أحد الأيام نادتني وانتحت بي جانبا ـ كـان ذلـك بعـد عودتنا نحن الثلاثة من فلورنسا ـ كانت تتألم ولهذا كانت لطيفة جدا في الحديث معي. قالت "اسمعي يا فرجينيـا.. كلنا نعرف أن هذا غير صحيح ولكن عماتك يكررن أنك تغازلين زوجي". ثم أضافت "لو كنت فعلا تحبينـه لمـا آلمني الأمر إلى هذا الحد ولكنك لا تحبينه".

(تسير فرجينيا مبتعدة وكأنها تبتعد عن شقيقتها وتقـول في تكبر).

فرجينيا: الحب. هناك شيء مثير لبعض السخرية في هـذه الكلمة.

(ترتل).

يختاف السيد بيل عنا كثيرا

وكذاك الآنسة بوسي

(**صوت بيانولا**).

الأفضل كثيرا أن أخرج إلى شـوارع لنـدن وأقـذف بعقلي في الهواء كم هذا رائع وجميل ومنعش ـ ياالهدوء النسيم ـ يونيو.. يونيو الذي يخرج من كل شجرة، جميع أوراقها.. ترضع الأمهات أطفالها وتعبر الرسـائل مـن الأسطول إلى القيادة البحرية ويبـدو شـارع أولنجتـون وشارع بيكاديللي وكأنهما يداعبان من الهواء نفسه.. لندن في كل مرحها وتحديها.

آه مستر وولف. بلغني أنك سويت الهوائل في سيلان.. سيطرت على السكان واصطدت النمور وشنقت السود.

ليناρد: إنني سعيد بعودتي للوطن.

فرجينيا: حدثني عن سيلان. قل شيئًا لا أعرفه.

ليناρد: في أحد الأيام كنت مسافرا بالقطـار ورأيـت علـى شاطئ البحر عددا كبيرا من أسماك القرش الميتة ـ وكانت ترتسم على وجوهها جميعا ابتسامة غريبة.. ابتسامة متكلفة غريبة.

فرجينيا: (**غير مصدقة**) حقًا وماذا تفعل منذ عودتك للوطن؟

ليناρد: أتجول بدراجتي هنا وهناك.. أقابل أصـدقائي مـن كابريدج.. أذهب لنزهات علـى الأقـدام وأنـاقش ج. ي. مور.

فرجينيا: حتى الآن؟

ليناρد: ذهبت لحديقة الحيوان. الأسود تتصرف وكأنها مـن مواليد سادة كينسنجتون.

فرجينيا: كيف؟ كيف؟

ليناρد: رأيت حادثة غريبة ـ كانت الأسود فـي أقفاصـها. وكانت هناك امرأة بدينة في منتصف العمـر مـن الطبقة المتوسطة تقف قريبا من القضبان تحملق في

أسد رائع على الجانب الآخر من القضبان ـ وكـان الأسد كعادة الأسود يحملق عبر رأسها في اللانهائية. وفجأة استدار معطيا ظهره لها وتبول عليهـا مـن خلال القضبان.. فصاحت "أوه.. الحيـوان القـذر.. الحيوان القذر".

فرجينيا: (ضاحكة) أوه! الحيوان القذر.

(تتوقف عن الضحك فجأة).

هذا شيء غبي سخيف ـ أليس لديك شيء أفضل تقوله؟

لينارد: أجل (**صمت برهة**) تزوجيني.

فرجينيا: (**على جانب**) لماذا يتكلم الجميع عن الزواج؟

أهي طبيعة الإنسان البدائية تكشف عن وجهها؟

لينارد:حقيقة إنني بارد ومتحفظ مع الآخرين.

فرجينيا: كما تقول.

لينارد: إنني أناني وقاس وشهواني وكذاب.

فرجينيا: وأنت تحلم عضضت إبهامك بعنف شـديد وكأنـك تجادل خصما لك، مزاجك عنيـف كمـزاج العميـد سويفت (**وكان مضرب الأمثال في ثوراته**). قد تقتل

زوجتك أو تقذف بطبق فنجان الشاي من النافذة.

لينارد: (**بسرعة**) توبي أخبرك بذلك على مـا أظـن. (**فـي صوت خافت**) إنني حزين لموته.

فرجينيا: نحن لا نتحدث في هذا الموضوع. شهدنا موتًا أكثر من اللازم موت أمي وأبي وأختي غير الشقيقة ستلا وأخيرا توبي. الحداد ضد مبادئنا.

(تدير ظهرها).

لينارد: لقد انتظرتك ست سنوات.

فرجينيا: إنك تبدو لي غريبا جدا كأحد الأجانب.. تبدو أجنبيا بصورة غير مريحة.

(تضرب الأرض بقدميها).

لا لن أتزوجك (**للجمهور**) إنه قاس.. قا... س ـ كم أحـب القسوة، أستطيع التهامها على ملعقة مثـل الشـعير بالزيت.

(**تستدير وتتقدم إلى الجمهور).**

لينارد: (**يخاطب فرجينيا وكأنه يكتب خطابا**).

فرجينيا يا أغلى الأعزاء

يجب أن أكتب إليك، إنني لا أتذكر بوضوح مـا قلته لك اليوم بعد الظهر ولكني متأكد أنـك تعـرفين لماذا جئت لرؤيتك. لم أكن أدرك مقدار حبـي لـك حتى تحادثنا عن عودتي لسيلان. بعد ذلك لـم أعـد قادرا على التفكير في شيء سواك. لقد وصلت إلـى حالة فظيعة من البلبلة وعدم اليقين ولم أعد أعـرف هل تحبينني أو هل يمكن أن تحبيني يومـا مـا، أو حتى أن أعجبك.

فرجينيا: كل ما يمكن أن أقوله هو إنني أحب أن أستمر كما كنت وإنك يجب أن تتركني حرة.

لينارد: يبدو لي أن هناك شيئًا ما بداخلك يصدني ويقاومني.

فرجينيا: إنني أنتقل من الحرارة إلى البرودة في لحظة ودون أي سبب.

لينـارد: بصرف النظر عن حبي لك فإن زواجـي يسـتحق المخاطرة بكل شيء.

فرجينيا: أحب أن يكون للآخرين بيـوت، وبسـط وموائـد ومقاعد ولوحات وأطقم صيني، وأسرة ذات أعمـدة تغطيها مفارش مشغولة، وأصص من نبات اللافندر

في الحجرات وعاب من البسكويت يأكل منهـا مـن يستيقظ في الليل جائعا. وهناك آخرون يسكنون فيللا صغيرة قميئة في الضواحي تنبعث منها رواح اللحم والإنسان.. كل شيء في حياتهم ممل ورتيب وأيضا عاقل ومعتدل.

(على جانب).

قد تكون ديانتك اليهودية أحد أسباب نفوري منك فأنا لا أشعر بأي جاذبية جسدية نحوك. أحيانًا عندما تقبلني ـ كما حدث منذ أيام ـ لا أحس بأي نشـوة جسدية وكأنني قطعة من الصخر.

لينارد: لقد أفسدت مشروع زواجك مثل هيبوقليدس.

فرجينيا: مِمن؟

لينارد: هيبوقليدس. أراد أكثر مما يستطيع.

فرجينيا: (**مبتسمة**) ربما أتزوجك.

لينارد: (**يستدير ويرى ابتسامتها**).

فرجينيا: إنني أريد شخصا يجعلني أتقد، عندئذ سأتزوجه.

لينارد: ربما كنت أنا هذا الشخص.

فرجينيا: إنني مصابة كما تعرف بمرض ما في رأسـي. إن نبضي يتخطى حدود العقل.. يصبح مجنونًا.. إننـي أفكر في الجمال والعبادات وأنا أمشي، وأفكـر فـي المشاهد وأنا أجلس.

لينارد: يوما ما قد تؤلفين عملاً رائعا.

فرجينيا: وأنت؟

لينارد: سأرتزق من الصحافة صباحا وأكتب أعظم أعمـالي في المساء (**مبتسـما**) إن مكاتـب دور الصـحف مفروشة بالمؤلفات العظيمة.

فرجينيا: إننا نطلب من الحياة الكثير.. أليس كذلك؟

لينارد: ربما حصلنا على ما نطلب.

(فرجينيا تخلع خاتم والدتها فجأة وتعطيه له).

فرجينيا: كان خاتم أمي. خذه. لا تسألني لماذا.

لينارد: هيا نذهب إلى سانت بانكراس.

(عاصفة رعدية).

فرجينيا: (**تستدير إلى الجمهور**) ها قد تم إنقاذي.

المشهد الثالث

ليناردـ:(صوت من الخلفية فقط) في أي ساعة تصحو تسـمع بابا يوصد. كانا ينتقلان من حجـرة إلـى حجـرة، أيديهما متشابكة.. يرفعان أشياء هنـاك زيـادة فـي الاحتياط ـ اثنان من الأشباح.

(صوت الساعة).

فرجينيا: (**تتكلم بسرعة شديدة**) الحاديـة عشـرة، الثانيـة عشرة، الثالثة عشرة، الرابعة عشرة، وهكـذا حتـى تصل الدقات إلى عشرين ثم ثلاثين ثم أربعـين ثـم خمسين ثم ستين.

فرجينيا: لا شيء يمنع هذه الأشباح. أشباح من أقذر نـوع. أكره هذا الجسد.. هذه البطن.. إنها وعـاء قـذر.. يطلب، الفم، الطعام، الشهوة. هذا شيء مقزز.

أي عدو يزحف الآن علينا. ليتكلم اليهودي.

كل التعاليم والمواعظ ما هي في رأيـي إلا تجـديف، الشـيوعيون والاشـتراكيون والكـاثوليكيون الرومـان

والروزيكروشـيون [٣] والفـابيون كلهـم يعتقـدون أن بمقدورهم تغيير أقدار الأمم.

أهذا الدواء لي؟ ألقه إذن في البحر أو اشـربه أنـت.. العنزة فقدت عقلها.. لا لم تجن وأنا لست مجنونـة. أمـا المسز ثاكري فهي مجنونة.. أنا أعرف مثلاً أن خمسمائة جنيه سنويا تفوق قيمتها الجمال والمكانة الاجتماعية وأنني كسولة، تافهة وشرهة وهذا العلاج لا فائدة منه. (**بصوت حاد**) قلت هذا العلاج لا يجدي. لجان.. لجـان.. لجـان للأطفال ولجان للمجـانين ولجـان للمرضـى والعجـزة وللأموات.

(**تشير بإصبعها تجاهه**).

قل لي. لماذا لم تخترع لجنة للعقلاء؟ لأنـك لا تريـد ذلك. إنك تشبه آلة الحصاد التي تدور وتدور حتى تحصد في النهاية القمح في مربعها الصغير. (**تضحك**) لقد قرأت يومياتك. فهمت الشفرة التـي تكتـب بهـا ـ شـفرتك

---

(٣) أعضاء جمعية سرية في القرن ١٧ و ١٨ زعمـت امـتلاك معرفة سرية بالطبيعة والدين.

السنغالية. ف قد تعني فرجينيا. ف صحتها اليوم طيبة أو سيئة أو ليست على ما يرام، صحتها الليلة طيبة، سيئة أو بين بين. تتكلم عن صحتي فكأنك تصف النشرة الجوية أو اتجاه الريح.

(**في تباه**) لن تجد أبدا بابا ولا قفلاً ولا ترباسا تسـجن وراءه حرية عقلي. وحتى لو أردتُ أنا هذا فلن أجد بابـا أو قفلاً أو ترباسا.

(**تقولها في قسوة وتشفّ**).

ليناردم: ملعقة واحدة، واحدة فقط.

فرجينيا: إنه دواء مقزز، لا بد أنه مصـنوع مـن أحشـاء الخنازير وقوامه غليظ كالوحل.

ليناردم: إنه مستخلص من جذور إحـدى النباتـات الطبيـة لا أكثر ولا أقل.

فرجينيا: أن تجمع بين الحكمة والسعادة ـ هذه هي أصـعب الأشياء منالاً.

ليناردم: ولكنك تملكين الحكمة والسعادة أيضا.

فرجينيا: فجأة تذوب رقة وحنانًا. أهي إحدى ألاعيبك؟

عند أول بادرة للسقوط ـ للتهاوي تـنقض علينـا الطبيعـة البشرية. هيا استدع الممرضـة، اسـتدع الطبيـب، وفاعلي الخير أيضا ـ لقد قابلتهم أمـي.. كلهـم.. أخبرتني بذلك الآن.

قالت "فرجينيا..الموتى يبعثون على المال الشديد، وهم أيضا يتمسكون بالتقاليد تمسكًا شـديدا ـ إنهـم تماما كالأحياء". أي فرصة أتيحـت للأرسـتقراطية الإنجليزية وأضاعتها. كان بوسعهم أن يزرعوا فـي هذه الأجساد الغبية التي لا ترقـى أحاسيسـها عـن أحاسيس الخدم بعض العقول الذكية. قل لي، قل لي، لماذا يثير الناس كل هذه الضـجة حـول الـزواج والجنس؟ أجبني! يا لها من قذارة ـ لقد تجنبنا هـذه القذارة أليس كذلك؟

لقد أدركنا فورا أنها حماقة مقززة غبية.

هذه المرأة تسخر مني.

وأنت تقاوم الرياح العاصفة، أليس كذلك؟ ابتعد عنـي أيها الحيوان، أعرف ما تريد، أعرف ما تريدون جميعـا. كلكم تريدون شيئًا واحدا. لقد تنبأت بمقتـل الأرشـيدوق

وموت زوجة الشاعر وروبرت لويس ستيفنسون، خنزير، حيوان، ولن أجيب على أية أسئلة.. أتسمع؟

(**تتظاهر بالشجاعة**).

أجل.. على كل منا أن يواجه أشباحه الخفية..

أزهار البنفسج هناك والأقاحي..

هذه الكتب تغطيها البقع.. إنها تتوالد.. تلد فطرا

العناكب تزحف تحت ردائي.. علـى سـاقي.. إلـى أعلى.. إلى هنا.. عناكـب ضـخمة طويلـة سـوداء.. متوحشة.

(**إنها الآن في حالة رعب حقيقية وتبدو كالحيوان**).

فرجينيا: سترسلني إلى مصحة للأمراض العقليـة. أمثالـك يفعلون ذلك دائما... انظري إليه يا أمي.. انظـري هذا هو الرجل الذي تزوجته.. يدافع عـن القضـايا النبيلة ويحتفظ بقوائم النبلاء والشخصيات الهامـة.. ليس إلا دمية.. قال..

(**تستدير إلى لينارد**) قلت...

لينارد: ثمة صمام بدائي في قلوبنا أو خلية بدائية في عقولنـا

ورثناها من أجدادنا الزواحف أو الأسماك أو القرود تجعلنا نأسى لموت الأم أسى خاصا فطريا غريبا..

فرجينيا: (**وهي تضربه**) تتصور أن في إمكانك تغيير مصائر الأمم بينما أنت عاجز حيال زوجتـك. مـا الـذي أوصلني إلى هذا الحال؟

أنت طبعا.. نعم.. لست طبيعيـة.. ولكـن أرجـوك لا ترسلني إلى مصحة عقلية ـ لا ترسلني أرجوك.

أشعر ببرد شديد والمكان فظيع بدرجة لا تتصـورها وبعيد أيضا.. بعيد جدا.. أمي.. يا لغزي المحير ـ لماذا أتحدث إلى أمي؟ أشعر ببرد شديد.

يجب أن أتدثر جيدا فهواء الليل بارد ـ ولن أرتـدي سوى هذا المعطف بالذات... إنه معطفي... شيء خاص بي.. أجل.. أجل.

من أنت؟

(**فرجينيا تمشي إلى مقدمة المسرح**).

فرجينيا: كانت تجربة فظيعة مرعبة.. عامان كـاملان مـن عمري.. ذهبا هدرا.. عامان من العذاب والمعاناة.

لينارد: لقد انقضت الأزمة.. لقد تخطيناها الآن..

نهاية الفصل الأولى

الفصل الثاني

المشهد الأول

لينارد: هذه هدية عيد ميلادك

فرجينيا: هل أفتحها؟ ا ! إنها رائعة.

(تفتح الصندوق وتخرج حقيبة خضراء مطرزة بـالخرز تتعلق من سلسلة تعلقها فرجينيا حول رسغها).

فرجينيا: ستنبهر بها ليدي ديلك.

لينارد: والآن انظري إلى هذه.

(تستدير فرجينيا وترى آلة طباعة).

لينارد: ماكينة طباعة. اشتريتها في جسر هوبورن. كلفتنـي ١٩ جنيها وخمسة شلنات وخمسة بنسات.

فرجينيا: وماذا سنفعل بها؟

لينارد: سنطبع كتبا ونبيعها عن طريق الاشتراكات.

فرجينيا: فنجربها.. ماذا أكتب؟ جلست الـ ـ قـ ـ ـ طـة على الـ ـ ب ـ ساط.

لينارد: أجل.. هيا.. جربيها.

فرجينيا: إنني خائفة منها.

ليناد: ستعود عليك بنفع كبير.. فهي تتطلب مجهودا جسـديا وهذا مفيد لك.

فرجينيا: آه... فكرت في شيء سأطبعه الآن:

"تعال إلى نافذتنا السـحرية التـي لا تضـاهيها أخرى. وسوف أقص عليـك حـين يحـين الأوان قصصا عجيبة عن المجانين.. لقد انتخبـوني ملكًـا عليهم، وقبل رحيلي عنهم عقدت اجتماعـا خاصـا للكرادلة وأصدرت بيانًا عن المسيحيين ـ لن أفشـل مرة ثانية.. لن أغرق وتتمحي من عمـري شـهور وأعوام.. سأكره ذلك لو حدث".

ليناد: ها أنت تفكرين، تخططين، تطبعين، تتقـدمين إلـى الأمام في صلابة.

فرجينيا: فلنركض إلى الأمام.

ليناد: رواية بعنوان حدائق كيو.. تأليف فرجينيا وولف.

فرجينيا: رواية حكمة العذارى بقلم ليناد وولف.

(صوت طائرة).

ليناد: كفي عن ضغط فكيك وأسنانك.

فرجينيا: لا أريد أن أموت الآن.

لينارد: احتمال الموت ضعيف.

فرجينيا: لو متنا فسنموت معا.

لينارد: لا يجب أن تفكري في هذا.

فرجينيا: لا؟ وماذا يجب أن أفعل إذن؟ أصنع قدحا من الكاكاو وأنتظر وصول الكشافة ليعلنوا بأبواقهم انتهاء الخطر.

لينارد: (**يتلو من الذاكرة**).

تحطم جدار الصمت بالرضى العميق، بالرغبة المشبوبة، بالدهشة العذبة في صوت الأطفال.. تحطم جدار الصمت.

فرجينيا: هل سيكون لنا أطفال.

لينارد: ربما.. لا.

فرجينيا: آه أيها القرد الضخم.

لينارد: آه أيتها النمسة.

فرجينيا: كنت أكتب لك كل يوم.

(تستشهد بفقرات من خطاباتها).

"نمس الغالي.. أستلقي كل ليلة وأفكر في وحشي العزيز الذي يجعل أيامي كلها سعادة"

لينارد: وكنت أقرأ خطاباتك كل يوم.

فرجينيا: وإلى جانب ذلك كيف كان نمسي يقضي وقته؟

لينارد: في عطلات نهاية الأسبوع كنت أذهب للتمشية في الهول القريب من "إيسام" وكانت تترامى إلى سمعي طلقات المدافع في ميدان القتال في هولندا.. كنت أفكر في إخوتي المساكين، في سيسل وفيليب وروبرت بروك والآخرين.. يؤلمني أنهم في الخنادق وأنني أعفيت من التجنيد.. كم أمقت هذه الحركة العصبية اللعينة التي كانت سببا في إعفائي.

فرجينيا: إنني أحتاجك ولا يمكنني الاستغناء عنك.

لينارد: لا تغير الحرب شيئًا.. إنها غلطة فادحة الثمن..

فرجينيا: يقول مستر أسكويث إننا نحارب من أجل نصرة قوى الخير والحق في الإنسانية.

لينارد: مستر أسكويث رجل أحمق. وهذه وطنية وقحة مزيفة.. لقد أعدت لنا نيلي خضارا باللحم.

فرجينيا: وهل أضافت إليه المكسرات؟

لينارد: محتمل.

فرجينيا: كم أشتهي وأحلم بلحم الضأن المشوي.. ألا تشتهيه أيضا.

ليناردة: لا.. أشتهي الكريمة بالشكولاتة.

فرجينيا: ولحم الدجاج البارد وعجينة خشنة من كبـد الإوز وقطعا ضخمة من الأناناس.

ليناردة: يوم الأحد يمكننا أن نخرج لجمع التوت الأسود.

فرجينيا: عندما تأكل التوست تبدو كالأرنب تماما.. يـرتعش أنفك كالأرنب.. هيا.. تناوله.

(في سعادة).

أرنب بري. ملك الأرانب.

الأرنب الذي يسن القوانين لكل الأرانب الأخرى.

(**ترفع ذراعيها إلى أعلى**).

هذه هي الحياة وكم أعشقها.

هل تريد بعض الخس يا أرنب؟

تعال وتناوله من يدي.

لست أرنبا أليفًا.

يا أرنب.. (**تقولها بالفرنسية).**

لينارد: أنت إنجليزية قلبا وقالبا.. ومثل معظم الإنجليز فأنت تبحثين عن الأحزان.

فرجينيا: أرنب.. أرنب.. ملك الأرانب.. إنني أكتشف فيـك صفات جديدة كل يوم.. وفي كل صباح سأسأل نفسي "وماذا فعل الملك اليوم؟"

لينارد: "اليوم" قال الملك وأنفه يرتعش بينما يشعل سيجارا ـ اليوم طاردت أرنبا بريا ـ كانت في الواقـع أرنبـة برية.

فرجينيا: هل كانت بيضاء عيونها واسعة؟

لينارد: أجل كانت عيناها بارزة توشك أن تقفز من رأسها.

فرجينيا: آه.. الأرنبة لابينوفا (**اشتقاق من الكلمة الفرنسـية الأرنب**).

لينارد: أهذا اسمها؟ لابينوفا؟

فرجينيا: أجل هذا اسمها.. إنها أرنبـة تبـالغ فـي الحـذر ولا يمكن الاعتماد عليها.. بينما هو جسور ذو عزم

وتصميم، وهما يتناسلان كالأرانب.

لينارد: يا لهم من شياطين هؤلاء الصغار - هيا نطلق عليهم الرصاص وندوسهم بأحذيتنا الثقيلة - هـذه أوامـر صاحب الأرض.

فرجينيا: آه يا ملك الأرانب، لولا وجودك معـي وارتعاشـة أنفك هذه لأصبحت في منتهى التعاسة.

(يرن جرس التليفون).

لينارد: قولي إنني خرجت - إنني لست موجودا.

(فرجينيا تتجه بحركة تمثيلية مبالغة لترد على التليفون).

فرجينيا: آه.. العالم يبحث عنا يطالب بنا.. يا للروعة؟ أحب أن أشعر بالأهمية بعد أن أنتهي من الكتابة.. الكتابة تجعلني أرتجف.

(ترفع سماعة التليفون).

لينارد: قدمي أي عذر... قولي إننا نعتزم الذهاب إلى الريف.

فرجينيا: آسفة.. مسز وولف رحلت.. ذهبت إلى كـابري.. ومستر وولف أيضا ذهب إلى كابري.. سيلتقيان في كابري.

(ترد على التليفون).

من؟ ليدي كولفاكس؟ سيبيل؟ يا لها مـن مفاجـأة رائعة.. آه.. ممكن.. لحظة واحدة سأسأل لينارد

(**تميل على لينارد وتهمس**).

إنها تدعونا يوم الأربعاء.. سيحضر أيضا أرنولد بنيت وماكس بيريوم وجورج مور ومستر بيتس.

(**يهز رأسه رافضا**).

فرجينيا: (**في التليفون**) أجل.. يسعدنا جدا الحضـور. هـذا ما كنت أتمناه دائما.. إنني أحيا حياة منعزلة خاوية.. أجل موعدنا الأربعاء.

(تضع السماعة وتحدث لينارد ملاطفة).

لينارد: عندما رأيتها لأول مرة قلت إنهـا تـذكرك بعناقيـد الكريز على قبعة خادمة. أنسيت؟

فرجينيـا: أرجوك لا تصب علي جام غضبك.. كن لطيفًا مع نسمتك.

لينارد: كل شيء يجب أن يكون بقـدر محسـوب.. العمـل والتمشية واللقاءات والحفلات..

فرجينا: ولكن لحياتي جانب اجتماعي لا يمكنك أن تحرمنـي منه.

لينارد: ولكن الحياة الاجتماعية تستنفذك وتمتص قوتك.

فرجينيا: لقد ورثت هذه الصفة من أمي ـ الفرحة والمتعـة في لقاء الناس ـ إنهم يشحذون طاقاتي.

لينارد: ويبددونها أيضا.

فرجينيا: لقاء الناس مخاطرة.

لينارد: المخاطرة تنطوي على احتمال الفشل.

فرجينيا: وما معنى الحياة لو لم نقدم عليها بجـرأة وكأنهـا مغامرة.. إذا لم نفعل ذلـك أصـبحنا مثـل أدنـى المخلوقات.

فرجينيا: في أول يوليو دعا آل وولف فيليب وأريـن نوبـل بيكر لتناول الشاي.

لينارد: وتناولوا العشاء خارج المنزل.

فرجينيا: وفي اليوم التالي جاءت دوروثي بوسي ـ شـقيقة ليتون لتناول الشاي.

لينارد: وفي مساء نفس اليوم ذهبنا إلى حفلة دعا إليها جورج

رايلاند.

فرجينيا: في ذك الحفل قامت برثا راك بالعزف والغناء.

"لا تدع بحارا يلمسك فوق الركبة ولو ببوصة واحدة".

وفي اليوم الثالث من يوليو دعونا ريموند مورتيمر وهـوب ميريليس إلى العشاء في منزلنا في تافيستوك سكوير.

لينارد: وبعد ذلك دعونا ليومايرز ودافني سانجر.

فرجينيا: في الخامسة من يوليو..

لينارد: كان يوم أحد.

فرجينيا: وذهبنا لنشاهد مسرحية "البروفة".

لينارد: وفي السادس من يوليو تناولت فرجينيا العشـاء مـع كلايف.

فرجينيا: لأشحذ قريحتي ليس إلا.. وفي التاسع من يوليو.

لينارد: جورج رايلاندر.

فرجينيا: جاء لتناول الشاي.

لينارد: وجاء ت. س. إليوت بعد العشاء.

فرجينيا: كان توم (**توماس. س. إليوت**) شاحبا كالرخام.

لينارد: وعند منتصف الصيف كانت السـهرات والـدعوات

تحاصرنا وتدفعنا.

فرجينيا: إلى الصالونات الحافلة المضيئة المزدحمة.. التـي تجعل نبض الإنسان العادي يرتفع لاهثًا من ٧٠ دقة في الدقيقة إلى ١٢٠ ويتحول ذلك السـائل الأبـيض اللازج الذي يجري في عروقه أثناء النهار إلى سائل متوهج لاذع مثل الشامبانيا.

نهاية المشهد الأول

المشهد الثاني

فرجينيا: لو أن شكسبيير رآنا الليلة لأعجب بنا.. كنا نمتلـئ حيوية.. هل لاحظت كيف سحق كلايف ذاك الرجل الضئيل. هذا الضئيل الماكر.. سألت "أيـن الـروح القدس؟" فأجاب "في كل مكان في البحـر" فسـألت "الروح القدس في كل مكان في البحر؟" فقال "لا في كل مكان في الساحل". (**هناك لعـب بالألفـاظ إذ أن Holy Ghost و coast Whole تتشـابهان صوتيا**).

ليناد: تمنيت لو لم يحاضرنا مستر بيتس عن الجنيات.

فرجينيا: تتكلم متلعثمة لتقلد مستر بنيت (**وكان روائيا منافسا لها**) لقد عطلت تقـديم الحسـاء بحركاتـك القلقـة العصبية.

ليناد: كنت أبحث عن الطريقة العلمية المثلى التي تناسـب كل واحد من الحاضرين في الانتحار.

فرجينيا: خاصة مستر آرنولد بنيت.

ليناد: قال و.. واف لا تعـ.... تعجبه روا... رواياتي.

فرجينيا: ولكنك كنت فعلاً تتململ في مقعدك.. كنت تتململ هكذا (**تقلده**).

فرجينيا: ستيفن توملين يهرب من معجباته كما لو كان دافني ـ يهرب إلى حيث لا يمكن لأحد أن يتعقبه. إنه نصف مجنون فهو يتوق إلى الحب والعطاء. ولكنه يصدم عندما يجد أن الناس تبادله الحب والعطاء ـ أما أنا فلا أحد يبادلني الحب.

(تلكز لينارد ـ إنها تحاول أن تحصل منه على احتجاج في صورة دعابة).

فرجينيا: أعجبتك الآنسة جر ترودستاين.. كنت تبدو منسجما معها تماما وهي تجلس كملكة متوجة على عرش مقعدها المكسور. كل الأثاث في بيت إيديث سيتويل قديم وبال ولهذا فهي ترصع نفسها بالمجوهرات كنوع من التعويض. أما الآنسة ستاين ـ التي تشبه إصبع سجق يرتدي ثوبا ـ فهي تعتقد أنها أكثر كتاب العالم وضوحا وشعبية. "الوردة هي الوردة هي الوردة". أهي ذلك حقًا؟ إنها تحتقر كل من كانت إنجلترا مكان ميلاده. وبالمناسبة ـ أنا أشاركها هذا

الشعور. إنني لا أرى أي سحر أي جاذبية في الفتاة الإنجليزية - بعيونها التي تشـبه عيـون الكـلاب وضفائرها الغليظة التي تتدلى على ظهرهـا. ومـا رأيك في مسز نيكلسون.. أعني مس فيتـا سـاكفيل دست - إنها أم وزوجة وسـيدة مجتمـع عظيمـة ومضيفة وأيضا كاتبة تافهة.

لينارد: لم أتحدث معها.

فرجينيا: لا حاجة بك لذلك. ذقنها لا تعجبني.. كما أنني أكره المرأة التي لها شوارب - إنها تشبه فاكهة نضـجت على غصنها أكثر من اللازم وأوشكت على السقوط. إنها تكتب مائة ألف كلمة في أسبوعين. إنها مصـنع كتابة. أحد أجدادها حمل لملكـة اسـكتلنده مـاري ستيوارث أمر الإعدام. وتأثرت الملكة برقته ولباقته في هذه المناسبة فمنحته كتاب صلوات هديـة لـه. وهذا الكتاب يوجد الآن في كنيسة خاصة ملحقة ببيت العائلة في نوبل.

لينرد: إنها على وشك أن تُحرم من الميراث وأمها مجنونة.

فرجيينا: كعادتك دائما. تتمكن من الحصول على المعلومات

الهامة. (**يقدم لها كوبا من اللـبن ولكـن فرجينيـا ترفض**).

فرجينيا: لا.. لا أريد هذا مرة أخرى ـ اللبن والراحة..

(تضرب المائدة).

يجب.. يجب.. يجب.. يجب أن أنام. يجب أن أسـتريح.. لا عشاء خارج المنزل، لا بحث عن المتعة والتسـلية خارج المنزل ـ يجب أن أبقى وحيدة في حجرتـي.

(**يبعد عنها لينارد كوب اللبن**).

فرجينيا: لا تهتم بي هذا الاهتمام المزعج، لا تسجني.

(تشرع في الغناء).

مع حبي.. إمضاء بوت الذي يتحرق شوقًا. لا تـدع بحـارا يلمسك فوق الركبة ولا ببوصة واحدة.

إنني أفكر الآن في اللحظة التي وصلنا فيها إلى بيـت فيتا ورأيتها تقف في ثوبهـا الأسـود القرمـزي تحـت المصباح.

عليك بالهدوء وضبط النفس ـ يجب أن تدربي نفسك على ضبط النفس يا مسز وولف. كـلا سـأكون بـاردة

وعدوانيـــة ولـــن أبـــالي بشـــيء أو أهـــتم بأحـــد يا مسز نيكلسون.

(تبتسم).

السيدة نيكسلون من طبقة الأشـراف. لأنـني ممـن يتفاخرون بالحسب والنسب والأسرة العريقة.

فأنا أفهم عواطفك وأحاسيسك من خلال تاريخ أسرتك العريق الذي يرجع إلى خمسمائة عام. ولهذا تكتسب هذه العواطف والأحاسيس.. هالة رومانسية.. إنني أراك فـي صورة رومانسية كاذبة وأتخيلك تقفـين عاريـة تمامـا وتسحقين بقدميك الأعناب في وعاء كبير فـي مقاطعـة كنت.

(تضحك).

سمراء كالجدي الأسطوري المولع بـالجنس ورائعـة الجمال. كم من الوقت يسـتغرقك حلـب الأبقـار فـي مزرعتك؟ وكيف تبردين اللبن؟ وهل تخصينه وتصـنعين الزبد؟ أريد حقائق يا مسز نيكلسون ـ حقائق.

لماذا أتحدث إليك؟ السبب بسيط ـ إنني أحب أن أنسج أشياء خيالية حولك. صدقيني، إنني في مسيس الحاجة إلى

الوهم والخيال.

آه يا مسز نيكلسون ـ يا لك من شخصية فكاهية.

لماذا لم تدخلي؟ لماذا هربت؟

لماذا رفضت أن تدخلي حديقتي الخاصة فـي منزلـي بتافيستوك سكوير.. إنها متعة للناظرين ـ من المؤكد أنك تشعرين بالغيرة.

(**تتوجه بالحديث إلى لينارد**) لماذا لا تأكـل واحـدة؟ هيا.. كل واحدة من هذه الزهور.

(**تخاطب فيتا**).

يخيل لي ثوبي ـ ردائي هذا ـ يعجبك.

فيتا: إنه بشع.

فرجينيا: لقد اشتريته بناء على نصيحة مسز تود.. محـررة مجلة فوج للموضة.. كلفني أربعة جنيهات. وانظري إلى قفازي. (**فرجينيا لا ترتدي قفازا**).

فيتا: تود؟ إذن أنت تعشقين هذه المرأة؟

فرجينيا: من الأفضل أن أعشقها على أن أمارس الجنس على استحياء مع رئيس تحرير الملحق الأدبـي لجريـدة

التايمز.

فيتا: المهم أن تقطعي الشوط إلى نهايته.

فرجينيا: مسز نيكلسون. هل تتصرفين بغلاظة وفظاظة مثـل البارونات؟

فيتا: ليس بقدر غلاظتك على أية حال.. فأنت تـرين النـاس ولكن لا تشعرين بهم ـ نحن أو هم سواء.. فالكـل مادة خام تصنعين منها أعمالك.

فرجينيا: في هذه الحالة دعينا نقصر حديثنا علـى الأدب ـ إنه أسهل. على سبيل المثال ـ إن ما يفرق الشـعر عن اللاشعر هو أن الشعر يوحي لنا بأشياء دون أن يذكرها صراحة، وأحيانًا يوحي بمعانيه عن طريـق ذكر نقيضها. عندما أقرأ قصـيدة للشـاعر كـراب (**الاسم يعني بالإنجليزية كابوريا**) تخطر لي أشياء لا علاقة له بالقصائد مثـل الزعـانف والمسـتنقعات والحصى الذي يفرش الشاطئ والأنهار ـ بينما قـد يدور موضوع القصيدة حول خطوبة لوسي وإدوارد شو وكيف تحققت.

فيتا: يحسن أن ترتدي جونلات قصيرة حتى تظهري مفـاتن

ساقيك.

فرجينيا: ليسا أجمل في..

فيتا: دائما تعارضين وتتصيدين الأخطاء.

فرجينيا: وأنت.. من أنت؟

فيتا: إنني امرأة.. أجل... ولكنني أيضـا ملايـين الأشـياء الأخرى ـ فأنا واحدة من هؤلاء الـذين يفتخـرون ويزهون بحسبهم ونسبهم. وأنا أيضا شرهة وأعشـق الرفاهية وخبيثة شريرة ولا مبالية ـ أحب أن أنـام في سرير على ملاءات من أجود الأنواع وأنصـت لهديل الحمام.

فرجينيا: وتستمتعين بإيذاء الآخرين.

فيتا: أحب الأواني الفضية والأطعمة الفاخرة والخمـور وأن يكون لدى خدم وحشم ـ ربما كنت إنسانة مدللة.

فرجينيا: إنك مثل سفينة فردت شراعها اندفعت فوق الأمواج العالية.

فيتا: متى أصطحبك إلى هناك؟

فرجينيا: أين؟

فيتا: إلى بيت العائلة ـ إلى لونج بارن.

فرجينيا: وهناك سأجد مائدة عليها إبريق مـن الشـيكولاته وبعض الكعك.

فيتا: ستجلسين تحت الخمائل وتأكلين لحم الصيد وتشـاهدين الألعاب النارية عند حافة البركة المتجمدة.

فرجينيا: (**متعجبة**) اصطحبتني أوتولين ذات ليلة في نزهة.. كان مشهدا لا ينسى بالسيارة هنا في لنـدن. كنيسـة سانت بول وجسر برج لندن وضوء القمر والنهـر. كانت أوتولين ترتدي أروع أثوابها وكل أصباغها ـ كانت طويلة وزاهية كأحد شواهد القبور. كان عمال المعديات النهرية والعمال في مصـانع البيـرة فـي طريق العودة إلى منازلهم وهم مخمورون. كان يوم عطلة رسمية، أحيانًا تبدو لندن زاهية. تموج بالحياة. كنت ذات يوم في طريقي إلى واترلو وكنت أجلـس في الدور العلوي من الأوتـوبيس عنـدما شـاهدت شحاذة عجوز عمياء في كنجزواي تحتضـن كلبـا وتغني ـ كانت تشـيع حولهـا إحساسـا بـالجرأة والتهور.

فيتا: متى نذهب؟

فرجينيا: (**للجمهور**) يخيل إلي أنني علـى وشـك أن ألقـي بنفسي في البحر.

فيتا: (**بلهجة مرحة**) كنا نحن الشبان على ظهر سفينة ماري روز نستخدم كلمة معينة في وصف أي امرأة تلقـي بنفسها في البحر ـ آه.. يا لها من كلمة.

فرجينيا: يحسن ألا نذكر هذه الكلمة.. فهي تنطـوي علـى إهانة بالغة.

فيتا: هل نذهب يوم الثلاثاء؟

فرجينيا: سأدع لينارد يقرر متى نذهب.. (**إلى لينارد**).

لقد تقدمت في السن وأحب أن أتناول اللحم ومعه قدر كبيـر من المستردة.

(**تتقدم فيتا وفرجينيا إلى مقدمة المسرح**).

إنني امرأة مجنونة. أحيانًا أصبح شخصا مختلفًـا تماما عن فرجينيا.

فيتا: الآن؟

فرجينيا: الآن أنا مخمورة بعض الشيء.. فهذه الخمر مثلاً..

تبدو لي كالكهرمان وأحس بسقف الحجـرة يتمايـل وأحس بسعادة رائعة وأشعر أنك من أطيب النسـاء وأكرمهم.

فيتا: القُفي.. (**تلقي إليها بشيء**).

فرجينيا: قلت إنك تكنين لي احتراما وتقديرا.. يـا لـه مـن إحساس بارد سخيف.. ورغم ذلك أنا أتقبـل منـك كخادمة ذليلة.

فرجينيا: (**صوتها فقط في الخلفية**) لقد بحثت عني ووجدتني وعندما قبلتني تحطم كل شيء..

فيتا: يا إلهي.. لم أتوقع أن تتمنعي باسم العفة. إن العفة هي سلاح تستخدمه المرأة لتتحكم في الرجل وتخضـعه لإرادتها ـ إنها حجر الأساس في صرح دهائها.

فرجينيا: هل عرفت ذلك من تجربة زوجك مع النساء؟

فيتا: عرفت ذلك من تجربتي أنا كرجل معهم.

فرجينيا: وهل كنت رجلاً؟

فيتا: أجل.

(تركع أمامها كأحد الفرسان القدماء وتتحدث مثلهم).

جثا الأرشيدوق هاري على ركبتيه وصرح لهـا بحبه المشبوب، أخبرها بأن في حوزته ما يقرب من ٢٠ مليون قطعة ذهبية يحتفظ بها في خزانتـه فـي قلعته. وأن أملاكه الزراعية تفوق أمـلاك أي مـن النبلاء في إنجلترا. وأن ضيعته تعمـر بالحيوانـات والطيور البرية ولذلك فهي تستطيع ممارسة رياضة الصيد، وبإمكانه أن يعدها أنها بعد كل رحلة صـيد ستعود بحصيلة من الطيور البرية المتنوعـة تفـوق حصيلة أي صياد في سهول إنجلترا أو اسكتلنده.

هذا بالرغم من أن الدجاج البري قد أصيب حديثًا بأحد الأمراض.

وأن إناث الأرانب وضعت صغارها قبـل اكتمـال نموهم.

فرجينيا: (**تتحدث بنفس التأثر**) وبينما كان يتكلم تجمعت في عينيه البنفسجيتين قطرات ضخمة من الدموع.

فيتا: (**لا تستطيع مقاومة الضحك**) ولكن الدموع لا تجـدي. هل تريدين بعض الطعام؟

فرجينيا: لا أستطيع.

فيتا: هل لك في بعض من الدهن يا سيدتي؟

فرجينيا: ليس الآن يا سيدتي.

فيتا: هل نلعب لعبة الذبابة؟

فرجينيا: أي لعبة هذه؟

فيتا: لعبة تقوم على الرهان، قد تخسرين مبالغ طائلة. ولكن حذار. إذا خسرت سيكون لزاما عليك أن تتزوجيني.

فرجينيا: أريني كيف ألعبها.

فيتا: أراهنك.. أراهنك على أن ذبابة سوف تحط على هـذه القطعة من السكر. والآن اختاري أنت قطعـة مـن السكر وراهني عليها. (**تتردد فرجينيا في الاختيار ثم تختار واحدة، تتلفتان حولهما في انتظـار الـذباب. فيتا تطرقع أصابعها بنفاد صبر**).

فيتا: هيا أيها الذباب ـ تعال.. لا تكن كسولاً.

فرجينيا: أعتقد أن الذباب نائم.. إننا في فصل الشتاء.

فيتا: إذن سنوقظه.

(فيتا تطلق صفيرا بينما تندفع من ركن إلى آخـر محاولـة إيقاظ الذباب).

فرجينيا: الحياة والحب، لا لا.. هذا شعر غير موزون.

فيتا: (**في صوت تمثيلي**) اللعنة يا سـيدتي.. إنـك الجمـال مجسدا.

فرجينيا: ارتجفت ـ أحسست بالحرارة ثم بالبرودة.

فيتا: (**في نفس الصوت التمثيلي**) ابتسمت ابتسامة تلقائية كما تبتسم المرأة التي لا تدرك أنها جميلة وفجأة يواجهها جمالها في المرآة. بعد ذلك أنصتت ولم تسمع سوى حفيف الأوراق وتغريد الطيور ثم تنهدت.. آه الحياة والحب شعر غير موزون.

فرجينيا: هل ترغبين أحيانًا في أن تضربي رجلاً فوق رأسه وتقولي له إنه يكذب كذبا مفضوحا..

فيتا: اللعنة عليهم جميعا..

فرجينيا: وفجأة استدارت بسرعة غير عادية ونزعت عقدها الزمردي من رقتها.

فيتا: وخلعت ثوبها الحريري.

فرجينيا: ووقفت منتصبة في سروالها الـداخلي الحريـري الأسود.

(تفعل ما تصفه).

ثم دق الجرس.

(**صوت جرس أو ناقوس يتردد في أرجاء المنزل ولا أحـد يجيب**).

فيتا: إننا وحدنا.

فرجينيا: هيا بنا.

نهاية المشهد الثاني

المشهد الثالث

لينارد: فرجينيا.

فيتا: قالت إن كتاباتي قد تثير اهتمامك ولو أنني لا أعتقد أنها تعجبها. تقول إن بها عصبا ما لا ينبض بالحياة. إنها شيطانة.

لينارد: أجل. أحيانًا تصبح شيطانة. (**وقفـة**) وتصبح أشـياء أخرى. تقول إن الخطاطيف تبطن حناياها الرقيقة.

فيتا: كيف عرضت عليها الزواج.

لينارد: بالطريقة المعتادة.

فيتا: وهل وافقت على الزواج منك بالطريقـة المعتـادة؟ أم ترددت؟

لينارد: رفضت في البداية. ولكن في يوم ٢٩ مايو بينما كنت أتناول الغداء معها في حجرتها أعلنت فجـأة أنهـا توافق على الزواج مني. ركبنا القطار إلى ميدنهيـد وهناك أجرنا قاربا وجدفت حتى بلغنا مالو. بعد ذلك عدنا وتناولنا العشاء في أحد المطاعم المطلة علـى النهر.. استغرقت النزهة عشر سـاعات قضـيناها

وكأننا في حلم ينبض بالحياة والجمال.

فيتا: أستطيع أن أتخيل ذلك.

لينارد: اللحظات السعيدة ليست إلا لحظات تنقضي سريعا في لمح البصر.. وفجأة يجد المرء نفسه وقد عـاد إلـى القطيع.

فيتا: أظن أنها استمتعت بالفترة التي قضتها في لونج بارن.

لينارد: (**ببرود**) إنني واثق من ذلك. تقول إنك أغدقت عليها مشاعر الأمومة التي تبحث عنها وتفتقدها فـي كـل علاقاتها.

فيتا: (**بحدة**) لماذا تخاف عليها إذن؟

لينارد: يجب أن تحيا حياة هادئة تكاد تخلو تمامـا مـن أي نشاط ذهني أو اجتماعي.

فيتا: ولكنها ترى أن أهم شيء هو أن نقدم على الحياة بروح المغامرة.

لينارد: أنت لا تعرفينها.. إنها أحيانًا تنفصـل عـن الأرض وتتعقب الأصوات التي تطاردها وتمضـي متعثـرة خلفها.

فيتا: وماذا تقول لها هذه الأصوات؟

لينارد: كل شيء. إنها تمر بجميع المراحل حتى تصل إلـى حيث لا يمكن لأحد الوصول إليها.

فيتا: هل تطلب مني أن أبتعد عنها؟

لينارد: إنني فقط أحذرك.

فيتا: ولكنها رقيقة رائعة. هشة وحساسة. ومن أجـل الحـق والتاريخ أعترف أنني أحبها فعلا.

لينارد: حب على شاكلة غراميات السلالم الخلفية؟

ليتا: بل حب روحي وذهني.. إنها تثير في النـاس مشـاعر حنونة رقيقة.

لينارد: إنها تعيش في حالة من الرعب خوفًا من أن تجن مرة أخرى.

فيتا: قصت علي جانبا من حياتكما الزوجية.. كانت صريحة إلى أبعد الحدود.

لينارد: تتخيلين أنك قد خمنت سر متاعبنا؟ ولكنك مخطئـة.. فلكل منا سره العميق الكبير الذي لا يعرفه أحد.

فيتا: تماما كما هو الحال في علاقتي بزوجي هارولد. كلانـا

يظن أن الآخر هو القطب الشمالي. أفهم هذا، دعنا إذن من المراوغة. (**نرى فرجينيا تقترب من الباب**).

لينارد: الأمر أخطر من مجرد اللعب بالنار.

فيتا: آه، ولكن كم يصبح الأمر رائعا عندما ترتخي العضلات بعد الإشباع.

فرجينيا: ذهبت إلى طبيب الأسنان - قلت له ما هذا الذي تفعله بأسناني؟ فقال يا مسز وولف إن جلدك أرق جلد في لندن. (**تتحسس جلدها**) ربما كان على حق. عندما يدهن ليونارد جلدي بمرهم الزنك - من المؤكد أنه مرهم سام وأنني سأموت - (**تستدير إلى منضدة عليها أشياء كثيرة مبعثرة**) هل نتناول الشاي الآن؟

ليونارد: إنني ذاهب إلى اجتماع في هامبستيد الآن؟

فرجينيا: (**ساخرة**) أوه.. وما هو موضوع اليوم الهام؟ هل هو التشريع البرلماني الخاص بالصباغة أم الغدة الدرقية أم حرية سرير الزوجية. (**إلى فيتا**) إن سكرتيرته تشبه المنضدة المتعددة الأدراج، وأما والدته - السيدة وولف الكبيرة - فكان من عادتها أن تضع إلى جوار سريرها سلة الجوارب المثقوبة

وذلك حتى يمكنها أن ترتقها فـور اسـتيقاظها مـن النوم. هذا هو المصدر الذي استقى منه لينارد دأبـه على العمل.

ليناردت: (**إلى فيتا**) تبدو فرجينيا في أحسـن حالاتهـا وهـي غاضبة.

(يخرج ليناردـ تتبادل فيتا وفرجينيا نظرات الرغبة).

فرجينيا: (**تتساءل على استحياء**) حسن.

فيتا: حسن.

فرجينيا: لقد نسيت عندك قميص نوم عليه بودرة قبيحة.

فيتا: أرسلهم بافلاز إلى عنوانك لقد انبهر بك. كان قـد رأى صورتك في مجلة الإذاعة.

فرجينيا: ألم يكتشف أمرك قط؟

فيتا: لا.

فرجينيا: أرسل زوجك لي خطابا.

فيتا: أجل. أخبرني أنه سيكتب لك.

فرجينيا: (**تقرأ**) "كم تسعدني صداقتك بفيتا. إننـي واثـق أن تأثيرك عليها سيكون في صالحها فيشـحذ أفكارهـا

ويعطيها قدرا من التعقل والاتزان ـ (**تطلق ضحكة مجلجلة**). تأكدي أن مشاعري لن تتغير أبدا. وهـذه المشاعر تنحصر في رغبتي المخلصة في أن تحيـا فيتا حياة صادقة وثرية. إنني لا أغيـر مـن هـذه الصداقة فأنا أعتبر الغيرة مرضا وأكرهه كما أكـره كل الأمراض".

فيتا: بلا شك. نحن أسعد زوجتين في لندن.

فرجينيا: ولكن الروح بطبيعتها وحيدة.. أليس كذلك؟

فيتا: تبدين رائعة الجمال.

فرجينيا: بل أشعر وكأنني ذبابة عجوز مهدمة مرعبة صدئة زرية المظهر.

فيتا: (**بخجل**) أتودين أن أثني على مظهرك؟

فرجينيا: هل أتيت لتحطمي معنوياتي.

فيتا: بالتأكيد يا حبيبتي ـ سيسكن شبحي دائما هذا التراس.

فرجينيا: هذه العلاقة تجعلني أحس وكأنني أعيش في صفيحة زبالة رطبة.

فيتا: إحساس سوقي ولكنه يقوي الإحساس بالعفة.

فرجينيا: يا لك من امرأة سيئة شريرة يا فيتا. سأخصص لك يوم الثلاثاء نفعل فيه أي شيء يخطر لك.

فيتا: وماذا فعلت منذ آخر مرة قابلتك يا مسز وولف؟

فرجينيا: كل شيء تتخيلينه. فكرت كثيرا.. في ضوء القمر.. في ضيعتك وأصوات الجديان.. شعرت هذا الصباح وكأنني قطعة من الخشب ـ فكرت في ذلك أيضا.

ليتا: لقد جئت لأودعك.

فرجينيا: شعرت بكل أحاسيس الخشب. أولاً ذلك الإحسـاس بالجفاف ثم الإحساس بالطحن أثنـاء العاصـفة ثـم العصير وهو يتسرب ببطء من عروقي ـ إلى اللقاء ـ إلى أين ترحلين؟

فيتا: سألحق بهارولد في فارس.

فرجينيا: إنني لا أضيع وقتي في صـداقة أعضـاء السـلك الدبلوماسي.. كلهم مزيفون وأدعياء.

فيتا: وأنا أيضا لا أضيع وقتي معهم. ليس هدفي في الرحيل أن أقوم بمهام دبلوماسية بل أن ألحق بزوجي.

فرجينيا: إذن تملكتك شهوة الترحال مرة أخرى؟

فيتا: إنني ذاهبة لأرى زوجي.

فرجينيا: ومتى ترحلين؟

فيتا: أرجو ألا يؤلمك رحيلي كثيرا.

فرجينيا: بالطبع لا.. إننا نكسب بقدر ما نخسر عند الرحيل.

(تنصرف فيتا).

ربما قرأت روايات دوريس داجليش لأكتشـف كيـف تبدو الحياة لامرأة أعصابها مهزوزة وضعيفة وتعيش في ضاحية واندسورث مع أمها.

وربما فكرت في كاثرين مانفسـيلد لقـد قالـت لـي "لا تنسيني تمامـا" ـ ـ كانـت أنفاسـها بـاردة مثـل الثلج ـ كانت تقبلني أحيانًا وتنظر إلي نظرات تعبر عـن الإخلاص الدائم. نظرت كل منا إلى الأخرى دون مواربة وقلنا إن صداقتنا كانت شيئًا حقيقيا ولذاك فسوف تسـتمر مهما حدث.

أجل، الآنسة كاثرين مانسفيلد.. برائحتها البشعة.

لقد رحلت يا فيتا وتركتني مهدمة.

أراك الآن وقد وصلت إلى طهران وتدخلين بواباتها ـ

وها هو هارولد قد جاء يقابلك عند الوصـول.. هـا أن تجلسين مزهوة كالطاووس ـ يا إلهي كم أتمنى لو كنـت معك الآن وحولنا المهر الصغيرة بلونها الأصفر الفـاتح والمهرة الصغيرة ـ آه لا أرى الآن تلك النافذة المضـيئة في دكان بائع السمك فـي سـفن أوكـس ـ أراك الآن تتوقفين لشراء بعض التين والخمـر ـ تتـواثبين فرحـا وكأنك سرب من الطيور. أجل أنت حيوان رشيق خفيـف الحركة.. لا شك في هذا.. ولكن ليس لك قلب.

إن زوجك رجل محظوظ وأنا أحسده.

لقد فقدت الأمل في أن تفكري في أحيانًا. على فكرة.. لينارد يعتقد أن قلبك يجمع بين صفات الـذكر والأنثـى. نسيت أن أخبرك بأننا زرنا فيوليت بونام كارتر البارحـة ـ على ما أظن ـ وهناك قال لي فيليـب ريـتش إنني أصبحت أشهر لعوب في لندن ـ لا.. بل قـال كلايـف مصححا ـ بل أشهر امرأة ملتهبة في لندن.

(في صوت حاد).

ملتهبة.

وفجأة سقط مشد جوربي وسحب معه قميصي الداخلي

القديم ـ لماذا لم تخبريني بضـرورة تثبيـت الجـورب بالمشد بالصورة الصحيحة.. دائما تحدث لي مآس مثـل مأساة مشد الجوارب هذه لتحد من انطلاقي على أجنحـة المجد ـ وآه.. يا إلهي.. لقد نسيت ـ يجب أن أشـتري قبعة. كيف حالك؟ هل أصبت بالملاريا؟ أقضـي معظـم الوقت وحدي.. وعقلي يجيش ويموج بالأفكار. أراك دائما في خيالي ترتدين عقدك الزمردي حتى وأنا في سـريري في الليل.. وأنا أجوب الشوارع.. أراك في كل مكـان.. حتى في ضوء الصباح أحسن وكأنك ما زلت هنا معـي تتحدثين عن الحب والشذوذ.

يدعي مروجان فوستر أنه حسب الحسبة وجـد أننـا نقضي ثلاث ساعات نأكل وست ساعات في النوم وأربع ساعات في العمل وساعتين في الحـب ـ أمـا ليتـون فيرغب في أن نقضي ١٠ ساعات في الحب. وأنـا أرى أن نقضي اليوم كله في الحب ـ قلت لهم إن الحب يجعلنا نرى الحياة من خلال غلالة وردية بنفسجية.

قالوا ولكنك لم تجربي الحب قط.

شربت كثيرا ليلة الأمس بسببك. ووجدت أن بوبو ماير

تمتلك موهبة عظيمة في إغراء واستدراج النساء ـ نعم يا عزيزتي..

لقد نجحت في استدراجي.

زرنا منزل الشاعر كيتس وشاهدت الحجرة التي كـان كيتس يكتب فيها قصائده، ورأيت خاتم الخطوبـة الـذي أهداه لحبيبته فاني براون. سنذهب هنـاك مـرة أخـرى بالترام ولكن ذلك سيكون في شهر مايو.. عندما تضـاء الأنوار في الترام يكتسي كل شيء لونًا ذهبيا ورديا.. يـا لوجهك المضيء اللعين! ليتني طلبت منك أن ترسلي لـي برقية.

فيتا: (**صوت فقط**) تعالي إلى اليونان ـ الحقي بنـا هنـاك.

سأترك لخيالك الفرصة ليصور لك شـعوري حـين أراك تهبطين من السفينة إلى الشاطئ.

فرجينيا: شعورك وأنا أهبط من السفينة إلى الشاطئ. ومـاذا عن شعوري أنا؟ (**في صوت أجش**).

أي مصيبة ستلحق بي لو أنني تركت نفسي أهوي فوق حافة تدعى فيتا؟ لا لن أذهب إلـى اليونـان ـ سأبقى هنا وأكتب عن هذه العلاقة ـ سـيكون هـذا

انتصاري عليها - اللعنة حلت على البشر جميعا - سـأكتب روايـة أورلانـدو - سـيرة ذاتيـة - أما هي.. فقد وضعت مسدسين في حزامهـا ولفـت حولها عقودا كثيرة من الزمرد وأفخر لآلئ الشـرق التي كانت ضمن ممتلكات السفير الخاصة.

لينارد: بعد ذلك انحنت على النافذة، أطلقت صفيرا خافتًا ثـم هبطت السلم المهشم.. الملوث ببقع الدم.

فرجينيا: هناك في ظل شجرة التين العملاقة جاس غجـري عجوز على حماره ينتظر. وكان يقود حمارا آخـر من لجامه. طوحت أورلاندو ساقها واعتلت الحمـار - وهكذا غادرت أورلاندو القسطنطينية - ممتطيـة حمارا.. بصحبتها كلب هزيل.. وبرفقتهـا غجـري عجوز.

لينارد: ساروا أيامـا وليـالي وقـابلتهم مغـامرات عديـدة ومتنوعة.

فرجينيـا: بعض المغامرات كان سببها البشر والبعض الآخر سببه الطبيعة.

ليناردز فالنساء لسن بالطبيعة مطيعات عفيفـات معطـرات

بديعات الثياب.. بل يتطلب منهن الحصول على هذه الصفات اتباع نظام قاس وجاد.

فرجينيا: أمي رواية سيئة لا معنى لها ضعيفة البناء؟

لينارد: إنها تختلف عن أعمالك الأخـرى - فهـي تتميـز بالسرعة والحيوية.

فرجينيا: لقد بدأتها كنكتة.

لينارد: ستحير الجميع.

فرجينيا: (**برقة**) عندما تبتعد المرأة عن زوجها تقول وتكتب أشياء لا معنى لها.

لينارد: أعتقد أنها ستحقق مبيعات كبيرة.

فرجينيا: وسنشتري بيتًا في الريـف ونـزرع شـجرتين - يعجبني في الريف أنه يعطيك فسحة للقراءة. كم هو رائع أن تعود من نزهة على الأقدام وتتناول الشـاي بجوار المدفأة وتقرأ وتقرأ.. تقرأ مسـرحية عطيـل مثلاً.. أو.. أي شيء آخر.

لينارد: وحتى لو جاء شكسبير نفسه أو مونتيجيـو لزيارتنـا فسوف نتظاهر بأننا بالخارج.

(تدخل فيتا).

فرجينيا: لو لم أفضل العيش معك عن أي إنسان آخـر لمـا تزوجتك.

فيتا: حبيبتي ـ حالتي لا تسمح لي بالكتابة اك. كل مـا أود قوله هو إنني مبهورة، مفتونة، مسحورة ـ أشـعر وكأنني واحدة من تلك المـوديلات الشـمعية فـي محلات الأزياء وأنك قـد ألبسـتني ثوبـا مطـرزا بالجواهر. أحس وكأنني أجلس وحدي فـي الظـلام ومعي كنز يحوي ياقوتًا وذهبـا وأقمشـة مشـغولة بالقصب..

(لينارد يلتقط بكفه يوميات صغيرة ويقرؤها ويضحك).

ليناردا: أتريدين أن تسمعي ما يقوله عنا ساعي المكتبة؟

(يقرأ) أورلاندو تحقق مبيعات هائلة. يخشى السيد وولف أن تنفد النسخ ومهمتي أن أعد النسـخ وأضـعها فـي الطرود. مسز وولف ابتاعت طقما شـتويا طـويلاً رائعا على الطراز الروسي عبارة عن معطف طويل أسود وقبعة روسية.

فيتا: كما أنك ابتكرت نوعا جديدا من النرجسية. أعترف اك

أنني وقعت في غرام أورلاندو ـ وهذا شـيء لـم أتوقعه ـ عزيزتي فرجينيا لا يمكنني إلا أن أشكرك.

فرجينيا: عزيزتي فيتـا ـ أرجـو ألا تكـوني مثـل بقيـة أصدقائي.. مجرد حلم.

النقود في جيبي تعطيني إحساسا رائعا بالرفاهية. قريبا جـدا سيضاهي أجري أجر العاملين بالحكومة.

لينارد: ما رأيك في أن أحماك من هنا وأنقلـك إلـى أحـد أحراش إنجلترا البرية؟

فرجينيا: لأرى خسوف الشمس.

لينارد: حين يظلم العالم ويظلم.

(المسرح مظلم تماما ولا أثر للشمس).

فرجينيا: وكأنه ميلاد العالم.

لينارد: الأرض قد ماتت.

فرجينيا: ولكن، كيف يعود الضوء للعالم؟

لينارد: يعود بمعجزة ثم بصورة طبيعية ويحمل معه دائمـا إحساسا عميقًا بالارتياح.

نهاية المشهد الثالث

المشهد الرابع

(حديقة في الريف ـ يسمع تغريد الطيور).

فرجينيا: أهذا صوت العندليب؟

لينارد: إنه أحد طيور الصباح.

فرجينيا: إنه يغرد فيها بالديدان السمينة. والقواقـع وحبـات الحصى.. سهرت لوقت متأخر جدا ليلة أمس..

لينارد: لقد أعجبت مسرحيتك كل من شاهدها.

فرجينيا: المياه العذبة ـ مسرحية فارس ـ ليتني تلقيت تحية الجماهير من فوق ظهر حمار.

لينارد: الأطفال بالذات استمتعوا بها جدا ـ خاصـة قبائـل الجن والقرد الذي ينبح طول الوقت.

فرجينيا: من تلك العذراء العجوز التي أحضـرها كلايـف؟ كانت عيونها جاحظة لا تتحرك مثل المحارة.

لينارد: الآنسة بوكانان. إنها تسكن في تشلتنهام.

فرجينيا: ليس هناك سبب واحد يبرر وجود أمثالها سواء في هذا العالم أو في العالم الآخر.

لينارد: لقد عاد ماينارد من أمريكا. يقول إن المنـاخ هنـاك لا يحتمل فهو يجمع كل مساوئ جميع أنواع المنـاخ بحيث يستحيل على المرء هناك أن ينجز أي عمـل عظيم.

فرجينيا: بسبب المناخ؟ قال يوما إنني أعيش وأكتب كما لـو كنت تحت تأثير الأفيون.

لينارد: آه – ماينارد.. هذا المتحدي العتيد للإرادة الإلهيـة. كان دائما في غاية البخل – هـو وزوجتـه ليـديا. أتذكرين عندما دعوا أحد عشر شخصا للعشاء وقدما لهم دجاجتين فقط.

فرجينيا: نسيت وشاحي عند نيسا – إنني دائما أنسى شـيئًا ما – تقول إن المرأة دائما تبكي.. ولكني لا أعـرف لماذا أبكي أنا دائما عندما أكون مع أختـي نيسـا أو لماذا أنتقد أطفالها دائما.. ربما لأنهم باعدوا بيننـا.. ومع ذلك فأنا أحبهم.. إنني كما ترى لا أثبت علـى حال ولا يمكن الاعتماد علي في شيء.

لينارد: هل أخبرتك أنني قابلت منذ عدة أيام برنارد شو فـي لونج إيكر وأنه قال إنه استوحى مسـرحيته منـزل

القلوب المحطمة من أول لقاء له بك؟

فرجينيا: إنني لا أروق له ولا يعجبه ما أكتبـه.. يـرى أن موضوعاتي تافهة. لا تنتمي إلى الواقع العملـي ولا تدعو لموقف محدد. والروائي ويندهام لويس يشاركه نفس الشعور.

لينارد: لا تأخذي كلامهم محل الجد.. إنها السموم المعتـادة التي ينفثها الكتاب الناشئون.

فرجينيا: (**بحدة**) "إنني لا أنظر إلى الحياة مباشرة بل أختلس النظر إليها من ثقب الباب.. كما أني فـي أعمـاقي أؤمن بالاحتشام في الحديث والسـلوك" أجـد متعـة غريبة حقيرة عندما يشتمني أحد وأحس أنني شهيدة.. أقف وحدي وظهري للحائط.

لينارد: لن يستطيع أحد أن يؤذيك أو يقلل من مكانتك.. هـل سمعت عن عصفور استطاع أن يؤذي خرتيتا؟

فرجينيا: كانت تكتب عن عالم صغير محدود تنتمي إليه. عن طبقة صغيرة تحتضر.. طبقة الميـزات الموروثـة والدخل الخاص والحياة المرفهة المنعزلة عن الواقع.

لينارد: ربما كان مـن الأفضـل أن أدعـو هـؤلاء النقـاد

الجامعيين المتجمدين قلبا وقالبا الذي يتحدثون عـن الدخل الخاص والحياة المرفهة ليـروا بـأعينهم أي حمام نستخدمه.

فرجينيا: ربما ينقصنا الحب في عصرنا هذا فـنحن نتلـوى تحت وطأة العذاب.

ليناrد: انظري. إن شجرة الكمثرى محملة بالثمار.

فرجينيا: ليتني أنجبت أطفالاً يا لينارد. إنني غاضـبة مـن نفسي لأنني جبنت عن ذلـك.. لـم تنجـب ليـدي كارينجتون من دنكان ولا أليكس مـن جـيمس ولا فرانس.. أليس هذا محزنًا وغريبا! أن تذبل زهـور الأنوثة والشباب ولم تتفتح براعمها بعد.

لينارد: هناك أطفال إخوتك.. ولديك عدد هائل من الأصدقاء والمعارف. ألم تقولي يوما إنه لو زاد عدد أصدقائك واحدا لانفجرت؟

فرجينيا: لقد خشيت علي من الإنجاب أليس كذلك؟

لا يهم.. إنني أخاف عاطفة الأمومة فهي عاطفة طاغيـة لا حدود لها وتجعل المرأة لا تتورع عن أي شـيء.. إنها عاطفة مدمرة كما أنها تسجن المرأة في إطـار

محدود.

لينارد: إن عالمنا هذا لم يعد يصلح للأطفال.. لقـد قُضـي الأمر ـ إن السؤال المصيري.. السؤال الملـح الآن هو الحرب أو السلام الجمال أو القبح، الحضـارة أو البربرية.

فرجينيا: الحب أو الشهوة.

لينارد: قدرنا أن نخدع أنفسنا دائما..

فرجينيا: قل لي يا لينارد. ألم تشته أبدا امرأة غيري؟

لينارد: لا.. فرجينيا فقط.

فرجينيا: بلونها الباهت كجردل المطبخ وشعرها الذي يتهدل دائما في طبق الحساء.

لينارد: وكتاباتها التي تدور في إطار الأبدية.

فرجينيا: كلام فارغ ـ إنني ألتقط فتات الحياة وأنسج عليـه تنويعات وأحاول استكشاف أبعاده.. وكثيرا ما أفشل.

لينارد: إن أسلوبك لين وصريح ويعمد دائما إلـى الكتشـاف الحقيقة..

فرجينيا: وأنت؟

لينارد: إنني ألتزم بالواقع أكثر من اللازم.

فرجينيا: بكيت وأنا أستمع إلى خطابك في مـؤتمر حـرب العمال. كان هجوم بيفن على لاندبري دراميا وقاسيا إلى أبعد الحدود.

لينارد: أعتقد أن خطابي كان مصطنعا بعض الشيء ـ كنت أمثل دور الرجل المهزوم الذي يعـرض ضـميره للبيع.

فرجينيا: أهذا رأيك؟

لينارد: كل منا يجب أن يحمل صليبه الخاص.

فرجينيا: لقد استهلكت الكثير من وقتك وطاقتك.

(صوت سيارة بالخارج ـ فرجينيا تتراجع في دهشة).

من هذا؟ ربما نيسا أنت لتعيد لي وشاحي. نيسـا.. الـ درفيل العجوز التي لا تجعلني أقترب منها. أجل إنها تبعدني عنها لأنها تكره أي نوع من المشاعر.

(**لينارد يعود**).

لينارد: إنه أحد الصحفيين.

فرجينيا: من؟

لينارد: يقول إنه اتصل بك وإنك حددت له ميعادا..

فرجينيا: عندما اتصل ظننت أنه الطبيب البيطري وحددت له ميعادا ليفحص البقرة.. لا.. لن أقابل هذا الصحفي.. إنني أرفض أن أمرغ وجهي في جردل الفضـلات هذا..

(تنزوي في خوف في أحد الأركان بينما يخرج ليـنارد).

سيدخل الصحفي ويضع ساقًا فوق ساق ويخـرج نوتته ويقول لنفسه "لقد هاجموها لدفاعها عن حقوق المرأة ولمحوا بشذوذها الجنسي.. من الأفضـل أن أجاملها حتى أحصل على الحـديث. (**تقلـد صـوت الصحفي**) يقول النقاد يا مسز وولـف إنـك أعـدت تشكيل اللغة الإنجليزية... ما رأيك في هذا؟ وكيـف تتغلبين على متاعب الشهرة؟ لا أعرف.. إنني أعاني قسوة الشيخوخة.. لست إلا امـرأة عجـوزا قبيحـة مزعجة عاجزة.. تعبت.. إنني ماهرة في صنع الخبز وإعداد قوائم الطعام.. (**بلهجة اعتـراف**).. وشـيئًا فشيئًا سيحصل على كل المعلومات التـي يريـدها.. أستيقظ في الثامنة.. أغتسل وأتناول الإفطار وأخرج

إلى الحديقة وأمضي هناك ثلاث سـاعات. أتنـاول الغداء في الواحدة.. أرزا بالخلطة أو بسمك ثم بعض الكستردة. بعد الغداء أدخن ثم أرتدي حذائي الثقيـل وأصحب كلبي بينكا في نزهة على التل أو إلى كوخ الراعي أو إلى المزرعة القريبة. ثم أسلك الطريـق المجاور للنهر وأعود للبيت. أتنـاول الشـاي فـي الرابعة ثم أكتب بعض الخطابات. (**في صوت قوي**) كم هو غريب أن تتقاص حياتك إلى مجـرد محـيط قرية! ثم أتناول قدحا صغيرا من البيرة. لو كنت في لندن الآن لجبت الشوارع حتى الصباح ـ هناك كل شيء مزدحم ومثير وممتع ـ إنك تريد أن تستخلص حقيقتي من مظهري وعاداتي ولا تدرك أن المظهـر والعادات ما هي إلا أقنعة زائفة تخفي وراءها الظلام ـ والظلام ينتشر وينتشر.

(**يعود لينارد وتخرج فرجينيا من مخبئها**).

لينارد: ذهب.. كانت زوجته بصحبته.

فرجينيا: أرجو أن يكونا قد استمتعا برؤية الأشـجار علـى الطريق. (**صوت لشامبرلين يعلن نشـوب الحـرب**

العالمية).

لينارد: إذن فهي الحرب.

فرجينيا: ماذا نفعل الآن؟

لينارد: سيدمرون بلادنا الجميلة.

فرجينيا: منازلنا الريفية.. وقلاعنا وسهولنا.. هل سـيعبرون القنال الإنجليزي؟

لينارد: من يدري؟ لقد أعـد هتلـر مليونـًا مـن الرجـال المسلحين.. ولا أعتقد أنه فعل ذلك لمجـرد القيـام ببعض المناورات العسكرية.

فرجينيا: ماذا نفعل الآن؟

لينارد: ننتظر ونستمر في النقاش حـول ديكـور الحجـرة الجديدة أو المقعد الجديد أو الكتاب الجديد أو خـزان المياه الجديد.

فرجينيا: كم ملات القصص والجمل والكلمات التي تقف على أرض الواقع الصلبة ثم تموت مثل النجوم.

نهاية المشهد الرابع

المشهد الخامس

الريف. مضت ستة أشهر.

(فرجينيا في حجرتها - المساء يقترب - فرجينيا تكتب وهي في حالة من التوتر الشديد).

فرجينيا: الآن فقط بدأت أنسى.. وبدأت أشك في حقيقة وجود الأشياء.. في حقيقة الزمان والمكان.. أحيانًا أنقر بأصابعي على حواف الأشياء الصلبة وأتساءل أهي صلبة فعلاً. عشت أدوارا كثيرة وكتبت جملاً كثيرة ومتنوعة.. وضاعت كلها في زحمة الحياة اليومية.. في روتين الأكل والشرب. والآن أسأل نفسي من أنا؟

عندما كنت أعبر الجدول الذي يجري في نهاية الحديقة ويفصل بين أشجارنا وأشجار الغابة السوداء.

سأعبر الجدول ولن أصاب بالبرد مرة أخرى.. ولن أرى مرة أخرى النجوم أو الكريمة أو قطارات أوروبا أو مستر برادشو.. ولن أسافر ليلاً مرة أخرى.. ولن أصاب بالبرد أو الروماتيزم..

لن أصاب بالبرد مرة أخرى..

يجب أن أعد العشاء.. نسيت شراء السمك.. ماذا أعد إذن؟

آه.. كرشة بالبصل.

الحياة رائعة هنا. أنا وليonard وحـدنا (**تلـتقط شـالاً صغيرا**).

انتهت متاعب الحياة الاجتماعية واللهث وراء الأناقـة والموضة.. ذهبت إلى غير رجعة حفلات العشـاء فـي منزل الليدي ديلك وحفلات إعطاء الجوائز.. ذهبت أمس إلى لندن (**في صوت حزين بينما تضـع الشـال حـول كتفيها**) كل الميادين القديمة تهـدمت وتحـول الطـوب الأحمر إلى تراب أبيض.. (**في صوت أكثـر شـجاعة**) صحت في خيولي "هيا.. إلى البيت يـا جـون". سـوف تحميني جيوشي.

فرجينيا: أي جيوش يا فرجينيا؟ أي جيوش؟

هل عدت يا ليونارد؟ أهذا أنت؟ لا.. لا أتوقع عودتـك الآن ربما كانت نيسا.. أهذه أنت يا نيسا؟ بدت المراعـي اليوم كالأسود.. هادئة صفراء لم يلوثها أحد.. وودت لـو رسمتها في لوحة.

لا تدفعيني بعيدا عنك يا نيسا.. لا تردي ثانية "فرجينيا تعيش في عالم خاص بها" إن فرجينيا تريـدك الآن هنـا معها. تريدك أنت ولينارد.. أحب الناس لدي..

افترقنا كما يفترق النهار الرائع عن الليل أو الماء عن الأرض ـ (**في صوت عالـي**) إنني أحتاجك يا نيسـا ـ قولي إنك ستحضرين قريبا.. أريد أن أغوص في حضنك وأحس مرحك المشرق ودفئك.

سيكون العشاء من السمك ـ تأخرت يا لينارد. هنـاك نقص في كل شيء ـ القطارات والسـيارات والبنـزين والزبد. تفرق الأصدقاء.. بعضهم يجلس حـول نيـران مدافئ الشتاء وبعضهم مـا زال فـي منـاطق القصـف والغارات الجوية.. (**للجمهور**) نعم، لندن أصبحت كلهـا طوابير ـ طوابير من الأطفال والنساء ينتظرون دورهـم في الدخول إلى المخابئ ويحملون حقـائبهم وأغطيـتهم. وفي كل مكان ترى النوافذ المغطاة والأسقف المحطمـة وبقايا الأبنية المهدمة. (**تنتبه فجأة وتصيح فـي صـوت حاد**) لينارد، ما الذي أخرك حتـى الآن؟ ربمـا.. لا لـم تصب في إحدى الغارات.. إن الغـارات لا تبـدأ حتـى

المساء وحتى الآن ما زال الحظ في جانبنا.

اتركني. لم أفعل أبدا ما يجعلني أهلاً بك.. بل العكس. لا. (**تشير إلى النافذة وما بعدها**) لم يتغير طالعنا ـ هـا هي شجرة الكمثرى تحمل الثمار وها أنا كأدميرال يرتدي بذلته الحمراء ويستمتع بأكل تفاحة.

لقد حشوت رأسي بشـعراء العصـر الإليزابيثـي ـ "فلتتعلق روحي هناك كثمرة حتى تموت الشجرة". تـرى من سيقتل في غارات الليلة؟ لن نكون نحن من الضحايا. في الفجر يبيض وجه السماء، الفجر تجديد للحياة.. يـوم آخر، الأيام تتكرر.. ها هو يوم الجمعة يعود والتـواريخ تتكرر.. ها هو ٢٠ مارس يعود. لست مسئولة عن العالم. لست مسئولة.

(**يدخل لينارد**).

آه.. أخيرا جئت.. في الوقت المناسب تماما.. فالعشاء جاهز.. إنها لحظة انتصار عظيمة في حياة ربة المنزل. إنني أحس بقليل من الزهد.

لينارد: مع من كنت تتحدثين الآن؟

فرجينيا: أنت تعرفني ـ لساني لا يكف أبدا عن الحديث.

لينارد: ولكن ليس بهذه السرعة.

فرجينيا: (**بسرعة**) تنبض في ذهني فكـرة كتـاب جديـد.. وعقلي مبهور ملتهب بها.. إنها هنا (**تربـت علـى رأسها**) مختزنة.

لن أبقي شيئًا في قاع البحر..

هذه كلماتي أنا

لينارد: أصابت قنبلة منزلنا في الغارة.. تهدم الميدان كله في غارة أمس.

فرجينيا: غريبة أنني لم أعرف.. لم أخمن..

لينارد: ما زالت النيران مشتعلة فيه ـ أنقـذت مـس بـي ما يمكن إنقاذه. لم تشأ أن تخبرك وقتهـا حتـى لا تتألمي.

فرجينيا: والمطبعة؟

لينارد: تحطمت ولكنها لم تدمر تماما.. سننتقل إلـى ليـتش ورث غدا..

فرجينيا: هل تهدم المنزل تماما؟

لينـارد: نعم.. أصبح كومة كبيرة من الطـوب والزجـاج..

(**يعطيها مذكراتها**) أحضرت مذكراتك.

فرجينيا: (**بسعادة**) إنني في الواقع أحس بالفرحة لأننا فقـدنا كل شيء. إحساس رائع بالخواء وكأننا سـنبدأ مـن جديد.. (**نقرأ**).

"شجرة تهاجمها الطيور"

ألف.. الحرف الأول مـن إفيسـوس ـ د.. الحـرف الأول من وحيد القرن.. ف.. الحرف الأول من قواعـد اللغة.

لينارد: (**بقلق**) فرجينيا؟

فرجينيا: (**تتكلم بسرعة شديدة**) لا.. هذه المرة لـن أتـرك الأرض. سأبقى وقدمي ثابتة على الأرض الصلبة.

ليناrd: أليس من الأفضل أن تستشيري طبيبا.. إنك تستلطفين طبيبتنا الجديدة.. أكتافيا.. أليس كذلك.. إنها صديقتنا.

فرجينيا: إنني على ما يرام (**تقطب مثل الأطفال**) سـتأمرني بالعلاج والراحة وسترسلني إلى مكان بعيد ولن أرى نمسي العزيز.

لينارد: لن تأمري بذلك إلا عند الضرورة القصوى.

فرجينيا: (**بحزم**) ليس هذا ضروريا على الإطلاق ـ ليس بي شيء.. ليس هناك ما يدعو للقلق.. كل ما في الأمر أنك تأخرت فأحسست بالقلق.. بنوع من الشلل ـ كان الصمت رهيبا هنا.

ليونارد: آسف ـ أشاع البعض وجود قنبلة في القطار في محطة ريتشموند فاضطررنا جميعا للخروج وعندما وصلنا إلى محطة كرويدون انطلقت صفارات الإنذار فاضطررنا للانتشار حتى صفارة الأمان. (**مازحا**) بحثت في كل مكان عن مرحاض عمومي وفشلت.

فرجينيا: (**في حزن هادئ**).

"وفوق القبر الصغير تبادلنا القبل مرة أخرى والدموع في عيوننا".

ليونارد: فرجينيا. أواثقة أنت أنه لا يجب استدعاء الطبيبة؟

فرجينيا: واثقة تماما. سأبدأ في تأليف كتاب. سيكون كتابا عميقًا.. سيكون أعمق مغامراتي في الكتابة.. سيخلو من الفصاحة... الزائفة والكلام الذي معنى له ـ سيكون شيئًا جديدا بالنسبة لي.. على فكرة.. حدث شيء مثير اليوم (**بصوت مرح**) فاض النهر على

جانبيه.

لينارد: رأيته وأنا عائد.. لقد أصبح مثل البحر.. أبيض تلفـه سحابة من بخار الماء.

فرجينيا: الطبعة العزيزة أعلنت العصيان.

لينارد: حتى رائحته كانت مثل رائحة البحر.

فرجينيا: لن أستطيع الآن أن أذهب في نزهتي المعتادة.

لينارد: ليوم أو يومين فقط حتى يتمكنوا من إصلاح الشاطئ.

فرجينيا: أكوام الدريس عامت فوق الماء مثل القوارب التـي كان الأطفال يلعبون بها في بحيرة هايد بـارك فـي الماضي ـ واندفع الماء من شق في التل ـ ما أتعس حظ سكان لندن فأمامهم ليلة أخرى من الغازات.

أما هنا فالحرية.

لينارد: لن أذهب غدا إلى لندن.

فرجينيا: بل ستذهب. ألا تفهم أنني أحب ذهابك إلـى لنـدن وأحب أن أفكر فيك وأنت هناك تؤدي عملك وتشرف على المطبعة وتتحدث مع مس بـي وتحضـر لـي الكتب من مكتبة لندن العامة.

لينارد: إذا أحسست بأي اضطراب في أعصـابك لا تخفيـه عني.

فرجينيا: إنني في أحسن حال ـ ها هو نهمي القديم للكتب قد عاد.. هذا النهم الطفولي ولهذا فأنـا "سـعيدة" كمـا يقولون. لينارد.. هيا نتمشى في ضوء القمر ونزور بحرنا الجديد.. هيا نمشي على حافته.. سيفتح ذلـك شهيتنا للعشاء.

(يمسك ذراعها) وإذا فاجأتنا غارة نستطيع أن نختبئ خلـف أحد أكوام الدريس).

نهاية المشهد الخامس

المشهد السادس

(**الريف**).

تثور الأمواج داخلي أنا أيضا ـ تعلـو وتفـور وتحنـي ظهرها..

فرجينيا: هذا هو الموت ـ الموت هو العدو.

(في صوت عملي) أسرعي أسرعي.

لا أريد أن يمنعني أحد في اللحظة الأخيرة.. لـو أنـه عاد الآن.. أو جاء شخص.. الخادمـة.. أو البسـتاني.. لكانت مصيبة.. يتطاير شعري للخاف كما لو كنت شـابا صغيرا..

كما لو كنت بيرسيفال.

سألقي بنفسي في معركة أخيرة ضدك أيها الموت ولن أهزم ولن أستسلم.

فرجينيا!

لينارد: (**يقرأ**).

أشعر أنني سأجن مرة أخرى ولا محالة. وأحـس

أننا لا يمكن أن نحتمل مرة أخـرى تلـك الأوقـات العصيبة... وأعلم أنني لن أشفى هذه المـرة.. لقـد بدأت أسمع الأصوات وفقد قدرتي علـى التركيـز. ولهذا فقد اخترت أفضل الحلول.

فرجينيا: لقد فعلت من أجلي أقصى مـا يمكـن إنسـان أن يفعله.. وأعتقد أننا كنا أسعد زوجين حتى دهمنا هذا المرض الملعون. لقد فقدت القدرة على المقاومة أعلم أن وجودي يفسد حياتك وأنك بدوني ستكون قـادرا على العمل والإنتاج.. وستعمل وتنتج.. أنا واثقة من هذا.. كما ترى... حتى هذا الخطـاب الصـغير لا أستطيع صياغته جيدا.. لو كان بمقـدور إنسـان أن ينقذني لكان أنت.. ولكن.. كل شيء ضاع مني.

لينارد: لم نعثر على جثتها لمدة أسبوعين.. ثم وجدها بعض الأطفال وقد قذف بها الموج إلى الشاطئ قرب مدينة ليوبس.. وجدنا أحجارا ثقيلة في جيوب معطفهـا.. كان أمرا بشعا رهيبا.

فرجينيا: فملْتُ فوق حافة القارب.. وسقطت.. غصت تحـت أمواج البحر.. كنت ميتة وها أنـا الآن أحيـا مـن

جديد.. كان شيئًا بشعا.. رهيبا.. تماما مثلما يحـدث
عند اليقظة من النوم (**تتدفق الكلمات بسرعة**) حـين
تعلو أصوات الطيور وتخـتلط بأصـوات عجـلات
المركبات في ثرثرة منغمة غريبـة.. تعلـو وتعلـو
ويشعر معها النائم أنه يغدو أقرب وأقرب من شطآن
الحياة.. ويشتد لهيب الشمس وتعلو الصخرات أعلى
وأعلى ويحس وكأن حدثًا هائلاً يوشك أن يقع.

النهاية